اكاديمية العلوم السوفيتية

علم الاستشراق السوفيتي ـ ٥

أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت

(الكتاب الاول)

هيئة تحرير
"العلوم الاجتماعية والعصر"

موسكو
١٩٨٦

تصدر المجموعة فى سلسلة "علم الاستشراق السوفيتى" تحت الاشراف العلمى البروفسور غليرى شيروكوف والبروفسور يورى بتروسيان.

المحرران: ليونتى كوتوف، يلينا شيبيلوفا.
تصدر المجموعة باللغة العربية.
المحرر المسئول عن الطبعة العربية ليونتى كوتوف.

عنوان هيئة التحرير: أربات، ٢٣/١٢، موسكو، ١٢١٨١٨، الاتحاد السوفيتى.

المحتويات

مقدمة

المخطوطات العربية ودراستها

فى الاتحاد السوفيتى

تزخر اللغة العربية باثار تعتبر من اغنى المؤلفات فى العالم. وتعود جذور هذه الاثار الى الاقطار العربية، لكنها لم تتكون هناك فحسب، كما لم تنشأ على يد العرب وحدهم. ففى الفترة المبكرة، منذ ظهور الكتاب الاول (القرآن) فى الثلاثينات من القرن السابع حتى اواسط القرن الثامن كان عدد المؤلفات العربية ونسخ مخطوطاتها متواضعا فيما يبدو، بيد ان ترسخ اللغة العربية فى شتى ميادين الحياة الاجتماعية والرسمية فى جميع ارجاء الخلافة وبين الشعوب الكثيرة التى كانت تقطن ضمن اراضى الخلافة العربية، وكذلك اتساع نطاق الترجمة وازدهار الادب والعلم والفكر السياسى الدينى فى القرون الثامن ـ العاشر الميلادية، اى الى ظهور عدد ضخم من الكتب والوثائق بهذه اللغة. وكلها كانت بطبيعة الحال، مخطوطة. وفى النصف الثانى من القرن الثامن شهدت منطقة الشرق الاوسط تبدل مادة الكتابة، فقد جاء الورق ليحل محل البردى والجلود، مما ساعد مع غيره من الاسباب على انتشار الكتب المخطوطة.

وتجاوزت اللغة العربية الادبية والكتب المدونة بها حدود المناطق التى شملتها سيطرة العرب السياسية. وظل تقليدا

الادب والنسخ اليدوى للمخطوطات سائدين فى كل الارجاء التى بلغتها اللغة العربية والدين الاسلامى. وكانت باقى الطوائف فى الشرق ومنها ، تحديدا ، المسيحية واليهودية ، تستعمل اللغة العربية وبالتالى فقد اسهمت بقسطها فى التأليف العربى.

ومن الكتب المخطوطة نشأت مكتبات قيمة ، ومنها مكتبات ضخمة فى المدن التى اصبحت خلال هذه الفترة او تلك مراكز سياسية وثقافية ، مثل دمشق وبغداد والقاهرة واسطنبول وعشرات المدن الاخرى. وكثيرا ما كانت المخطوطات والمكتبات تتنقل من مدينة الى اخرى كهدايا او ارث او بضاعة او غنيمة حرب. ولم تكن تنشأ وتتضاعف فحسب ، بل وتندثر ايضا (نتيجة الاندثار او الحشرات الضارة او ظروف الحفظ الرديئة او الكوارث الطبيعية) او تدمر (فى اثناء الحروب والفتن والسلب) .

وبقيت المخطوطات العربية حتى اواخر القرن الخامس عشر حينما دونت على مرور الدهر، وكان الناس ينتفعون منها فى حياتهم اليومية . ولم تغادر المخطوطات العربية حدود العالم العربى الاسلامى الا عن طريق المصادفة ، واذا قدر لها ان تصان، ففى التراجم فقط ، مثلما كانت الحال، مثلا، فى اوربا القرون الوسطى. لكن الوضع تغير ابان القرنين السادس عشر والسابع عشر عندما شرعت الاقطار الاوربية التى سلكت طريق التطور الرأسمالى فى التغلغل النشيط فى الشرق ، وراح المتعلمون من ممثليها يعنون بلغة الشعوب الشرقية وثقافتها . واخذ المبشرون والدبلوماسيون والرحالة والتجار يبتاعون المخطوطات العربية ويبعثونها الى المكتبات والمؤسسات العلمية فى اوطانهم. هكذا نشأت عشرات المجموعات من المخطوطات العربية فى اسبانيا وايطاليا وهولندا وفرنسا وبريطانيا وبلدان اخرى.

لقد استمر عصر المخطوطات فى العالم العربى الاسلامى اكثر من الف عام. ولم يتقلص مجال استعمال المخطوطات وتنحسر دائرة المؤلفات المنسوخة الا فى غضون السنوات المائةوالخمسين الاخيرة، عندما ظهرت الطباعة العربية واشتد عودها، فتراجع الكتاب المخطوط امام الكتاب المطبوع والمجلات والصحف وسواها من وسائل الاعلام الجماهيرى ونشر المعارف والمعلومات. غير ان تنقل المخطوطات اشتد كثيرا، فراحت تغادر بكميات متزايدة اماكن جمعها وخزنها التقليدية (مكاتب الدور والقصور الخاصة والجوامع والمدارس الدينية ودوائر الاوقاف) وتدخل الاسواق المحلية والعالمية. وادى تغير الحدود السياسية والاحداث المختلفة فى حياة الشرق الاجتماعية والثقافية الى تنقلات جديدة وجديدة لمجاميع المخطوطات. واخيرا، اى فى الوقت الحديث اخذت دول الشرق المستقلة، ولاسيما العربية،تبدى عناية بالتراث المخطوط وتتخذ اجراءات تشريعية لجمع المخطوطات فى خزائن حكومية والحيلولة دون اخراجها او تلفها. وتحفظ المخطوطات العربية اليوم فيما يربو على خمسين بلدا فى العالم.

اما بخصوص دراسة اثار المؤلفات العربية، فينبغى القول قبل كل شئ ان بعض اشكال جرد المؤلفين والمؤلفات وتصنيف فروع المعرفة كان موجودا فى الشرق، وقد انعكس ذلك فى معاجم السير والمؤلفات الموسوعية والفهارس المختلفة وما الى ذلك. الا ان ادلة المكتبات كانت نادرة، ولا تزيد على دفاتر بالموجودات تتضمن اسماء المؤلفين ومؤلفاتهم.

لقد انجز العلم الاوربى خطوة جديدة فى دراسة الادب العربى والكتاب المخطوط. ففى البلدان الاوربية بالذات (اسبانيا، ايطاليا، هولندا، الخ) بوشر بوصف المخطوطات العربية فى ادلة مطبوعة ويجرد دورى لما حفظ من المخطوطات

العربية . وقد وضعت الادلة الاولى فى اوربا ابان القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبالتدريج انتشرت خبرة الفهرسة على نطاق اوسع، واخذت تستعمل فيما يتعلق بعدد متنام من المخطوطات ، كما تحسنت نوعية الفهارس بفضل التوارث والنقد العلمى. وتطورت فى الوقت ذاته الابحاث الادبية التاريخية، وجرى باسلوب نقدى اصدار اهم وابرز الاثار.

اما فى اقطار الشرق ، حيث يحفظ حتى الان معظم المخطوطات العربية فقد بدأت الفهارس بالصدور منذ اواخر القرن التاسع عشر (تركيا ، مصر، سورية)، بيد ان تصنيفها ونشرها يجرى ببطء . ففى بادئ الامر كانت هذه الفهارس فى اغلب الاحيان مجرد قوائم جرد بالكتب المخطوطة والمطبوعة، اى انها كانت امتدادا للتقاليد القديمة من الناحية المنهجية . الا ان العقدين او العقود الثلاثة الاخيرة شهدت فى مجرى عملية تعزز الاستقلال الوطنى ونشوء الثقافات الوطنية فى بلدان الشرق تطورا ملحوظا فى العمل المكتبى والفهرسة وتتحسن مناهج وصف المخطوطات وتصدر ادلة فى هذا الشأن.

وفى العام ١٩٤٦ استحدثت جامعة الدول العربية معهدا خاصا للمخطوطات العربية اخذ يصدر ابتداء من عام ١٩٥٤ مجلة تدعى "مجلة معهد المخطوطات"، ويجمع افلاما لانفس واندر واقدم المخطوطات من مختلف خزائن العالم. وتصدر ادلة لها .

وفى نتيجة كل هذا النشاط تم خلال ثلاثمائة عام ونيف اعطاء وصف تفصيلى بهذا القدر او ذاك فى الفهارس المطبوعة وقوائم الجرد لعشرات الوف المجلدات من المخطوطات العربية، او صنفت جداول بموجوداتها فى اقل تقدير. رغم كل ذلك لم ينعكس فى المطبوعات حتى هذا الحين زهاء نصف التراث العربى من المخطوطات. ولا غرابة فى هذا الامر، اذا اخذنا بعين

الاعتبار الطابع الجماعى لمادته وغزارته العظيمة وتشتته، والمنشأ نسبيا لبعض اجزائه فى نتيجة التطور المتأخر لطباعة الكتب فى العالم العربى الاسلامى.

ولنعد الان الى المخطوطات العربية فى الاتحاد السوفيتى، اى الموضوع الرئيسى لهذا المقال. لقد كانت المناطق الاساسية لانتشار المخطوطات العربية ضمن حدود الاتحاد السوفيتى هى آسيا الوسطى، حوض الفولغا، القفقاس وسواحل البحر الاسود. وقد ظهرت اولى الكتابات والوثائق باللغة العربية فى آسيا الوسطى وما وراء القفقاس فى مطلع القرن الثامن، ويبدو ان الكتب المخطوطة ظهرت فى وقت قصير لاحق. وابتداء من ستينات القرن الثامن اخذت سمرقند تزود دولة الخلافة الاسلامية كلها بالورق طوال حوالى ٣٠٠ سنة. وفى القرون ١٠ ـ ١٢ كانت فى بخارى ومرو ومدن اخرى مكتبات الوف المجلدات من الكتب العربية المخطوطة. وظلت اللغة العربية فى العصور التالية، حتى بداية القرن العشرين، تنافس اللغتين الادبيتين الفارسية والتركية (١)، وتحتفظ بمواقعها كلغة للعلم والفقه والدين والتعليم.

وكان بين مؤلفى الكتابات العربية عدد كبير من ابناء شعوب بلدنا ينحدر من المناطق المذكورة. وحسبنا ان نذكر اسماء كالفارابى والبيرونى وابن سينا والبخارى والزمخشرى والسكاكى والفرغانى والسمعانى والمرغينانى، فهم بعض من مئات المشاهير سواهم. ان مكان نسخ عدد كبير من المخطوطات العربية يرتبط باراضى الاتحاد السوفيتى، ولذا فان دراستها تعتبر من ابرز مهمات العلم السوفيتى.

تعزى المرحلة المبكرة لجمع المخطوطات العربية ودراستها لاغراض علمية فى روسيا الى القرن التاسع عشر، وهى ترتبط فى المقام الاول بنشاط اربع مؤسسات فى بطرسبورغ هى المتحف

الاسيوى لاكاديمية العلوم والمكتبة العامة والقسم الدراسي بوزارة الخارجية وكلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ. وكان يصب فى هذه المؤسسات الاربع معظم المخطوطات التي جمعها المستشرقون والدبلوماسيون والرحالة والهواة والعسكريون والموظفون المدنيون الروس. وكانت هذه المؤسسات تعزز ارصدتها من حين لاخر، وبقدر ما تسمح به تخصيصاتها المتواضعة، عن طريق اقتناء المخطوطات من اسواق الكتب في الشرق والغرب، واستنساخ الكتب فى خزائن العالم الاخرى، وايفاد المندوبين لتقصى المخطوطات وشرائها.

ان مجموعات المخطوطات الشرقية لدى هذه المؤسسات الاربع هى التى اصبحت القاعدة الاساسية لعلم الاسلاميات والاستعراب الروس قبل الثورة. وقد كرس الاكاديميون فرين ودورن وروزين وزاليمان وبارتولد وكراتشكوفسكى وعدد اخر من كبار المستشرقين لتسليط الاضواء على هذه المخطوطات عشرات المقالات وعددا من الفهارس والشروح الموجزة. ويرتكز الكثير من الابحاث الادبية التأريخية والنصية والمرجعية على مخطوطات من مجموعات بطرسبورغ - لينينغراد. وبالنظر لكون هذه المجموعات قد تكونت على مدى فترة زمنية طويلة، ومن واردات منفردة كثيرة العدد لا يندر ان تكون مؤلفة من نسخ منفردة او مجاميع صغيرة من المخطوطات، ولان الادبيات المكرسة لها كانت واسعة جدا وغير متجانسة، فان تعدادها بالتفصيل يتطلب حيزا كبيرا جدا. لذا سوف نكتفى بابرز معالم رفد مجاميع المخطوطات اللينينغرادية فى القسم العربى منها وعلى ابرز واهم المؤلفات ذات الطابع الاثارى (الارخيوجرافى).

لقد اضطلع المتحف الاسيوى لاكاديمية العلوم الذى اسس فى العام ١٨١٨ بدور المؤسسة المركزية فى روسيا لجمع المخطوطات

الشرقية وحفظها ودراستها على مدى القرن التاسع عشر باسره والنصف الاول من القرن العشرين. وحتى ذلك الوقت كان قد توفر لدى اكاديمية العلوم عدد ضئيل من المخطوطات المدونة بالخط العربى، لكن الزمن لم يحفظ لنا معلومات دقيقة عنها، وقد اندمجت فى وقت لاحق مع غيرها من المخطوطات الواردة.
وفى العام ١٨١٩ اشترت الحكومة الروسية من ج.ل.روسو، القنصل الفرنسى السابق فى حلب مجموعة مخطوطات مؤلفة من ٥٠٠ مجلد وقدمتها الى المتحف الاسيوى. وفى العام ١٨٢٥ باع روسو المخطوطات المائتين المتبقية لديه فاقتناها المتحف الاسيوى ايضا. وكانت كلتا المجموعتين تحتويان على جملة من المخطوطات العربية والفارسية والتركية الاثرية والنادرة جرى جمعها فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر فى الشرق الاوسط. وكان زهاء ٤٧٠ مخطوطة من المجلدات السبعمائة تحتوى كليا او جزيئا على مؤلفات باللغة العربية.
وبفضل جهود فرين (١٧٨٢ - ١٨٥١) المدير الاول للمتحف الاسيوى اخذت ارصدته تتعزز بانتظام. واسفرت واردات الاعوام ١٨١٩ - ١٨٢١ و١٨٢٦ و١٨٢٨ و١٨٣٤ و١٨٣٧ - ١٨٣٩ عما يربو على ١٠٠ مخطوطة عربية، حتى بلغ عددها خلال فترة عمل فرين قرابة ٦٠٠. صحيح ان الفترة التالية، حتى العام ١٩١٥، لم تشهد واردات ضخمة يمكن مقارنتها بمجموعتى روسو. الا ان المتحف الاسيوى اقتنى حوالى ٢٠٠ مخطوطة عربية اخرى من بين بضع عشرات من المجموعات المختلفة. وارتمزت الاعوام ١٩١٥ - ١٩١٧ بتدفق كبير للمخطوطات على المتحف الاسيوى الامر الذى اسفر عن ازدياد عدد المخطوطات العربية لديه الى الضعفين او الثلاثة اضعاف. فقد جلب ف.ا.يفانوف خلال رحلتين الى بخارى ١٠٥٧ مجلدا كان معظمها من المخطوطات العربية. وجلبت طرود

س. تير ـ اويتيسيان من منطقة بحيرة وان ما يزيد على ١٠٠٠ مخطوطة عربية .

ونشأت مجموعة ثانية من المخطوطات الشرقية في بطرسبورغ لدى المكتبة العامة . ففي العام ١٨١٣، اى قبل افتتاح المكتبة رسميا بعام واحد، كان يحفظ فيها ٤٢ مخطوطة عربية ، وبالاساس من مجموعة دوبروفسكي. وفي العام ١٨٢٨ وردت مخطوطات من مسجد اردبيل، وفي العام ١٨٢٩ وردت ارسالية من اهالتسيخى (١٩٢ مخطوطة ، منها ١٧٣ عربية) ومن بايزيد وارض روم. وفي العام ١٨٥٢ بلغ عدد المخطوطات العربية ٢٤٧. وفي العام ١٨٥٨ وردت من مجموعة ك. تيشندورف بضع مخطوطات ومقتطفات عربية مسيحية . وفي العام ١٨٦٤ تم اقتناء مجموعة ج.ج. مارسيل (اجزاء من المصحف بالخط الكوفي) ومجموعة ن. خانيكوف (٣٠ مخطوطة عربية). وفي عام ١٨٧٦ وردت دفعة كبيرة من المخطوطات من آسيا الوسطى، بعث بها ك. كوفمان ومجموعة احد الرحالة القرائين. أ . فيركوفيتش التي تضم ما يزيد على ٥٠٠ مقطع من المخطوطات العربية من القرون ١٠ ـ ١٩ وما يربو على ٢٠٠ وثيقة عربية من القرون ١٢ ـ ١٩، وكذلك عددا من المخطوطات وما يزيد على ٢٠٠ مقطع من المؤلفات العربية برموز صوتية عبرية .وعززت مجموعة الاسقف بورفيرى اوسبينسكي (١٨٨٣) ورئيس الاساقفة انطونين (أ . كابوستين، ١٨٩٩) رصيد المكتبة بمخطوطات عربية مسيحية .

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر ايضا بدأت تتكون مجموعة المخطوطات لدى القسم الدراسي بوزارة الخارجية (الذى اسس في العام ١٨٢٣). وقد وردت انفس المخطوطات العربية الى هذا القسم ضمن مجموعتي أ . ايتالينسكي وب. سوختيلين. وفي وقت لاحق رفدت المجموعتين بمخطوطات اقتناها مدرسو القسم

الدراسي وخريجوه السابقون، وفي العام ١٨٧٧ بلغ عدد المخطوطات العربية ٢٢٩٠ وفي العام ١٩١٩ انتقلت هذه المجموعة الى المتحف الاسيوى. وكانت انذاك تضم زهاء ٢٥٠ مخطوطة عربية .

في العام ١٨٥٥ افتتحت كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ. وفي نفس العام استلمت مكتبة الكلية من جامعة قازان مجموعة مؤلفة من ١٧٨ مخطوطة معظمها عربية . وكونت هذه المخطوطات مع الرصيد القديم (الموجود منذ العام ١٨٤٥) ومجموعة مكتبة ثانوية قازان (التي نقلت في العام ١٨٤٦) بداية مجموعة مخطوطات مكتبة الكلية الشرقية . واغتنت هذه المكتبة في وقت لاحق بمخطوطات وصلت من اساتذتها أ . كاظم بيك وم. الطنطاوى وأ . موخلينسكى وف. غيرغاس ون .فيسيلوفسكى وف. جوكوفسكى واى. كراتشكوفسكى وأ .روماسكيفيتش.

وبعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى شهدت ارصدة المخطوطات الشرقية في خزائن لينينغراد تعزيزات جديدة . فقد تعزز رصيد المتحف الاسيوى ، بادئ ذى بدء، بفضل نقل المخطوطات الشرقية اليه من المؤسسات الاخرى. فعدا عن المخطوطات المذكورة من مكتبة القسم الدراسي لوزارة الخارجية تلقى المتحف الاسيوى ٤٢ مجلدا كلها تقريبا من المخطوطات العربية المسيحية للبطريرك غريغوريوس الرابع (الاطاكى)، التي وصلت في العام ١٩١٣ وحفظت في مكتبة القصر الشتري. وفي وقت لاحق، اى في الاعوام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦ جلبت البعثة الاثرية التي شكلها معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية والذى حل محل المتحف الاسيوى عددا كبيرا من المخطوطات من حوض الفولغا (منها ١٥٣٤ مخطوطة عربية)، وجرى في سنوات مختلفة اقتناء مجموعات من قازان واستراخان وباكو

وداغستان وطاجكستان، وكذلك من معهد الكتب والوثائق والرسائل التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية، وهو معهد لم يدم طويلا (مجموعة ن. ليخاتشوف سابقا)، ومن متحف تاريخ الاديان، ومكتبة اكاديمية العلوم وغيرها. وبلغ مجموع المخطوطات العربية فى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية (فى فرع المعهد بلينينغراد، ابتداء من العام ١٩٥٦) زهاء ٥ الاف مجلد.

ولم يجر تعزيز مجموعة المكتبة الوطنية العامة خلال هذه السنوات بالنشاط المعهود، باستثناء ما أقتنى من أ. تامابيف فى العام ١٩٣٩ (٤٨ مخطوطة عربية) ومن قازان فى العام ١٩٦٤ (٨٠ مخطوطة عربية) ومن ف.كراتشكوفسكايا فى ١٩٧٢ (٦٣ مخطوطة عربية). وبلغ مجموع الرصيد زهاء ١٥٠٠ من المخطوطات والمقاطع والوثائق العربية. ورفدت مجموعة الجامعة بعدد قليل من المخطوطات، فبلغ عدد المخطوطات العربية فيها ٨٠٠. ان اسباب ضعف تدفق المخطوطات العربية على مجموعات لينينغراد خلال العقود الاخيرة مفهومة تماما وهى ان خزائن المخطوطة الجديدة اخذت تتكون فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتى كما اخذت تتعزز الخزائن القديمة، علما بان الواردات من الاقطار الاخرى كانت نادرة اصلا.

ويجدر بنا، اخيرا، ان نأتى على ذكر المجموعات الصغيرة من مقاطع النصوص العربية المدونة على البردى، فنقول ان هناك ٧٥ وحدة فى متحف الارميتاج (وردت من ف. بوك) ٩٥ فى فرع معهد الاستشراق بلينينغراد (وردت من ب. توراييف ون. ليخاتشوف).

وجرى التناول العلمى للمخطوطات العربية فى بطرسبورغ- لينينغراد بقدر تراكمها على يد مستشرقين من اجيال

مختلفة . فقد كان فرين اول من ثمن المغزى العلمي لتلك المجموعة من المؤلفات العربية العظيمة الاهمية التى كانت متوفرة ضمن مجاميع المتحف الاسيوى والمكتبة العامة . وقد نشر فى صحيفة "سانكت بترسبورغسكيه فيدوموستى" عرضا لمجموعتى روسو الاولى (٢) والثانية (٣) ولجملة من الواردات الاخرى الى المؤسستين المذكورتين (٤) . مطريا اطراء عظيما على قيمتها النفسية ، كما كان يتقدم بتقارير وابلاغات منتظمة فى اجتماعات اكاديمية العلوم عن الواردات الجديدة (٥) .

ويعود لفرين ايضا فضل وخبرة وضع اول فهرس علمى فى روسيا للمخطوطات المدونة بالابجدية العربية . ففى حدود العام ١٨٣٠ فرغ من وضع مسودة الفهرس المتعلقة برصيد المتحف الاسيوى ، ورتب باللاتينية فهرس موجودات قسم فيه المخطوطات الى تسعة ابواب حسب المواضيع ، ثم رتبها داخل الابواب حسب اللغات . على هذا النحو حصلت كل مخطوطة فى فهرس الموجودات على رقم تسلسلى اصبح شفرة لها . غير ان هذا الفهرس لم ينجز ولم يظهر الى النور ، لكنه ثبت وجود رصيد متكامل من المخطوطات المختلفة اللغات ، وحدد نظام الشفرات ومواقع المخطوطات فى الخزانة .

عدا عن ذلك ، كان فرين يستخدم بانتظام مخطوطات بطرسبورغ فى ابحاثه . وقد اجتذبته فى المقام الاول المواد التى تتحدث عن شعوب اوربا الشرقية والقفقاس وآسيا الوسطى ، والمتوفرة فى المؤلفات الجغرافية والتاريخية والموسوعية من القرون ٩ ـ ١٥ . وارسى فرين بابحاثه "عن الروس والخزر" و"عن اهالى بشكيريا" وجملة من المؤلفات الاخرى (٦) ، ولاسيما بحثه الاساسى عن ابن فضلان (٧) ، اتجاها مثمرا فى علم الاستعراب الروسى ، وهو دراسة المصادر العربية المتعلقة

بتاريخ روسيا والبلدان المتاخمة لها فى القرون الوسطى.

وواصل ب. دورن (١٨٠٥ - ١٨٨١)، المتخصص بعلم الايرانيات والذى حل محل فرين فى منصب مدير المتحف الاسيوى، اعمال سلفه فى الكثير من المجالات: فقد كان ينشر بانتظام انباء عن الواردات الجديدة من المخطوطات الى المتحف الاسيوى والمكتبة العامة (٨)، وقد باشر باعداد فهارس لها. وقد نشر تحت اشرافه فهرس للمخطوطات الشرقية فى المكتبة العامة (٩)، بيد ان المواد التى اعدها لفهرس مخطوطات المتحف الاسيوى بقيت محفوظة فى الارشيف.

ويرتبط صدور الفهارس الاولى المكرسة خصيصا للمخطوطات العربية باسم ف.روزين (١٨٤٩ - ١٩٠٨)، الذى اسس مدرسة علمية كاملة. فقد اعطى بادئ ذى بدء وصفا تصنيفيا للمخطوطات العربية فى مكتبة القسم الدراسى لوزارة الخارجية (١٠)، ومن ثم ٣٠٠ مجلد من مخطوطات المتحف الاسيوى (١١). ويعود له وك. زاليمان فضل وضع قائمة مطبوعة بمخطوطات الجامعة (١٢). ونشر زاليمان باعتباره مديرا للمتحف الاسيوى فى الاعوام ١٨٩٠ - ١٩١٦ معلومات موجزة عن واردات المتحف الجديدة (١٣)، كما هم بوضع فهرس لها. لكنه توفى فى اواخر العام ١٩١٦، وقد وافاه الاجل" وهو منهمكا فى العمل على تصنيف وتسجيل الواردات الجديدة من المخطوطات الاسلامية " (١٤).

ثم انتقلت راية العمل مع المخطوطات العربية فى مجموعات لينينغراد الى اغناطيوس كراتشكوفسكى الذى باشر بنشاطه من نشر معلومات عن واردات المتحف الاسيوى الجديدة: فقد وضع قائمة بكل المخطوطات العربية من مجموعة وان، ووصفا لمخطوطات البطريرك غريغوريوس الرابع، ونشر مقالات عن ابرز النسخ فى مجموعة بخارى (١٥). ولكراتشكوفسكى (١٨٨٣ -

١٩٥١) جملة من المقالات والملاحظات والابحاث القصيرة التي تتضمن وصفا ودراسة للمخطوطات العربية المتوفرة في مجموعات لينينغراد الثلاث (١٦). وله كذلك الكتاب الواسع الشهرة "مع المخطوطات العربية".

في عقدي العشرينات والثلاثينات نشرت ابحاث مكرسة لمخطوطات لينينغراد العربية وضعها المستشرقون السوفيت ا.روماسكيفيتش وف. ابرمان وف. بيليابيف، وا. بوريسوف وم. ساليبه وس. فولين. ونكتفي بذكر بعض منها فنشير الى ملحق قائمة مخطوطات الجامعة والقائمة الموجزة بالجزء العربي من مجموعة بخاري (ف. ايفانوف) ووصف مجموعة ن.ليخاتشوف التي انتقلت بعدئذ الى معهد الاستشراق، وعرض المخطوطات العربية العبرية في المكتبة الوطنية العامة، ومقال عن البرديات العربية في موسكو ولينينغراد (١٧).

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ابتداء من عقد الخمسينات، نشرت مقالات عرض عن المخطوطات العربية لدى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم وجامعة لينينغراد، وثلاثة اصدارات لفهرس مفصل عن معهد الاستشراق، وعرض للمجموعات الجديدة لدى المكتبة العامة (١٨) وكذلك جملة من الابحاث وطبعات النصوص المعتمدة على المخطوطات العربية من خزائن لينينغراد.

ويتركز اكبر عدد من المخطوطات العربية في الاتحاد السوفيتي في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان السوفيتية المسمى معهد البيروني في طشقند. وتشكل المخطوطات المدونة بالابجدية العربية هناك رصيدا موحدا يتنامى باطراد. وقد بلغ عدد المجلدات حوالي ١٧ الفا، وعدد المؤلفات المتفرقة زهاء ٥٠ الفا نصفها تقريبا باللغة العربية. عدا عن ذلك يتوفر هناك زهاء ٣ الاف وحدة من

الوثائق.

في بادئ الامر نشأ هذا الرصيد في مكتبة تركستان العامة (أسست في العام ١٨٧٠). وثم نقل في العام ١٩٤٣ الى معهد دراسة المخطوطات التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان السوفيتية الذي حول في العام ١٩٥٠ الى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان السوفيتية. ويستدل من فهرس كال الموضوع في العام ١٨٨٩ (١٩) ان المكتبة العامة كانت تضم ٨٧ مخطوطة منها ٧ عربية. وفي العام ١٨٩٨ تلقت المكتبة مجموعة امام مينتيوبين محمد على خلف صابروف بعد مصادرتها (١٩٤ مخطوطة) اعقبتها مجموعات جورابيك والقاضي محيي الدين ون. بتروفسكي. وبلغ عدد المخطوطات ٣١٨ في العام ١٩١٢. ونشر الاكاديمي ف. بارتولد بعد رحلة دورية الى آسيا الوسطى سنة ١٩٢٥ معلومات عن جملة كاملة من مخطوطات هذه المكتبة (٢٠)، دون ان يفرد منها بصفة خاصة المخطوطات العربية. ويستدل من قائمة الجرد الموضوعة خلال العامين ١٩٣٠ – ١٩٣١ ان عدد المخطوطات فيها قد بلغ ١٠٢٥. وفي العام ١٩٣٢ تلقت المكتبة مجموعة ف. فياتكين (١٩٠ مجلدا) (٢١).

وتعززت مجموعة مخطوطات المكتبة العامة في طشقند بنشاط ملحوظ بعد العام ١٩٣٣، عندما جرى توحيد ارصدة مخطوطات الجمهورية. ففي العام ١٩٣٤ استلمت هذه المكتبة مجموعات رحمانوف (١٤٨ مجلدا) وأ.فطرت (١٥٠) وح.ظريفوف (٤٠). كما تلقت في العام ١٩٣٦ مجموعة شريف جان مخدوم ضياء (٣٠٠). وفي العام ١٩٣٨ جرى نقل جزء من كتب ومخطوطات مكتبة بخارى المركزية سابقا من سمرقند، كما استلمت مكتبة طشقند العامة المجموعة الشخصية للطبيب السمرقندي غ. سيميونوف (زهاء ١٣٠ وحدة) وبلغ مجموع

ما تلقته المكتبة خلال الاعوام ١٩٣٣ - ١٩٣٨ قرابة ٣٣٠٠ مخطوطة . وفى وقت لاحق رتب عمل منتظم فيما يخص تقصى واقتناء المخطوطات لدى سكان الجمهورية ، كما استمر توحيد ارصدة المؤسسات المختلفة .

وقد بوشر بفهرسة المخطوطات على يد لفيف من الاختصاصيين كان يعمل بادىء ذى بدء فى المكتبة الوطنية العامة بجمهورية اوزبكستان السوفيتية ، ومن ثم فى معهد دراسة المخطوطات التابع لاكاديمية العلوم فى اوزبكستان السوفيتية تحت اشراف أ . سيميونوف ، ثم شهدت حركة الفهرسة تقدما ملحوظا فى العامين ١٩٤٤ - ١٩٤٥ بمشاركة مستشرقى لينينغراد الذين استقبلهم سكان طشقند بحفاوة ابان فترة اجلائهم من لينينغراد المحاصرة (٢٢) . وفى وقت لاحق واصل العمل لفيف من المنتسبين تحت اشراف سيميونوف ايضا وفى العام ١٩٥٢ ظهر اخيرا الى النور المجلد الاول من الفهرس (٢٣) . ومنذ ذلك الحين صدرت ٩ مجلدات خلال السنوات ١٩٥٤ - ١٩٧٥ . ويعتبر هذا الفهرس احد ابرز الفهارس الاساسية فى علم الاستشراق السوفيتى .

لقد تغيرت المبادىء التى اعتمدت فى اساس هذا الفهرس، كذلك تشكيلة المشاركين فى اعداده ومحرريه على مدى سنوات اعداده وطبعه الطويلة . فمنذ المجلد الاول صدر كفهرس مواضيع وشمل المخطوطات المدونة بالابجدية العربية باللغات العربية والفارسية الطاجكية والبوشتو والاردو واللغات التركية . وترتبت الشروح داخل الاركان المصنفة حسب المواضيع بتسلسل تاريخى (اى حسب تسلسل تواريخ المؤلفات والمخطوطات) . غير ان جبهة الاعمال التحضيرية كانت ضيقة ، فيما كان حجم المادة عظيما . واستمر تصنيف المخطوطات (من الواردات السابقة والجديدة على السواء) حسب اللغات والمواضيع وتوحيد

مواصفاتها وتعيين تواريخها بنهج يواكب صدور اجزاء الفهرس الجاهزة، ولهذا اضطر واضعوه في المجلدات التالية الى الرجوع للمؤلفات وفصول المواضيع التي جرى تناولها في الاجزاء الصادرة . وكان النقص الجوهري في الفهرس هو ان الشروح رتبت دون مراعاة لمعيار مهم هو لغة المؤلف. ولوحظت بعض التذبذبات في التعامل مع الشروح واختيار المعطيات اللازمة عن المخطوطة وفي تسلسل ومصداقية سردها . وراح جدول المصادر المستعملة يتعزز من مجلد الى اخر، ولكن بعض التضارب قد تجلى احيانا في التعامل مع ما ورد فيها من معلومات. كل هذا كان لابد ان ينعكس على المنهج العام للفهرس.

وكرس المجلد السابع كليا للمخطوطات التركية، وهو يتضمن فهارس تحتوي على معلومات عن جميع المخطوطات التركية المشروحة في المجلدات الاولى. وعلى نفس النمط صنف المجلد الثامن المكرس للمخطوطات الفارسية الطاجكية . ولم يول سوى اهتمام ضئيل للمخطوطات العربية . وقد شرح منها في المجلدات الستة الاولى ١٢٢٧ مخطوطة وهو جزء يسير لا يتناسب مع حجمها في هذا الرصيد. اما مجلد الفهرس المكرس خصيصا للمخطوطات العربية (وقد اتى ذكره في مقدمة المجلد السابع).

ثمة ايضا عدة مقالات استعراضية (٢٤) مكرسة لمجموعة مخطوطات معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في اوزبكستان السوفيتية . ونشرت جملة من الابحاث الخاصة عن ابرز المخطوطات العربية في هذه المجموعة .

وهناك مجموعة منفردة لدى جامعة طشقند (جامعة آسيا الوسطى سابقا) الحقت بها كذلك مجاميع معهد تركستان الشرقي سابقا . وقد تضمن فهرس أ . سيميونوف في طبعتيه (٢٥) وصفا لـ ١٠٠ مخطوطة عربية .

وتحفظ فى معهد تاريخ شعوب اوزبكستان (بطشقند)نسخة اثرية من المصحف يعزى تاريخها على وجه التقريب الى القرنين الثامن ـ التاسع، فيما يعزو التراث الشعبى هذه المخطوطة الى ما قبل ذلك ، بزعم انها تعود الى الخليفة عثمان الذى اغتيل فى المدينة فى العام ٦٥٦ . وكانت هذه النسخة محفوظة قبل ذلك فى سمرقند، ثم انتقلت بعد بضعة عقود الى بطرسبورغ، حيث تناولها أ. شيبونين ببحث تفصيلى مسهب (٢٦).

وتحوز مكتبة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى (بطشقند) مجموعة غنية من المخطوطات العربية لم تنشر عنها معلومات حتى الان. ومنذ وقت قريب اخذت تتكون مجموعة مخطوطات لدى متحف على شير نوائى للادب ، وقد بلغ عدد مفرداتها ٣ الاف (فى العام ١٩٧٤) وتضم المجموعة قدرا لا يستهان به من المخطوطات العربية التى لم تسلط عليها الاضواء فى الصحافة هى الاخرى.

وفى باكو يحتفظ رصيد المخطوطات الجمهورى التابع لاكاديمية العلوم فى اذربيجان السوفيتية بما يربو على ١٧ الفا من المخطوطات والوثائق، منها زهاء ١٠ الاف مدونة باللغة العربية . وقد اسس رصيد المخطوطات هذا فى العام ١٩٥٠، وضم مواد من مختلف مؤسسات الجمهورية . ومنذ ذلك الحين وهو يتعزز ويغتنى باستمرار. ولم ينشر حتى الان اى بحث خاص عن القسم العربى من هذه المجموعة، باستثناء بعض المخطوطات التى سلطت عليها الاضواء فى الصحافة .

ويتضمن مقال ف. سعيدوف حول المخطوطات التاريخية (٢٧) وصفا لمخطوطة عربية، كما يتضمن المجلد الاول من الفهرس المصادر فى العام ١٩٦٣ (٢٨) وصفا ١١٣ مخطوطة عربية و١٩ مخطوطة عربية فارسية . وقد كتب كلا المقالين باللغة

الاذربيجانية. كما ياتى مقال ب. روزنفيلد الاستعراض على ذكر حوالى ثلاثين مخطوطة (٢٩).

ولدى جامعة اذربيجان مجموعة صغيرة من المخطوطات، وقد ذكر منها ٢٤ مخطوطة عربية في بحث اعده ف. بارتولد (٣٠).

وثمة ما يربو على ٤ الاف مخطوطة عربية في مختلف مؤسسات قازان، واكبرها لدى قسم المخطوطات بالمكتبة العلمية لجامعة قازان التى تحمل اسم اوليانوف (لينين). وقد قدم أ. غوتوالد (٣١) وصفا للمجموعة الاولية لدى جامعة قازان التى نقلت فى العام ١٨٥٥ (مثلما نقلت قبل ذلك ببضع سنوات مخطوطات مكتبة ثانوية قازان) الى جامعة بطرسبورغ (انظر ما جاء اعلاه).

وفى العام ١٨٩٥ تبرع غوتوالد لمكتبة جامعة قازان بمجموعته المؤلفة من ٩٥ مخطوطة (٣٢)، وبذا اسس من جديد رصيد مخطوطات (٣٣). الا انه لم يرفد بواردات جديدة ردحا طويلا من الزمن.

وفى غضون عقدى العشرينات والثلاثينات نشأت مجموعة مخطوطات لدى المتحف ـ المكتبة الشرقية المركزية فى جمهورية تتاريا، استنادا الى مجموعتى غالييف ـ بارودى وس.وحيدوف. وقد اعطى أ.كراتشكوفسكى (٣٤) وصفا عاما للجزء العربى من هذه المجموعة بما كانت عليه فى العام ١٩٢٤، مستندا بذلك الى جدول المخطوطات المختارة الذى وضعه أ. خورى (٣٥). ولهذا الاخير ايضا مقال يصف فيه مخطوطة اثرية (من اواخر القرن الثانى عشر) وهى احد مجلدات الوقائع التاريخية العربية للقرن العاشر (٣٦). وفى العام ١٩٣٤ نقلت مجموعة المخطوطات هذه الى مكتبة جامعة قازان التى اصبحت من جديد الدار الاساسية للمخطوطات الاثرية فى المدينة. وهناك بعض

المعلومات العامة عن المخطوطات العربية المتوفرة فى رصيدها فى ابحاث استعراضية نشرت فى الاعوام ١٩٤٠ و١٩٦٣ و١٩٧٢.

ومنذ العام ١٩٦٣ تنظم جامعة قازان بعثات منتظمة لجمع المخطوطات داخل ارجاء جمهورية تتاريا الذاتية الحكم والمناطق المجاورة من حوض الفولغا. ففى العام ١٩٦٤ تلقت مكتبتها زهاء ٦٠٠ مخطوطة من جامع قازان، حتى بلغ رصيدها فى ١ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٩، حسب سجل الموجودات، ٦٦٨٥ قطعة (منها ٣٦٧٠ باللغة العربية)، بالاضافة الى مجموعة غوتوالد وزهاء ٣٠٠ مخطوطة لم تسجل فى قائمة الموجودات. وفى المكتبة فهرسان للمخطوطات (بالبطاقات) الاول حسب المواضيع والاخر حسب الابجدية، لكنها لا يتسمان، للاسف، بدقة وكمال المعلومات. ويضم ارشيف الدولة المركزى فى جمهورية تتاريا الذاتية الحكم ٥ مخطوطات عربية، وفى ارشيف معهد اللغة والادب والتاريخ التابع لفرع اكاديمية العلوم من قازان ١٥ وفى متحف الدولة بجمهورية تتاريا ٣٤ وفى مكتبة جامع قازان ١٥٦، وفى مجموعة ز.مقصودوفا الشخصية ٢٢٩.

وفى رصيد المخطوطات لدى معهد التاريخ واللغة والادب التابع لفرع اكاديمية العلوم فى داغستان قرابة ٢٥٠٠ مجلد من الكتب المخطوطة، معظمها باللغة العربية. وتتعزز هذه المجموعة على الدوام بواردات جديدة، نظرا لكون هذا المعهد ينظم بصورة دورية بعثات لتقصى المخطوطات الاثرية وجمعها من السكان. ويضم هذا الرصيد كذلك عددا كبيرا من الوثائق باللغة العربية. وليس هناك ابحاث مطبوعة عمليا عن رغم ان منتسبى هذا المعهد يعتمدون فى بعض ابحاثهم على مخطوطات هذا الرصيد او يقومون بنشر بعض النصوص القصيرة (٣٨). وفى العام ١٩٧٧ صدر المجلد الاول من فهرس

يضم وصفا لبضع عشرات من المخطوطات التى تحظى، في راى واضعى الفهرس ، باكبر قدر من الاهتمام العلمى.

وفى جمهورية داغستان السوفيتية الذاتية الحكم، في عاصمتها وقراها ، طائفة مجموعات من المخطوطات العربية لدى مؤسسات الدولة ولدى الجوامع والافراد على السواء. ويحفظ فى متحف جامعة داغستان التى، تحمل اسم لينين حوالى ٣٠٠ مخطوطة جمعها البروفيسور محمدوف. وهناك عدد قليل من المخطوطات فى متحف داغستان المحلى وفى جامع محج قلعة . وتضم مجموعة نور محمدوف زهاء ٥٠٠ من المخطوطات والوثائق. وثمة مخطوطات اخرى فى القرى التالية : اكوشا (قرابة ٢٠٠) وكادار وكوانهيداتل بمنطقة بوتليخ (قرابة ٢٠٠) وموغى بمنطقة ليواش (لدى محمد ظافر بضع عشرات من المخطوطات)، وخونزاخ (حوالى الالف منها قديمة جدا) وشيرى بمنطقة دهداى (حوالى ٢٠٠) وغيرها .

وهناك عدد صغير من المخطوطات العربية الداغستانية الاصل فى مجموعات لينينغراد وباكو وزكاة الله وتبليسى ويريفان. وقد جرى تناول بعض مسائل تشكيلاتها ومضمونها وخصائصها فى ابحاث أ. غينكو واى. كراتشكوفسكى وأ.برابانوف (٣٩).

يقول أ.سيميونوف فى كتاباته (٤٠) ان مجموعة مخطوطات معهد اللغة والادب التابع لاكاديمية العلوم فى طاجكستان السوفيتية قد أسست فى العام ١٩٥٣، عندما تسلم المعهد مخطوطات من مكتبة الفردوسى العامة ومن معهد شيفتشنكو للتربية ومؤسسات تربوية اخرى فى مدينة دوشنبه . وفى العام ١٩٥٧ بلغت محتويات المجموعة ٢٣١٤ مجلدا تضم قرابة ١٠ الاف من المؤلفات المتفرقة وزهاء ٢٠٠ قطعة من الوثائق. ولكن يبدو ان عملية جمع ارصدة مخطوطات دوشنبه لم تستمر حتى النهاية . فمكتبة الفردوسى العامة ومكتبة

اكاديمية العلوم بجمهورية طاجكستان السوفيتية لها ارصدة مخطوطات خاصة بها ، كما يستدل من بحث ب. روزينفيلد المذكور (سنة ١٩٦٦) ومن المعلومات التى قدمتها المؤسسات المذكورة فى العام ١٩٧٢ الى لجنة المخطوطات الاثرية فى اكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى.

ان مخطوطات طاجكستان العربية لم تفرز ولم تحص بصورة منفردة ،كما لم تنشر عنها اية ابحاث خاصة .فمجلدات الفهرس الخمسة التى اصدرها معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم فى طاجكستان لا تتضمن سوى وصف للمخطوطات الطاجكية الفارسية . ويزاول معهد التاريخ التابع للاكاديمية المذكورة عملا واسع النطاق فيما يتعلق بجمع المواد الوثائقية والابيغرافية .

ويضم معهد ك. كيكيليدزه التابع لاكاديمية العلوم فى جورجيا السوفيتية (تبليسى) ١٤١٩ مخطوطة وحوالى ٣٠٠ مقتطف و٣١٨ وثيقة باللغة العربية . ويضم المجلد الاول من الفهرس الذى صدر فى العام ١٩٦٩ وصفا لما يسمى مجموعة كاجار ومن ضمنها ٣٤ مخطوطة عربية . اما المخطوطات الباقية فتدخل ضمن المجموعة "المحلية" ومجموعة "آسيا الوسطى" (٦٥٥ و٧٣٠ قطعة على التوالى) (٤١).

ولدى دار ماتندران الجمهورية للمخطوطات فى يريفان ٦٠٠ مخطوطة بالابجدية العربية . لكن المخطوطات المدونة باللغة العربية لم تفرز بعد، ولم تتناولها بالشرح الابحاث الاستعراضية الصادرة عن هذه الدار.

وهناك مخطوطات عربية لدى ست من مؤسسات موسكو. فقد ورث معهد العلاقات الدولية مجموعة معهد لازاريف للغات الشرقية سابقا . وقد تضم الفهرس الصادر سنة ١٨٨٨ (٤٢) وصفا موجزا لـ ١٤ مخطوطة عربية ، كما تضمنت نشرة "الاثار الشرقية" التى كانت تصدر عن معهد لازاريف وصفا لخمس

مخطوطات عربية تسلمها المعهد فى وقت لاحق (٤٣)٠ ويضم متحف التاريخ بموسكو مجموعة سكوبيليف المؤلفة من ١٩٧ مخطوطة معظمها عربية٠ والاشعار الوحيد المطبوع عنها قد ورد فى مقال استعراض نشره المستشرق الالمانى م٠ هارتمان (٤٤)٠ واقتنى متحف الثقافات الشرقية من موجودات مكتبة ف٠ ويليامينوف ـ زيرنوف مجموعة مخطوطات بينها مخطوطة عربية واحدة٠ وقد نشر أ٠ سيميونوف قائمة بهذه المخطوطات (٤٥)٠ وقد وصفت مجموعة جامعة موسكو التى تحتوى على ثلاث مخطوطات عربية، وهى مجموعة صغيرة اصلا، فى العام ١٨٣٧ (٤٦)، ولم يجرى تعزيزها منذ ذلك الحين٠ ولدى متحف بوشكين للفنون التشكيلية زهاء ١٩٠ نصا عربيا على البردى من مجموعة ف٠ غولينيشيف التى تسلمها المتحف فى العام ١٩١١ (٤٧)٠ وتحتفظ مكتبة لينين بما ينوف على ٢٠٠ مخطوطة عربية وقد كتب عن بعض منها غ٠فرين وب٠دورن، بعد ان تلقاها متحف روميانتسيف انذاك٠ وقد ورد ذكر هذه المخطوطات فى قوائم الجرد غير المنشورة التى وضعها ف٠ ستارينين (١٥٢ قطعة) وأ٠ ميخايلوفا (١٢ قطعة) (٤٨)٠

وفى القرم ذكر اغناطيوس كراتشكوفسكى فى العام ١٩٢٤ (٤٩) ان هناك ١٠ مخطوطات فى بقشى سراى وايفباتوريا٠ ويحوى متحف بقشى سراى اليوم ١٤٠ مخطوطة عربية واخريين تركية ـ عربية (حسب القائمة التى تفيد بان من المزمع تسليم هذه المخطوطات الى المكتبة الوطنية العامة)٠

وفى العام ١٩٢٥ عثر كراتشكوفسكى (٥٠)فى كييف على ١٦ مخطوطة عربية فى مكتبة اكاديمية العلوم بجمهورية اوكرانيا السوفيتية، وعلى ٦ مخطوطات فى مكتبة عموم شعب اوكرانيا (من المجموعة السابقة للاكاديمية الدينية ومتحف

الاثار الكنسى) وعلى مخطوطتين فى معهد التعليم الشعبى.
وتتوفر ٧٤ قطعة حفظ باللغة العربية حاليا فى المكتبة العلمية المركزية لاكاديمية العلوم باوكرانيا السوفيتية، من ضمنها مجموعة الاكاديمى أ. كريمسكى. كما تتوفر لدى متحف الفن الغربى والشرقى فى كييف مخطوطة واحدة و٤ مقتطفات.

وكانت مجموعة مكتبة جامعة خاركوف التى وصفها أ. كوفاليفسكى (٥١) تضم ١١ مخطوطة عربية وواحدة تركية. عربية، ولم تشهد هذه المجموعة ما يرفدها منذ ذلك الحين.

وكان متحف محافظة بسكوف المحلى قبل الحرب يضم ٥ من المخطوطات العربية والبيلوروسية ـ العربية (٥٢).

وقد عثر مؤخرا فى مكتبة محافظة كويبيشيف على مخطوطة عربية ترتدى قدرا عظيما من الاهمية بالنسبة لتاريخ العلم، لانها تضم ١٦ رسالة لمؤلفين مختلفين من القرون ١٠ ـ ١٥ فى الرياضيات والفلك والبصريات. ولم تعرف الاوساط العلمية بنص ٤ او ٥ رسائل منها لاول مرة الا بفضل هذه المخطوطة. وقد نشر اشعارا اوليا عنها ب. روزينفيلد (٥٣).

وتحتفظ مكتبات واراشيف ومتاحف مختلفة اخرى فى مدن الاتحاد السوفيتى بمجموعات صغيرة او نسخ منفردة من المخطوطات والوثائق المدونة اما بالابجدية العربية او باللغة العربية. ولم ينشر عنها اى خبر، بطبيعة الحال. اما المعلومات الموردة ادناه فقد بعث بها منتسبو هذه الدوائر الى قسم نشر الاثار التاريخية فى معهد الاستشراق والى لجنة المخطوطات الاثرية فى اكاديمية العلوم السوفيتية (٥٤).

الما ـ اتا، المكتبة العلمية المركزية لاكاديمية العلوم فى كازاخستان السوفيتية ـ ٥٠ مخطوطة عربية.

عشق اباد، ارشيف الدولة المركزى لجمهورية تركمانيا السوفيتية ـ ٣٤ مخطوطة شرقية. مكتبة كارل ماركس العامة

فى الجمهورية — ٣ مخطوطات. قسم المخطوطات بمعهد اللغة والادب التابع لاكاديمية العلوم فى تركمانيا السوفيتية — زهاء ٣٠٠ مخطوطة عربية .

بوغولما ، متحف بوغولما المحلى — ٦٧ مخطوطة و٥٧ وثيقة .

غروذني، المتحف المحلى لجمهورية شاشانو — انغوشيا الذاتية الحكم — ٢٧ مخطوطة عربية من القرون ١٨ — ٢٠، معهد التاريخ واللغة والادب والاقتصاد للابحاث العلمية فى شاشانو — انغوشيا — ٧٠ مخطوطة ، معظمها عربية .

زكاة الله ، متحف التاريخ المحلى — ٦٥٠ مخطوطة .

ايفانوفو، متحف محافظة ايفانوفو المحلى — حوالى ١٠ مخطوطات عربية (٥٥) .

لفوف ، مكتبة جامعة لفوف — ٢٩ مخطوطة عربية و٩ مخطوطات فارسية . مكتبة ستيفانيك العلمية فى لفوف — ٧ مخطوطات عربية . ارشيف لفوف التاريخى — مخطوطة عربية واحدة . متحف التاريخ فى لفوف — مخطوطة عربية واحدة من القرن السادس عشر (٥٦) . متحف لفوف لتاريخ الاديان والعلمانية جزء من مخطوطة عربية .

اما بشأن نشر الفهارس والقوائم والمقالات الاستعراضية للمجموعات المخطوطة فتلك مسألة اخرى لها خصوصياتها . ففى هذا المضمار انجز الكثير، كما راينا ، وينجز الان فى مختلف مراكز علم الاستشراق فى بلدنا . ولكن لحد الان لم تتم سوى فهرسة عدد ضئيل من المخطوطات العربية . فلم تنشر اية مؤسسة بعد فهرسا كاملا لمخطوطاتها وينسحب هذا القول حتى على مجموعات لينينغراد رغم كثرة الابحاث والمؤلفات المطبوعة المكرسة لها .

فى غضون السنوات الخمس عشرة او العشرين الاخيرة انجز

فرع معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم فى لينينغراد عملا واسع النطاق فى ميدان وصف المخطوطات الشرقية . فقد نشرت فهارس واستعراضات جملة من ارصدة مخطوطات الشرق الاقصى (٥٧) والمخطوطات والوثائق الارمنية والجورجية والكردية والهندية والعربية والفارسية والتركية . وجرى بجهود طائفة من المؤلفين وفرق الاختصاصيين تناول وبحث مسائل منهجية (٥٨) فى هذا المضمار. وقد انجز لفيف من منتسبى مكتب الاكاديمى كراتشكوفسكى لشؤون الاستعراب فهرسا تصنيفيا للمخطوطات العربية (زهاء ١٠٨٠٠ قطعة) ودفع به الى المطبعة .

أنس خالدوف
دكتور فى العلوم اللغوية والادب

الهوامش

(١) كانت كلتا اللغتين تستعملان الابجدية العربية وتزخران بالمقتبسات من العربية .

(٢) فرين خ.د.، اشعار اولى عن ضرورة اغناء المتحف الاسيوى لاكاديمية العلوم فى سانكت ـ بطرسبورغ بالمخطوطات العربية والفارسية والتركية، مع تحديد موقعه، وعن كنوزه السالفة ـ سانكت ـ بترسبورغسكيه فيدوموستى، ١٨١٩، العدد ٩٣، المحلق. ونشر المقال باللغتين الروسية والالمانية (سافيلييف ب.س.)، اضواء على حياة فرين ومؤلفاته العلمية، مكتبة سانكت ـ بطرسبورغ، ١٨٥٥، ص ٦٢، العدد ٣١ و٣٢).وقد اعيد نشر المقال، شأنه شأن العديد من مقالات فرين الاخرى:
Dorn B. Das Asiatische Museum der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften zu St. Petersbourg. Spb., 1846, S. 201-216.

(٣)
Fraehn Ch.M. Vorlautiger Bericht uber eine neue bedeutende Eereicherung des orientalischen Manuscripten-Apparats der Kais. Akademie der Wissenschaften.- As.Mus., S. 279-294.

(٤) As.Mus., S. 352-373, 378-385, 429, 444.

(نهمل هنا العناوين المطولة للمقالات والملاحظات الصغيرة الحجم).

(٥) محاضر الاجتماعات ونصوص التقارير نشرت ، انظر:

As.Mus., S. 29, 34, 49, 52-53, 68, 77, 83, 89, 218-219, 253, 450-452, 540, 745-749.

(٦) للاطلاع على تعدادها الكامل انظر: سافيليف ب.س.، اضواء على حياة فرين ومؤلفاته العلمية، ص ٦١- ٧٥، الاعداد ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٥٩، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٦٢.

(٧) Frahn C.M. Ibn Foszlan's und anderer Araber Berichte uber die Russen alterer Zeit. Text und Ubersetzungen nebst drei Beilage. SPb., 1823.

(٨) اغلب الظن ان دورن اعتمد فهرس فرين المذكور كنموذج، فوضع شروحا تصنيفية للمخطوطات كانت تنشر، عادة، فى "انباء اكاديمية العلوم" ثم تكرر نشرها فى سلسلة مختارات "Melanges asiatiques" (t. I-XVI, SPb., 1852-1892) والتى نعتمد عليها: المجلد ٢، ص ٥٣ - ٦٠؛ المجلد ٣، ص ٤٩، ٤٩٢ - ٥٠١، ٧٢٥ - ٧٣٤؛ المجلد ٤، ص ٣٤ - ٥٤، ٤٧٣، ٤٩٨؛ المجلد ٥، ص ٢٢١ - ٣١٣، ٤٥٥، ٤٥٧؛ المجلد ٦، ص ٩٠ - ١١٠، ١١٦، ١٢٠ - ١٢٦، ٦٧١ - ٦٧٧؛ المجلد ٧، ص ٣٩٧ - ٣٩٩؛ المجلد ٨، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٩)
Catalogue des manuscrits et xylographes orientaux de la Bibliotheque Imperiale Publique de St. Petersbourg. SPb., 1852 (وهى تضم وصف ٢٣٧ مخطوطة عربية).

(١٠)
Rosen V. Les manuscrits arabes de l'institut des langues

orientales. SPb., 1877 (Collections scientifiques de l'Institut des langues orientales du Ministere des Affaires etrangairs, t. I).
وتضم وصف ٢٢٩ مخطوطة، وهناك ٤ مخطوطات اخرى وصفت في المجلد ٦ من نفس السلسلة التي صدرت في ١٨٩١.

(١١)
Rosen V.R. Notices sommaires des manuscrits arabes du Musee Asiatique. SPb., 1881.
ولم ينجز الاصدار الثاني للفهرس.

(١٢) زاليمان ك.، روزين ف. ، قائمة بالمخطوطات الفارسية والتترية - التركية والعربية لمكتبة جامعة سانكت - بطرسبورغ. سجلات القسم الشرقي في الجمعية الروسية للاثار الخطية، ١٨٨٨، المجلد ٢، ص ٢٤١ - ٢٦٢؛ ١٨٨٩، المجلد ٣، الاصدار ٣، ص ١٩٧ - ٢٢٢؛ الفصلة ذات العنوان اللاتيني. سانكت - بطرسبورغ، ١٨٨٨.

(١٣)Melanges asiatiques، 1935المجلد ١٠، ص ٢٧١- ٢٩٢؛ اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٥، ١٨٩٨، المجلد ٨، ص ٦ - ١٨؛ ١٩٠١، المجلد ١٤، ص ٢١ - ٢٣؛ المجلد ١٥، ص ١٦ - ١٧؛ السلسلة ٦، ١٩٠٧، المجلد ١، العدد ١٨، ص ٧٩٩ - ٨٠٢؛ ١٩٠٨، المجلد ٢، العدد ١٨، ص ١٢٩٧ - ١٣٠٢؛ ١٩٠٩، المجلد ٣، العدد ١٢، ص ٨١٥ - ٨١٦؛ ١٩١١، المجلد ٥، العدد ٤، ص ٢٥١ - ٢٦٥؛ ١٩١٢، المجلد ٦، العدد ١٤، ص ٨٦١ - ٨٧٠؛ ١٩١٣، المجلد ٧، العدد ١٤، ص ٨٠١، ٨٠٣ - ٨٠٤.

(١٤) تقرير عن نشاط المتحف الاسيوي للعام ١٩١٦. بتروغراد، ١٩١٧، ص ١.

(١٥) كراتشكوفسكي أ.ي.، المخطوطات العربية الواردة الى المتحف الاسيوي لاكاديمية العلوم في روسيا من جبهة القفقاس. اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩١٧، ج ١١، العدد ١٣، ص ٩١٣ - ٩٤٩؛ كراتشكوفسكي ايضا : المخطوطات العربية من مجموعة غريغوريوس الرابع، بطريرك انطاكيا ، (جرد موجز)-

الشرق المسيحى المجلد ٧، ص ١ ــ ٢٠ . (فصلة من مجلد لم يصدر، لينينغراد، ١٩٢٤) . للمؤلف ايضا : مخطوطة جديدة لاشعار ذى الرمة . ــ اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩١٨، ج ١٢، العدد ٦، ص ٣٦٩ ــ ٣٨٠؛ للمؤلف ايضا : ديوان ذى الرمة ومخطوطة بتروغراد، اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩٢٣، ج ١٧، الاعداد ١ ــ ١٨، ص ١٤٩ ــ ١٥٦؛ للمؤلف ايضا : مخطوطة (Destructio philosophorum) الغزالى فى المتحف الاسيوى. ــ وثائق اكاديمية العلوم، السلسلة ب ، ١٩٢٥، ص ٤٧ ــ ٤٩.

(١٦) لقد اعيد طبع معظمها ، وكذلك المذكور منها اعلاه فى مؤلفاته المختارة (المجلدات ١ و٢ و٤. موسكو ــ لينينغراد، ١٩٥٥ ــ ١٩٦٠)، واعيد طبع الباقى فى الهوامش البيبليوغرافية الملحقة بهذه المجلدات.

(١٧) روماسكيفيتش أ.أ.، جدول المخطوطات الفارسية والتركية ــ التترية والعربية لمكتبة جامعة بتروغراد. ــ النشرة الدورية لهيئة المستشرقين فى المتحف الاسيوى لاكاديمية العلوم الروسية ، المجلد ١، لينينغراد، ١٩٢٥، ص ٣٥٣ ــ ٣٧١؛ فصلة عنوان ــ باللاتينية . لينينغراد، ١٩٢٥؛ بيلياييف ف.أ.، المخطوطات العربية لمجموعة بخارى فى المتحف الاسيوى ــ معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية . لينينغراد، ١٩٣٢ (اعمال معهد الاستشراق لاكاديمية العلوم ــ ٢)؛ ولنفس المؤلف. الكتاب العربى المخطوط فى مجموعة معهد الكتب والوثائق والمخطوطات التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية . موسكو ــ لينينغراد، ١٩٣٦؛ بوريسوف أ.ى.، مخطوطات المعتزلة فى المكتبة الحكومية العامة بلينينغراد. ــ بيبليوغرافية الشرق، ١٩٣٥، العدد ٨ ــ ٩، ص ٦٩ــ٩٥؛ وللمؤلف ايضا . حول مخطوطات المعتزلة المكتشفة فى لينينغراد

واهميتها بالنسبة لتاريخ الفكر الاسلامى. ـ ابحاث الدورة الاولى للمستعربين ١٤ ـ ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٣٥ (اعمال معهد الاستشراق لاكاديمية العلوم، ٢٤، موسكو ـ لينينغراد، ١٩٣٧، ص ١١٣ ـ ١٢٥؛ بيليايف ف.ا.، مجموعات البرديات العربية فى موسكو ولينينغراد. ابحاث الدورة الثانية لجمعية المستعربين. ١٩ ـ ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ (اعمال معهد الاستشراق لاكاديمية العلوم، ٣٦)، موسكو ـ لينينغراد، ١٩٤١، ص ٧١ ـ ٨٠.

(١٨) بيليايف ف.ا.، المخطوطات العربية فى مجموعة معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية. ـ النشرة العلمية لمعهد الاستشراق" ١٩٥٣، ٦، ص ٥٤ ـ ١٠٣؛ بيليايف ف.ا.، بولغاكوف ب.غ.، المخطوطات العربية فى مجموعة جامعة لينينغراد. ـ فى كتاب : فى ذكرى الاكاديمى اغناطيوس كراتشكوفسكى. لينينغراد، ١٩٥٨، ص ٢١ ـ ٣٥؛ فهرس المخطوطات العربية لمعهد شعوب آسيا التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية، الاصدار ١. خالدوف أ.ب.، الادب الروائى، موسكو، ١٩٦٠؛ الاصدار ٢. ميخايلوفا أ.ا.، مؤلفات فى الجغرافية، موسكو، ١٩٦١؛ الاصدار ٣. ولنفس المؤلفة. التاريخ، موسكو، ١٩٦٥؛ ولها ايضا عرض للمخطوطات العربية من "السلسلة الجديدة" مكتبة سالطيكوف ـ شيدرين العامة، كتاب مختارات شرقية، ١٩٧٢، الاصدار ٣، ص ٤٣ ـ ٦٠. ويجرى وضع فهرس لكل المخطوطات العربية فى المكتبة الحكومية العامة (على يد ف.ف. ليبيديف).

(١٩) كال ى.، المخطوطات الفارسية والعربية والتركية فى مكتبة تركستان العامة، طشقند، ١٨٨٩.

(٢٠) برتولد ف.ف.، مطالعات فى مكتبات ومتاحف تركستان صيف العام ١٩٢٥. ـ اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة

٦، ١٩٢٦، المجلد ٢٠، العدد ٣ ـ ٤، ص ٢١٧ ـ ٢٣٦؛ وله ايضا ، مكتبة تركستان الحكومية والجامع الاسلامى المحلى. ـ نشرة هيئة المستشرقين فى المتحف الاسيوى لاكاديمية العلوم الروسية ، المجلد ١، ص ٩٧ ـ ١٠٥.

(٢١) سيرغيييف ف.س.، قائمة بمخطوطات فياتكين ف.ل.، الشرقية فى المكتبة الحكومية العامة باوزبكستان السوفيتية. ـ ابحاث المكتبة الحكومية العامة باوزبكستان السوفيتية، المجلد ١، طشقند، ١٩٣٥، ص ٦٠ ـ ٩١ .(ذكرت فيها ١٩٠ مخطوطة عربية و٤ عربية فارسية).

(٢٢) هؤلاء هم المستعربان بليايف ف.ا.، وستاركوف ك.ب.، والمختصان بايران ميكلوخا ـ مكلاى ن.د. وسميرنوفا او.ا.، والمختصان بالتركيات كونونوفا ن. وتفيريتينوفا ا.س.

(٢٣) مجموعة المخطوطات الشرقية فى اكاديمية العلوم باوزبكستان السوفيتية ، المجلد ١، طشقند، ١٩٥٢.

(٢٤) سيميونوف ا.ا.، المكتبة الحكومية العامة وارصدة المخطوطات الشرقية فى اوزبكستان. ـ ليتراتورنى طشقند، الاصدار ١. طشقند، ١٩٤٥، ص ١١٢ ـ ١١٧؛ وله ايضا : الارصدة الاوزبكية للمخطوطات والوثائق الشرقية . اطروحات تقارير الدورة اليوبيلية لاكاديمية العلوم فى اوزبكستان السوفيتية بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس جمهورية اوزبكستان السوفيتية الاشتراكية . طشقند، ١٩٤٩، ص ٩٢ ـ ٩٣؛ عظيمجانوفا س.ا.، المخطوطات الشرقية لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم فى اوزبكستان ودراستها . ابحاث المعهد المذكور، ١٩٥٤، الاصدار ٣، ص ١٤٥ ـ ١٥٤؛ سيميونوف ا.ا.، ارصدة مخطوطات آسيا الوسطى واهمية دراستها . ـ مواد المؤتمر الوطنى العلمى الاول للمستشرقين فى طشقند، ٤ ـ ١١ حزيران (يونيو) ١٩٥٧،

طشقند، ١٩٥٨، ص ٩١٢ – ٩٢٠؛ عظيمجانوفا س.ا .وفورونوفسكي د.غ.، مجموعة المخطوطات الشرقية لاكاديمية العلوم في اوزبكستان. – في كتاب: ارصدة علم الاستشراق في كبريات دور كتب الاتحاد السوفيتي. موسكو، ١٩٦٣، ص ١١٠ – ١٢٧.

(٢٥) سيميونوف ا.ا.، وصف المخطوطات الفارسية والعربية والتركية في مكتبة المراجع الاساسية بجامعة آسيا الوسطى، طشقند، ١٩٣٥؛ وله ايضا : وصف المخطوطات الطاجكية والفارسية والعربية والتركية في مكتبة المراجع الاساسية المذكورة اعلاه، الاصدار ٢، طشقند، ١٩٥٦.

(٢٦) شيبونين أ.، المصحف الكوفي في مكتبة سانكت – بطرسبورغ الامبراطورية. – سجلات القسم الشرقي في الجمعية الروسية للاثار الخطية، ١٨٩٢، المجلد ٦، ص ٦٩ – ١٣٣.

(٢٧) سيدوف ف.، تاريخا داير اليزمالاري (سيدوف ف.، حول مخطوطات علم التاريخ). – ابحاث رصيد المخطوطات الجمهوري لاكاديمية العلوم الاذربيجانية، ١٩٦١، العدد ١، ص ٩ – ٣٩.

(٢٨) اليزمالاري كاتالوجو (تاريخ، جغرافيا، ادبيات، نظريه سي تذكير الر بديعً ادبيات ومنشات)، المجلد ١، باكو، ١٩٦٣.

(٢٩) روزنفيلد ب.ا.، المخطوطات العربية والفارسية بالفيزياء والرياضيات لدى مكتبات الاتحاد السوفيتي. – في كتاب : علوم الفيزياء والرياضيات في بلدان الشرق، الاصدار ١ (٤)، موسكو، ١٩٦٦، ص ٢٥٦ – ٢٨٩.

(٣٠) برتولد ف.ف.، مجموعات المخطوطات الشرقية في باكو. – اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩٢٥، المجلد ١٩، العدد ١٧، ص ٩٤٦ – ٩٥١.

(٣١) غوتوالد ا.، وصف المخطوطات العربية لدى مكتبة

جامعة قازان الامبراطورية . قازان، ١٨٥٥.

(٣٢) وصفت فى كتاب: كاتانوف ن.ف.، عضو شرف فى جامعة قازان الامبراطورية، البروفيسور والمكتبى يوسف غوتوالد. قازان، ١٩٠٠.

(٣٣) قبل وصول هذه المجموعة الى المكتبة لم يسجل سوى ٢٦ مخطوطة منها ٢ عربية : جرد بالكتب والمخطوطات المحفوظة فى ارشيف جامعة قازان الامبراطورية باللغات العربية والفارسية والتركية والتترية والقرغيزية والجغتائية والمنغولية . قازان، ١٨٩٨.

(٣٤) كراتشكوفسكى ا.ى.، مجموعة المخطوطات العربية فى قازان. وثائق اكاديمية العلوم، السلسلة ب ، ١٩٢٤،ص ١٦٩ – ١٧٢؛ انظر كذلك للمؤلف نفسه : مؤلفات مختارة، المجلد ٦ ، موسكو – لينينغراد، ١٩٦٠، ص ٤٥٥ – ٤٥٩.

(٣٥) هذا الجرد يحفظ الان فى قسم المخطوطات بفرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم.

(٣٦) خورى أ.، مخطوطة تاريخ ابن مسكويه فى قازان.– وثائق اكاديمية العلوم، السلسلة ب ، ١٩٢٤، ص ١٨٤ – ١٨٦.

(٣٧) رومانوف ى.س.، نبذة موجزة لتاريخ المكتبة العلمية لجمهورية تتريا بجامعة قازان، ١٨٠٤ – ١٨٣٩. قازان، ١٩٤٠؛ كريمولين أ.، ارصدة علم الاستشراق لمكتبة جامعة اوليانوف (لينين) فى قازان. – فى كتاب: ارصدة علم الاستشراق فى كبريات دور كتب الاتحاد السوفيتى،ص ٢٢٨– ٢٣٦.

(٣٨) مثلا: عادات غيداتلين. محج قلعة، ١٩٥٧؛ سعيدوف م.، ادب داغستان فى القرنين ١٨ – ١٩ باللغة العربية – ابحاث المؤتمر الدولى الخامس والعشرين للمستشرقين. موسكو، ٩ – ١٦ آب (اغسطس) ١٩٦٠، المجلد ٢، موسكو، ١٩٦٣،ص ١١٨ –

١٢٣؛ شيخ سعيدوف أ٠ر٠، معطيات جديدة عن تاريخ داغستان في القرون الوسطى٠ ـ النشرة العلمية لمعهد التاريخ واللغة والادب التابع لاكاديمية العلوم /فرع داغستان/، ١٩٦١، المجلد ٩، ص ١٣٧ ـ ١٥٤؛ باركويف ك٠، احمدوف م٠ك٠، شيخ سعيدوف أ٠، معلومات تاريخية عن داغستان في مخطوطات عربية٠ ـ المصدر السابق، ١٩٦٣، المجلد ١١ (السلسلة التاريخية)، ص ١٧٣ـ ١٨٥؛ عليف ب٠غ٠، اثار المخطوطات العربية في القرنين ١٧ ـ ١٨ عن تاريخ درجينيا العليا٠ ـ المصدر السابق، ١٩٧٠، المجلد ٢٠، ص ٢٥٣ ـ ٢٦٢٠

(٣٩) غينكو أ٠ن٠، اللغة العربية ودراسة القفقاس٠ ـ ابحاث الدورة الثانية لجمعية المستعربين٠ ١٩ ـ ٢٣ تشرين الاول /اكتوبر/ ١٩٣٧، ص ٨١ ـ ١١٠؛ كراتشكوفسكي أ٠ي٠، مؤلفات مختارة، المجلد ٦، ص ٥٥١ ـ ٦٢٢، وبيبليوغرافيا على الصفحة ٦٢٩ والصفحة ٦٣١؛ بربانوف أ٠م٠، علامات توضيحية في المخطوطات والوثائق العربية لشمال القفقاس٠ ـ الاستشراق السوفيتي، ١٩٤٥، ج ٣، ص ١٨٣ ـ ٢١٤٠

(٤٠) سيميونوف أ٠أ٠، ارصدة مخطوطات آسيا الوسطى ٠٠٠ ص ٩١٥٠

(٤١) فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية لدى معهد كيكيتيدزه للمخطوطات التابع لاكاديمية العلوم في جورجيا السوفيتية، تبليسي، ١٩٦٩٠ فهرس المخطوطات العربية لدى المعهد المذكور (المجموعة ط)، الاصدار ١، تبليسي، ١٩٧٨٠

(٤٢) فهرس كتب ومخطوطات مكتبة معهد لازيريف للغات الشرقية، موسكو، ١٨٨٨، ص ٢١ ـ ٢٧، ١١١ ـ ١١٥، ١٢٨ـ ١٣١٠

(٤٣) الاثار الشرقية، المجلد ١، الاصدار ٣، موسكو، ١٨٩٣٠ المحاضر، ص ٣٠؛ المجلد ٢، الاصدار ٢، موسكو، ١٩٠١٠

المحاضر، ص ١٧٧ ـ ١٧٨؛ المجلد ٣، الاصدار ١، موسكو، ١٩٠٧، ص ٢٤ ـ ٣٣.

(٤٤)

(٤٥) سيميونوف أ.أ.، المخطوطات الشرقية فى مكتبة المرحوم ف. فيليامينوف ـ زيرنوف . ـ اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩١٩، المجلد ١٣، الرقم ١٥، ص ٨٥٥ ـ ٨٧٢.

(٤٦) بيتروف ب.ى.، عرض للمخطوطات العربية والفارسية والتركية المحفوظة فى مكتبة جامعة موسكو، مكتبة سانكت ـ بطرسبورغ، ١٨٣٧.

(٤٧) بيليا ييف ف.ا.، مجموعة البرديات العربية فى موسكو ولينينغراد، ص ٧٥.

(٤٨) بالاعتماد على النسخ المطبوعة من قوائم الجرد هذه، نشر ضيفنا العراقى عبد الجميد العلوجى جردا موجزا للمخطوطات فى مجلة "المويد" التى يترأس تحريرها (بغداد، ١٩٧٣، المجلد ٢، العدد ٢، ص ٢١٢ ـ ٢٢٢).

(٤٩) كراتشكوفسكى أ.ى. تقرير عن ايفاده الى القرم صيف العام ١٩٢٤، اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، ١٩٢٤، المجلد ١٨، العدد ١٢، ص ٦٦٢ ـ ٦٧٠.

(٥٠) كراتشكوفسكى أ.ى.، تقرير عن ايفاده الى القرم صيف العام ١٩٢٥، اخبار اكاديمية العلوم، السلسلة ٦، العام ١٩٢٥، المجلد ١٩، العدد ١٨، ص ٩٩٦ ـ ١٠٠٥.

(٥١) كوفاليفسكى أ.، وصف المخطوطات الشرقية لدى المكتبة المركزية لجامعة خاركوف. ـ بيبليوغرافيا الشرق، ١٩٣٥، الاصدار ٧، ص ٩٣ ـ ١١٥.

(٥٢) كراتشكوفسكى أ.ى.، مؤلفات مختارة، المجلد ٦، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٩.

(٥٣) روزنفيلد ب.أ.؛ تحفة مهمة في تاريخ الرياضيات والفلك والبصريات. - مسائل تاريخ علم الطبيعيات والتقنية، الاصدار ٢ - ٣ (٤٧ - ٤٨).موسكو، ١٩٧٤، ص ١٢٣ - ١٢٤. هذه المخطوطة اعطيت الان للحفظ في المكتبة الحكومية العامة.

(٥٤) ارسلت طلبيات بمبادرة من تفيريتينوفا أ.ى.، (حولية الاثار الخطية للعام ١٩٧٣). وقد وضع الأجوبة الواردة في حوزتنا منتسب معهد الاستشراق بيفزنر س.ب. والارقام الموردة هنا تقوم على تقديرات اجريت عند وضع الفهرس التوضيحي للمخطوطات العربية في العالم اجمع على يد ميخايلوفا أ.ب. وكاتب هذا المقال (عن معهد الاستشراق - فرع لينينغراد). وقد ادخل الدكتور ليبيديف ف.ف.، بعض التعديلات والتصويبات (فيما يتعلق بمدن غروزني، ايفانوفو، لينينغراد، موسكو، طشقند)، ايتبيروف ت. (فيما يتعلق بداغستان)، ريبالكين ف.س. (فيما يتعلق بكييف ولفوف واوديسا) لذا استغل هذه الفرصة لاعبر لهم عن خالص امتناني.

(٥٥) روجديستفينسكي ن.ب.، تقرير عن ايفاد اثاري الى مدينة ايفانوفو، اعمال قسم وثائق الادب الروسي، ١٩٥٤، المجلد ١٠، ص ٤٨٦.

(٥٦) النسخة الاصلية من المخطوطة التي نشرها كراتشكوفسكي عن نسخة فرين - شهادة يواكيم الرابع بطريرك انطاكيا الى رعية لفوف في العام ١٥٨٦ (كراتشكوفسكي أ.ى.، مؤلفات مختارة، المجلد ٦، ص ٤٤٥ - ٤٥٤).

(٥٧) للاطلاع انظر: مينشيكوف ل.ن.، ارصدة مخطوطات

الشرق القصى وآسيا الوسطى فى فرع لينينغراد من معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية. — حولية الاثار الخطية للعام ١٩٧٠، موسكو، ١٩٧١، ص ٢٧٧ — ٢٩٠.

(٥٨) ان عرض الاثار الخطية التى يجريها بانتظام فرع لينينغراد من معهد الاستشراق واستعراض كل ما نشر عن ارصدة مخطوطات الشرق الاوسط يتطلب مقالا منفردا.

مصنف مخطوط فى تأريخ العرب

محفوظ فى خزائن الكتب والمخطوطات

بمدينة لينينغراد

اولغا فرولوفا
الدكتورة فى العلوم اللغوية والاداب
يورى كامينيف

تحفظ فى القسم الشرقى لمكتبة جامعة لينينغراد مخطوطة تحت الرقم المجفور (الشفرة) ٢٠٤ وهى تضم خمسة تصانيف مختلفة . احدها تحت عنوان "كتاب تحفة الاساطين فى اخبار بعض الخلفاء والسلاطين" من تأليف بن عبد الله الارميونى وهو تلميذ المؤرخ والعالم الدينى المشهور عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى. ولد المؤلف فى قرية ارميون من محافظة الغربية بمصر ولا يعرف تأريخ ميلاده اما تاريخ وفاته فهو عام ٩٥٨ للهجرة (اى ١٥٥١ للميلاد) (١) . ويذهب بعض الباحثين الى القول بان وفاته كانت عام ١٥٥٣ (٢) . ولا تزال جميع مؤلفاته مخطوطة ولم تطبع لحد الان. وهى تتعلق بالتفسير والقراءات والحديث والسنة والشروح على المتون من بحوث سابقيه . ومؤلفه الوحيد فى التاريخ والوارد ضمن المخطوطة التى ألمعنا اليها كان يعتبر هذا الوقت الحاضر مفقودا ولا اشارة اليه بالمرة فى دليل كارل بروكلمان اما خير الدين الزركلى فقد عده ضمن "المؤلفات المفقودة او مجهولة المصير لعدم العثور عليه لحد الان (٣) . ولكن هذا البصيص من الامل قد تحقق بالعثور

كتاب نخبة تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء

والسلاطين جمع مولانا شيخ الشيوخ ومعدن

الفضل والرسوخ السيد الشريف

يوسف بن عبد الله الحسيني

الارميوني المحدث

عفى الله عنه

بمنه وكرمه

واما العسل فمائتين قنطار على خمسة وعشرين يوما

وباقي الشهر تبله وقمح خاصه واما قمح الخبز المفرق فيه ايضا

فخمسمائة اردب مصري وذلك من الذخيرة هذا اخر ما

قاله المصنف رحمه تعالى رحمة واسعة

وكان الفراغ من كتابته في اليوم

المبارك العشرين من صفر الخير

سنة سبع وخمسين

والف

ختم بالخير

الوف

على كتاب الارميونى الوحيد فى التاريخ بمخطوطتين احداهما فى القسم الشرقى للمكتبة العلمية باسم مكسيم غوركى بجامعة لينينغراد والاخرى فى الفرع اللينينغرادى لمعهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى.

انتهى نسخ المخطوطة الاولى منهما فى العشرين من صفر (الخير) سنة سبع وخمسين والف ١٠٥٧ الهجرة (اى ٢٧ آذار (مارس) عام ١٦٤٧ للميلاد) عقب مرور قرابة المائة عام على وفاة المؤلف وكما تدل عبارة الناسخ فانها كتبت فى الشرق الاوسط وعلى الارجح فى مصر. ولم يسلم غلافها الجلدى ويبدو انها جلدت فيما بعد بمدينة قازان (قزان) بغلاف اوربى كارتونى اى من الورق المقوى مشددا بجلد احمر مع بعض الزخرف المضغوط والورق شرقى صقيل ومساحة الورقة ٥ر١٩ فى ١٣ سم وحجم متن النص الصفحة ١٤ فى ٥ر٧ سم وعدد الاسطر فى الصفحة الواحدة ١٩ سطرا. والنص مكتوب بحبر صينى اسود اما عناوين الفصول واسماء الحكام والقابهم فانها وفق العادة المتبعة منقولة الى الحاشية الهامشية ومكتوبة بالحبر الاحمر الزئبقى والكتابة بخط النسخ (نسيخ تعليق) ويبلغ حجم الجزء الذى يخص هذا الكتاب من المخطوطة عشرين ورقة (من الورقة ٥٤ أ الى ٧٣ ب).

ودونت ضمن المخطوطة نفسها اربعة مؤلفات اخرى هى: ١) "خلاصة الخالصة" (الخلاصة) من تأليف على بن محمود بن محمد الرائض البدخشانى (من الورقة ١ أ الى ٤١ ب) وهى رسالة ذات طابع فلسفى؛ ٢) "رسالة النصر فى القصر" (والمقصود بالقصر صلاة القصر او قصر الصلاة اى الصلوات القصار ويعنى ذلك ما يخص بجواز اختصار الصلاة واحكام الفقه فى هذا الباب) من تأليف المفتى عمر اغا (الورقة ٤٢ ب ـ ٥٠ ب) وهى تتعلق بالافتاء حول جواز اداء الصلاة القصيرة واختصار الصلوات من

قبل افراد القوات العثمانية المتوجهة لغزو وفتح جزيرة كريت؛ ٣) "الجواهر المضية فى طبقات الحنفية" من تأليف عبد القادر بن ابى الوفا القرشى المصرى (١٢٩٧ - ١٣٧٣) وهى (من الورقة ٧٤ ب الى ٨٧ أ) ويتضمن الكتاب اسماء الله الحسنى واسماء الرسول وصفاته وسيرة الامام الفقيه ابى حنيفة والكتاب فى هذه المخطوطة مختصر وله طبعات شرقية اطول بكثير؛ ٤) "مقدمة فى علم التوحيد" ومؤلفها ابو اسحق التونسى (الورقة ٨٨ ب - ٩٢ ب). وقد كتبت على الاوراق الاخيرة (٩٤ أ - ١١٩ ب) فى وقت متأخر نصوص ادعية ومقتطفات من مؤلفات شتى (٤).

اما مخطوطة القسم الشرقى فكان قد اقتناها المستشرق القازانى ديتيل (١٨١٦ - ١٨٤٨) اثناء جولته السياحية فى بلدان الشرق (مصر وآسيا الصغرى وايران) عقب تخرجه فى دورة الكلية الشرقية بجامعة قازان عام ١٨٤٠ وفى سنة ١٨٤٨ اشترتها منه فى عداد المخطوطات الاخرى التى جمعها مكتبة جامعة قازان (٥). وفى عام ١٨٥٥ لدى تأسيس الكلية الشرقية بمدينة سانكت بطرسبورغ نقلت اليها ضمن مخطوطات اخرى من مكتبة جامعة قازان.

ومخطوطة معهد الاستشراق فى لينينغراد (رقم الشفرة ف - ٢٩٦٦) والتى تضم المصنف الذى يعنينا هنا جامعة. وقد استنسخت اواسط القرن التاسع عشر فى منطقة حوض نهر الفولغا (والعلامة الفارقة على الورق تعود الى عام ١٨٤٣. وهذا الورق من انتاج روسى) وقد كتب مصنف الارميونى فيها بالحبر البنى ودونت بالحبر الاحمر على الحواشى اسماء والقاب الخلفاء والسلاطين والخط نسخى دقيق والمخطوطة مجلدة فى غلاف كارتونى لصق عليه جلد مع زخرف مضغوط وكتابة مذهبة (مطموسة وممسوحة)، وفى الصفحة ١٥ سطرا ومساحة متن النص ١٤ فى

٧ سم (٦) . وتتضمن المخطوطة نفس المصنفات المدونة في مخطوطة القسم الشرقي وهي بالذات : ١) "خلاصة الخالصة" (الورقة ١ أ – ٣٦ ب)؛ ٢) "تحفة الاساطين" (الورقة ٦٨ أ – ٨٩ ب)؛ ٣) "الجواهر المضية" (الورقة ٩٠ أ – ١١١ أ)؛ ٤) "مقدمة في علم التوحيد" (الورقة ١١١ ب – ١١٥ أ)؛ ٥) "رسالة النصر في القصر" (١٤٠ أ – ١٤٩ أ) . وعلى الاوراق (٣٧ ب – ٦٧ أ) و(١١٦ ب – ١٢٠ أ) مختلف الصلوات والادعية ومقتطفات من مصنفات شتى . ومقارنة مخطوطتي القسم الشرقي لمكتبة جامعة لينينغراد ومعهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي (فرع لينينغراد) تدل على تماثلهما .

يشتمل مصنف الارميوني على عرض مقتضب لتاريخ العرب من عهد النبي الكريم محمد بن عبد الله وحتى عام ١٥١٧ تقريبا . وتعار عناية خاصة فيه الى حكام مصر . وكرس الفصل الاخير للسلطان المملوكي الملك الاشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ – ١٥٠١/٩٢٢ – ١٥١٦) من سلالة الاسرة الحاكمة ال البرجيين وهو من مواليد القوقاز (القفقاس) ومن بلاد التشركس (التشراكسة) ويحتوي على ملاحظات المؤلف الشخصية .

وعهد المماليك الذي عاش فيه الارميوني ثري بابرز المؤرخين العرب مثل ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (١٣٣١ – ١٤٠٦) والمقريزي احمد بن علي (١٣٦٤ – ١٤٤٢) وابن تغري بردي (١٤٠٩ – ١٤٧٠) وابن اياس محمد بن احمد (١٤٤٨ – ١٥٢٤) وابي الفداء اسماعيل بن علي (١٢٧٣ – ١٣٣١) والسيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر (١٤٤٥ – ١٥٠٥) وسواهم . وفي تصنيف الارميوني قياسا الى بحوثهم اخبار قليلة نسبيا فهو شديد الاقتضاب شحيح بالاخبار والمعلومات ولكونه عبارة عن عشرين ورقة مقابل العديد من المجلدات لدى الاخرين . ومن الطبيعي انه ليس من المتاح ان تستمد منه معلومات جديدة في التأريخ

بمقدار كبير بيد ان الملاحظات العائدة الى زمن حياة المؤلف مستطرفة وهى تضيف رتوشا طريفة الى لوحة حياة المصريين فى ذلك العهد. ويخبر المؤلف مثلا عن اعمال البناء والانشاء للحكام فى القاهرة وهى المدينة التى عاش فيها وشاهد مبانيها ووصفها كشاهد عيان. ولقد كان خلال الفترة التى يتحدث عنها فتى فى مقتبل الشباب يتلقى التحصيل على يد السيوطى الشهير مترددا على حلقات الجامع الازهر.

ونورد امثلة من ملاحظات المؤلف الطريفة ومراقباته ومشاهداته الشخصية. والمقطع الاول عن حكم السلطان الملك الظاهر قانصوه (٩٠٤ ـ ١٤٩٨/٩٠٥ ـ ١٤٩٩) من سلالة المماليك ـ البرجيين (الورقة ٧٢ أ): "بعد خلع الناصر محمد بن قايتباى (٧) ... سلطنة الملك الظاهر قانصوه فى سابع عشر ربيع الاول (سنة تسعمائة وثلاث) اربع من السنة المزبورة نهار الجمعة قبيل الصلاة. وحصل فى ايامه العدل والامن برا وبحرا وحاصره العسكر ثامن عشر من (ذى) القعدة سنة /اربع وتسعمائة/ خمس وخمسمائة الى ان تغيب يوم السبت اخر (ذى) القعدة منها، وامر به الى الثغر السكندرى بعد مسكة بمصر احسن الله خلاصه وفى ايامه عمل بالجامع الازهر فى ايام رمضان خبزا وحرمزة وكل من ولى اقر ذلك الى ان ولى سلطان العصر الملك الاشرف قانصوه الغورى فزاد ذلك اضعافه تفصيله من الخبز خمسة الاف واربعون رغيفا ومن اللحم البقرى ستة قناطير ومن العسل المرسل اربعة قناطير ومن الارز اردب المصرى هذا فى كل يوم من ايام (الورقة ٧٢ ب) رمضان غير ما له من الماثر الاتية فى ترجمته ان شاء الله تعالى..."

والمقطع الثانى عن حكم احد سلاطين المماليك ـ البرجبين السلطان الملك العادل سيف الدين طومان باى (٩٠٦ ـ ١٥٠١) والمقطع الثالث من هذه المقتطفات عن حكم الملك الاشرف قانصوه

الغورى (الورقة ٧٢ ب): "العادل طومان بـاى تسلطن نهار السبت ثامن عشر من جمادى الاخرة سنة (ست وتسعمائة) ست وتسعين وتسعمائة وفرح الناس به فرحا كبيرا وزينت له القاهرة فوق الاسبوع وكانت ايامه زاهرة وهو صاحب التربة العظيمة تجاه سبيل قيماز الخ. واجرى للصوفية فيها الاخباز والدراهم وله اجرا بالقرب من مدفن الامام الشافعى واستمر الى ان هرب بالقاهرة واستمر مستخفيا الى ان مسك وقتل ودفن فى تربته ثالث عشر // (ق ٧٣ (ذى)) القعدة سنة ست وتسعمائة لما هرب سلطنه الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغورى مستهل شوال سنة ست وتسعمائة لما هرب الملك العادل ليلة تأريخه وفيه خصال حسنة ومنها قربه من الناس ومنها عمارته بالحرم الشريف والحرم النبوى ومنها عمائره بطريق الحجاز/كالقلزم/ كالازلم والعقبة ونخل وعجرود وتجاريده على العرب المفسدة بدرب الحجاز وقتل المئين منهم حتى صار يسافر من القاهرة الى مكة النفر القلائل ونرجوا من الله تعالى ان يوسع ابار مغائر نبط فان فاها قليل ومنها صرفه الماء العظيم في (اجراء) اجر العين بمكة المشرفة ومنها صدقاته على الجامع الازهر (والجيوشى) والجيوش فى ايام رمضان ما تقدمت الاشارة اليه فى ترجمة الظاهر قانصوه ومنها ما عمره بالجامع الازهر من المأذنة العظيمة والسبيل. ومنها ما عمره وانشأه من المدرسة العظيمة بخط الجرابشين والقبة العظيمة بالمدفن العظيم والسبيل ومكتب الايتام وغير ذلك وما اجرا على الصوفية من الارزاق لكل نفر فى كل يوم ثلاثة ارطال خبز جواد وفى كل شهر دينار واحد ومنها ما انشأه خارج باب القرافة من الجامع والصوفية على ما شرح. ومنها ما انشأه بروضة المقياس تجاه مصر العتيقة وما اجرا بصوفيته. ومنها المجراة التى من النيل الاعظم الى القنعة التى لم يعمر مثلها

ومنها عمارته عند خليج الزعفران. ومنها //(ق ٧٣) المواكب الهائلة ومنها مهارات الملوك ومجئ قصادهم اليه ما لم يقع فى ايام غيره كقاصد ملك الهند واليمن والمغرب والروم والمشرق والعبر والفرنج ومنها فك الاسرى من بلاد الفرنج ثم قال المؤلف رحمه الله اخبرنى كاتب المطبخ بالجامع الازهر عن المصرف المجاورين ستمائة دينار وسبعون دينارا وذلك فى شهر رمضان ثمن الارز والحطب واللحم وبسلة وقمح واجره واما العسل فمائة قنطار على خمسة وعشرين يوما وباقى الشهر بسلة وقمع خاصة واما قمح الخبز المفرق فيه ايضا فخمسمائة اردب مصرى وذلك من الذخيرة. هذا اخر ما قاله المصنف رحمه تعالى رحمة واسعة.

وكان الفراغ من كتابته فى اليوم المبارك العشرين من صفر الخير سنة سبع وخمسين والف. ختمت بالخير العرف".

وكما تشهد المقاطع المقتطفة فان الارميونى يصف عن معرفة شخصية العهد المعاصر له وبالاخص بعض الجوانب المعاشية من الحياة فى الجامع الازهر حيث تلقى التحصيل. وهو يتحدث بتأثير وانفعال عن تغير الحكام فى مصر. ويعدد بفخر وحماس منجزات ونجاحات البلاد ويشير بضمنها الى صلات مصر الواسعة بالدول الاخرى ـ الهند واوربا. ويقص معجبا بالانشاءات الجديدة فى القاهرة وهى قائمة لحد الوقت الحاضر مثل مجموعة المبانى المعمارية فى الغورية من عهد السلطان معاصر المؤلف وهى تتالف من بناية مدرسة دينية غير بعيدة عن الازهر تعلوها منارة مربعة الاركان مكللة بتاج خماسى ومقبرة (لم يدفن فيها السلطان لكونه قتل فى معركة ولم يعثر على جثمانه) وشمالى المقبرة سبيل ماء لسقى العطاش وكتاب للايتام الصغار وفضلا عن ذلك مبنى رائع لوكالة تجارية هو عبارة عن خان كبير من المخازن والحوانيت.

وهذه المبانى وسواها لا تزال حتى الوقت الحاضر تبهر الانظار وتأخذ بالالباب وتثير لدى السياح دهشة الاعجاب. وطبيعى ان الارميونى وهو من طائفة رجال الدين المصريين الذين كانوا اتباعا فى خدمة رجال الاقطاع يغدق ايات الثناء على السلطان الحاكم. وجدير بالاشارة ان عطايا السلطان كانت تغدق على رجال الدين هؤلاء خاصة تزلفا الى الصوفيين الذين كان الارميونى بين ذويهم المقربين. وكان السلطان حرصا منه على التشبث بسلطانه لا معدى له عن الحفاظ على حسن العلاقة بهم والحظوة بتأييدهم ودعمهم.

وكتاب الارميونى هذا طريف ايضا للعالم اللغوى وشداة العلم والادب فهو شأن معظم المصادر التاريخية يعكس خواص عصره اللغوية ومن ذلك مثلا كلمة حرمزة كناية عن الطعام وهى من المصطلحات السائرة فى ذلك الزمان وغير مستعملة حاليا فهى اذن من الالفاظ المماتة واغلب الظن انها من كلمات اللهجة المحلية فى ذلك العصر ولعلها مركبة من النصف الاول العربى "حار" اى ساخن والنصف الثانى التركى"مزه" بمعنى الغذاء او الاكلة كما ان بعض الكلمات تعود الى استعمال مصرى خاص فى ذلك الزمن ومن هذا وصف القمح بانه "مفرق" اى "مطحون" وهذا غير وارد فى القواميس والمعاجم بما فيها القاموس الخاص باللهجة المصرية الحديثة من تأليف سبيرو (٨). ويورد الكتاب بعض الامثال ومنها مثلا ما ورد ضمن الدعاء طلبا من البارى حاكما طيبا ممن هم "كالعيون النابعة من بواطن الارض وتدفقها الى السطح نادر".

ودرس هذه المخطوطة هام من ناحية دراسة التراث الثقافى لشعوب الشرق وبضمن ذلك المخطوطات والاثار العائدة الى القرون الوسطى. ومما قيل وهذا كثير ومعروف ان "كل كتاب بلغنا وصولا من الماضى السحيق هو اشبه ما يكون بسفينة من الورق

سبحت الينا عبر بحر التاريخ العارم المتلاطم الامواج والمزبد بالعواصف والزوابع" (٩). وتعبير البحر المزوبع الهائج كرمز على الحياة من لوازم التعابير فى الشعر العربى للصوفيين وما اكثر ما يشير اليهم الارميونى.ولقد حفظت لنا "امواج بحر التاريخ" كتابه هذا. والحفاظ على المخطوطات وهى رسل الماضى النواطق عنه وعليه ودرس وتمحيص صوتها العابر الينا من اعماق القرون هو المهمة ذات الاولوية لدى المستشرقين.

الهوامش

(١) خير الدين الزركلى. الاعلام. القاهرة، سنة ١٩٥٧، المجلد التاسع، ص ٣١٨.

(٢)
Brockelmann C. Geschichte der arabischen Literatur. Weimar; Berlin, 1898-1902. Bd. 2, S. 325, 426; Suppl. Bd. 2. S. 451.

(٣) خير الدين الزركلى. نفس المصدر، القاهرة،سنة ١٩٥٤، المجلد الاول، ص ١٦.

(٤) غوتوالد اى.ف. وصف المخطوطات العربية فى مكتبة جامعة قازان الامبراطورية. قازان، ١٨٥٥، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٥) نفس المصدر، ص ٧. كراتشكوفسكى اى.يو. المؤلفات المختارة. موسكو – لينينغراد، ١٩٥٨، المجلد الخامس، ص ٩٠، ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٦) ميخايلوفا أ.ى. كتالوج المخطوطات العربية فى معهد شعوب آسيا التابع الى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى. موسكو، ١٩٦٥، الطبعة الثالثة، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٧) هنا ولاحقا وضعت فى النص داخل حاصرتين (–) ايضاحات واضافات وتصحيحات عليه.

(٨)
Spiro S. Arabic-English dictionary of the Modern Arabic of Egypt. Cairo, 1895.

(٩) ميشينا ن. وراء امواج الزمن – جريدة "البرافدا"، سنة ١٩٨٤، عدد يوم ١٥ تموز (يوليو).

انا دولينينا
دكتورة فى علوم اللغة وآدابها

لم تبحث ابدا خصيصا بنية مواضيع وتأليف اعمال الفن المقامى التى تمثل النماذج الكلاسيكية لها مقامات الهمذانى (٩٦٧ - ١٠٠٧ م) ومقامات الحريرى (١٠٥٤ - ١١٢٢)٠ ويشار فى مؤلفات المستعربين عادة الى ان بطل المقامات - رجل شريد فصيح الكلام، حسن العبارة يظهر فى كل مرة بهيئة جديدة ويحتال بدهاء على من يلقاه فى طريقه (١)٠ ويبدو ان المراد بهذا وحدانية طراز مواضيع وتأليف بعض المقامات التى يجمع ما بينها الابطال ذاتهم وتكون سلسلة موحدة٠

وفى الوقت نفسه فان تقييم الفن المقامى فى علم الاستعراب ليس مترادفا ٠ فيرى بعض الباحثين ان مؤلفى المقامات يستهدفون بادئ ذى بدء اظهار البراعة الشعرية والبلاغة او سعة الاطلاع والتبحر (٢)، وعلاوة على ذلك انهم يعتبرون مهمتهم "تعليم جمال الاسلوب والكلمة" (٣)٠ ويؤكد اخرون ان الشئ الاساسى فى المقامات هو ليس اسلوب الرواية، بل شخصية البطل - النصاب والوسط الذى يمارس نشاط فيه (٤)٠ وبوسعنا ان نقرأ لدى احد المؤلفين القول ان مقامات الحريرى ليست الا تقليدا باهتا لمقامات الهمذانى، لانه يركز

اهتمامه كله على شكل الرواية (٥)، بينما يؤكد اخر ان الحريرى "كاتب ـ واقعى" فى مقاماته (٦).

واعتقد ان من شأن تحليل مواضيع وتأليف سلسلة كاملة من المقامات ـ وبالاخص مقامات الحريرى ، التى اثارت مثل هذا التضارب فى الاراء لدى تقييمها ـ ان يساعد على اعطاء تعريف مدعم بالاسانيد لهذا الفن فى الادب العربى لفترة القرون الوسيطة.

وواضح ان اخضاع مواضيع وتأليف مقامات الحريرى لمستلزمات اصول معينة لا يثير، كما يبدو، الشكوك(٧) لدى اى احد، اذا ما اخذ بنظر الاعتبار ان اصولية المواضيع تفترض ايضا تغايرها المستمر الذى يتحول ايضا الى احد الاصول (٨). والخضوع لمبدأ الاصولية طبيعى تماما بالنسبة لاثر من اثار الادب المدون ذى الاسلوب الفخم لفترة القرون الوسيطة ، وصاحبه اديب محترف ذو مدارك لغوية واسعة ، وينشئ وفق مستلزمات عصره الجمالية.

ان الاحصاء الرياضى البسيط يتيح اثبات صنفين من المواضيع فى مقامات الحريرى: مواضيع النصب والاحتيال (فى ٣٥ من ٥٠ مقامة) ومواضيع البلاغة (فى ١٥ مقامة الباقية). ولاريب فى ان هذا التقسيم شرطى بدرجة معينة لان العنصر البلاغى متوفر فى جميع المقامات الخمسين: ففى كل واحدة منها تكون الذروة عبارة عن حديث البطل الرئيسى المنمق بغزارة نثرا او شعرا.

وفى مقامات النصب والاحتيال تلاحظ عدة اصناف من هذا الحديث:

١ ـ الموعظة المتكلفة حول السلوك الحميد (٥ مقامات: رقم ١ و١١ و٢١ و٢٨ و٤١).

٢ ـ طلب المساعدة بالخداع (١٢ مقامة: رقم ٣ و٥ و٧ و١٣

و١٤ و٢٠ و٢٥ و٢٦ و٣٣ و٣٥ و٣٨ و٤٨)٠ وفى بعض الاحيان يرد هذا الطلب بصورة مجازية، كما فى المقامة رقم ٣٥ حيث يطلب ابو زيد من الحاضرين نقودا من اجل زواج ربيبة خدره "العاتق العانس" والمراد الخمر المعتقة، او فى المقامتين رقم ٣٠ و٤٥ فالمراد فكرة ذميمة.

٣- مجادلة الشريك فى الحديث والرواية الغريبة والقسم والصلاة وهكذا دواليك، التى تستخدم لاغراض الخداع ايضا (١٤ مقامة هى: رقم ٨ و٩ و١٠ و١٢ و١٨ و٢٣ و٢٧ و٢٩ و٣٤ و ٣٧ و٤٠ و٤٥ و٤٧).

٤- الكلام الذى لا علاقة له بالاعيب النصب والخداع (مقامتان): ترد فى المقامة الرابعة تأملات حول الصداقة؛ وفى المقامة الثالثة والاربعين مقارنة خصال الفتيات والنساء المتزوجات.

وفى المقامات البلاغية التى لا يلجأ فيها البطل الى الخداع يعار اهتمام خاص الى التزويق الكلامى والمحسنات اللفظية. وفى تسع مقامات من خمس عشرة مقامة منها يتألف كلام البطل منها، وبتعبير اخر انها تشكل اساس الموضوع. وهكذا ففى مقامتين منها (رقم ٦ و٤٦) يقوم كلام البطل على التلاعب اللفظى. وتتضمن احدى المقامات رسالة نسجت على منوالين، وتجلت فى لونين (المقامة رقم ١٧)، وثمة اربع مقامات (رقم ٢٤ و٣٢ و٣٦ و٤٢) يطرح ابو زيد الالغاز (او التحاجى) المختلفة التى تعتمد على التلاعب بالالفاظ ايضا، وفى مقامة واحدة (رقم ١٥) يحل مسألة حقوقية خارقة، وفى اخرى (رقم ٢) ينظم الاعمال الشعرية المرتجلة التى تتضمن مقارنات نادرة المثال.

ان كلام أبى زيد فى اربع مقامات ذات محتوى بلاغى عبارة عن موعظة: ففى المقامتين رقم ٣٠ و٤٩ يكيل الثناء الى نمط حياة وعقيدة "ابناء ساسان" ـ اخوة الفقراء

والشريدين، وتتضمن المقامتان ٣١ و٥٠ موعظة بالرشاد والعمل الصالح، الذى لا يستغله البطل لاغراضه الخاصة . ان المقامات الحاوية على المواعظ ، وكذلك المقامة رقم ١٩، حيث يتضمن كلام البطل قائمة باسماء الاطعمة التى يطلبها للغداء، وكذلك المقامة ٣٢ ـ تمثل جدالا بين فن التأليف وفن الحساب ـ لا تحتوى على الاعيب لغوية فريدة .

ومن مقامات النصب والاحتيال هناك خمس مقامات تقارب المقامات البلاغية من حيث اهمية التلاعب اللفظى بالنسبة لموضوعها : ففى المقامة ١٦ يؤلف البطل كلاما ذا معنيين، وفى المقامة رقم ٢٣ تجرى مباراة شعرية فى نظم الاعمال الشعرية المرتجلة مع التجنيس ، وفى المقامة رقم ٢٦ ترد رسالة رقطاء اى سوداء مشوبة بنقاط بيضاء لان احد حروفها منقوط والاخر غير منقوط ، وفى المقامة رقم ٢٨ ترد موعظة تتألف من كلمات بحروف غير منقوطة)، وفى المقامة رقم ٤٤ يطرح البطل الالغاز بالاعتماد على الاشتراك اللفظى والاحاجى.

يمكن تصوير عدد المقامات التى تعتمد على التزويق اللفظى والالغاز فى كل نمطين من الموضوعات بالجدول التالى:

نمط الموضوع	عدد المقامات	المزوق منها	بالنسبة المئوية
فى الخداع	٣٥	٥	١٤ ٪
فى البلاغة	١٥	٩	٦٠ ٪

ويختلف ليس كلام ابى زيد فقط ـ فالبدائل تشمل ايضا المواضيع الوحيدة النمط وفى الخداع وفى البلاغة . وتتمايز عن طريق تغاير المحيط والظروف والاوضاع التى يعمل فيها البطل، وادخال هذه او تلك من الشخوص الثانوية ، وتغير دوافع

الافعال، واسلوب صياغة كلام البطل.

ففى المقامات التى تتضمن الشكوى من العسر الذى جاء بعد اليسر يظهر ابو زيد تارة بهيئة شيخ اعرج (رقم ٣) وتارة كاعمى يطلب الاحسان فى المسجد (رقم ٧) وتارة اخرى يتخذ مسوح عجوز تنوء باعباء اعالة اطفال كثيرين. (رقم ١٣) او كمشلول (رقم ٣٣)، او يظهر برداء خفيف فى البرد القارس (رقم ٢٥) وهكذا دواليك، ولئن تضمنت عدة مقامات الوعظ بالتوبة والرشاد، والشائع فى المحتوى ، فان البطل يعظ فى المقامة الاولى حشدا من الناس فى ساحة عامة وكلامه منثور. وفى المقامة رقم ١١ يخطب فى مقبرة ونصف موعظته يرد شعرا. وفى المقامة رقم ٣١ يلقى موعظة فى الحجيج فى الطريق الى مكة، وفى المقامة رقم ٤١ يخطب فى المسجد وعلاوة على ذلك يظهر لتوه فتى فقير يتبين فيما بعد انه ابن السروجى - علما ان الصياغة الكلامية للشكوى والموعظة تكون متباينة.

ويلاحظ فى مقامتين (رقم ١٩ و٤٩) التبسيط البالغ فى الموضوع، بينما يلاحظ فى ست منها (رقم ١٢ و٢٧ و٢٩ و ٣٤ و٣٩ و٤٣) - تعقيده البالغ نظرا لامتداد الفترة الزمنية كثيرا. وفى بعض المقامات الاخيرة ينحل الموضوع الى مشهدين او عدة مشاهد مستقلة مثل لغز الرغيف والخطبة فى المقامة رقم ٢٩ او موضوع الناقة الضائعة والنصائح لدى الزواج والحديث عن البلاغة فى المقامة ٤٣.

كما يختلف طبقا للموضوع قوام الشخصيات فى هذه المقامة او تلك، وعموما فان دائرتهم تخضع للاصول فى الدورة كلها. وتطرأ تغيرات معينة على وظائف الشخصيات ايضا. فمثلا ان البطل الرئيسى يضطلع بدور الضليع فى دقائق الشعر والنحو او الفقه تارة وبدور المحتال الفصيح اللسان تارة أخرى. وبهذه الصفة الاخيرة ينقذ البطل المتحدث من التهلكة فى

بعض الاحيان.

ان المتحدث فى المقامات البلاغية يكون عادة مراقبا محايدا او محسنا. وفى مقامات الخداع يكون اما ضحية النصب او مراقبا يتغاضى عن النصب والاحتيال (هو فى المقامة رقم ٢٨ حتى يشرب الخمرة مع المحتال). وفى الوقت نفسه يؤدى كلا البطلين وظائف وعظية: فغالبا ما يلقى ابو زيد الخطب المتضمنة كلاما فيه عبرة لن يعتبر (وهذا فى المقامات البلاغية والخداعية على حد سواء)، بينما يدين الحارث بن همام فى مقامات الخداع عادة الاعيب ابى زيد ويقدم له النصح.

ويمكن ان يضاف الى الابطال الرئيسيين الوارد ذكرهم فى كل مقامة شخصيات ثانوية غير الزامية:

١. افراد يمثلون السلطة: القاضى او الوالى والمساعدون لهما. وهؤلاء الابطال يكونون دوما فى مقامات الخداع هدفا للاحتيال. بينما يؤدون فى المقامات البلاغية دور المحسنين.

٢. "شركاء" البطل الرئيسى وهم ابنه وزوجته ومريدوه. وهم يبدون على الاكثر فى مقامات الخداع كاعوان لابى زيد فى احابيله وخداعه. بينما يبدون فى المقامات البلاغية كاطراف فى الحوار مع البطل الرئيسى. وتبرز تعقيباتهم ما يتمتع به من مهارة وحذاقة.

٣. "شركاء" المتحدث - الحشد وجمع المتحدثين. وهم فى مقامات الخداع يكونون دوما كضحايا للاحتيال. اما فى المقامات البلاغية - فهم منافسون فى مجال البلاغة تلحق بهم الهزيمة ومحسنون وفى احوال اقل كسامعين محايدين.

تتألف مواضيع جميع المقامات الخمسين من عدد معين من العناصر الاساسية التى تتكرر:

١. العرض المتعلق بالمتحدث (ع).

٠٢ ظهور البطل الرئيسى (ظ).

٠٣ كلام البطل الرئيسى (ك).

٠٤ حصول البطل على مكافأة (م).

٠٥ تعرف المتحدث على البطل الرئيسى (ت).

٠٦ انصراف البطل (ص ١).

٠٧ تعقب المتحدث للبطل (ق).

٠٨ جوار المتحدث مع البطل (ح). وفى مقامات الخداع ينقسم الى قسمين: العتاب (ب) وتبرير البطل الرئيسى لموقفه (ر).

٠٩ فراق الابطال، وانصراف المحتال نهائيا (ص ٢).

يمكن ان تطرأ تغيرات معينة على كل واحد من هذه العناصر. فان العرض يتضمن فى غالب الاحيان (فى ٢٥ حالة) نبأ حول رحلة المتحدث، كما تتباين دوافع السفر: ففى ٧ مقامات يكون سببها الفقر والاخفاقات وفى ٨ منها البحث عن المعرفة وفى ١٠ مقامات ــ السفر لاغراض التجارة او لحب الاسفار. وفى ١٢ حالة يتضمن العرض توصيفا للجماعة ــ "شركاء" المتحدث او وصفا لمزاج المتحدث، وفى ٤ حالات صيغ العرض بشكل موضوع مستقل. ويقترن ذكر دوافع السفر فى ٦ مقامات بوصف للجماعة. بينما تخلو ثلاث مقامات عموما من العرض المتعلق بالمتحدث. وفى النتيجة لدينا ٧ احتمالات.

يمكن ايراد ٨ بدائل للعنصر التالى ــ ظهور البطل ــ وهى:

٠١ البطل يقف وسط حشد الناس (١١ حالة).

٠٢ يظهر فى الجمع مع المتحدث (١٨).

٠٣ يظهر فى بيت المتحدث (٢).

٠٤ يستقبل المتحدث لديه او فى بيته (٢).

٠٥ يلتقى المتحدث فى الشارع (٨).

٠٦ يلتقى المتحدث فى بيت القاضى او الوالى (٧).

٧. يصغى المتحدث الى حديث يشارك فيه البطل (٢).
٨. يسافر البطل برفقة المتحدث (١).

علما ان البطل لا يعرف امره فى ٤٣ حالة و٧ حالات يتعرف عليه المتحدث فورا. وهذا الاختلاف يؤثر طبعا على تجميع عناصر الموضوع التالية للمقامة.

ان حساب بدائل العناصر المتبقية الاخرى للموضوع يعطى صورة مماثلة.

وتعطى دراسة جمع العناصر على اساس انشائى النتائج التالية:

١. ان جميع المقامات مؤلفة من اطر. ويبلغ الاطار ادنى المقاييس: العبارة الاولى تمثل الاشارة الى المتحدث ("اخبر او حكى او روى الحارث بن همام ...") التى تتكرر بين حين واخر فى نص المقامة.

٢. يبنى اكثر من نصف (٢٦) المقامات داخل الاطار وفق المخطط التالى (أ) الذى يمكن اخذه كبديل اخر:

ع + ظ + ك + م + ص ١ + ق + ح + ص ٢

ويحتمل عندئذ حدوث انحرافات ضئيلة فى نظام جمع العناصر او سقوط بعض العناصر الاقل اهمية. مثلا:

ع + ظ + ك + م + ص ١ + ق + ت + ر (رقم ١٣)

ع + ظ + ك + م + ت + ص ١ + ق + ب + ص ٢ (رقم ٣٠)

ع + ظ + ك + ت + م + ص + ر (رقم ٤) وهلمجرا

٣. ان المقامات الباقية الاربع والعشرين تنحرف بصورة ملموسة عن المخطط المذكور (أ):

ب) ادخال عناصر نموذجية اضافية (٧ مقامات)، مخاطبة البطل الرئيسى او شريكه للقاضى او الوالى (و) والمحكمة (ح)، ومحاولة ارجاع البطل بعد مغادرته تلبية لطلب القاضى (ج). وغالبا ما يستبدل حديث البطل هنا بحوار مع الشريك (ش). ان

صيغة المقامات من طراز (ب) (مع احتمال وجود تغيرات طفيفة) تكون كالاتى:

ع + ظو + ش + ح + م + ت + ص ا + ج + ر + ص ٢

ج) ادخال الاطار الثانى - حديث البطل: عرض الاحداث التى جرت للبطل سابقا، اى العرض الثانى، المتعلق بالبطل الرئيسى (ع ٢)، وكلامه او حواره مع الشريك (٦ مقامات). ويبنى الموضوع داخل الاطار الثانى وفق الصيغة التالية:

ع٢ + ك + م + ص

مع وجود بدائل محتملة: فبدلا من او الى جانب (ك) يمكن ان يوجد العنصر (ش) وقد يغيب العنصر (م). وفى المقامة رقم ٤٣ اضيف العنصران (و) و (ح). اما موضع الاطار الثانى فى المخطط العام فهو حر.

د) تكرار بعض العناصر (٤ مقامات). ويقود هذا التعقيد فى العادة الى ان تتضمن كل مقامة كلاما ثانيا للبطل لا علاقة له بالاول يؤدى عادة الى حصوله على مكافأة جديدة، اى يتكرر العنصران (ك) و (م). مثلا:

ع + ظ + ك + م + ش + ك ٢ + ت + م٢ + ص + ج + ر (رقم١٦)

وفى المقامة رقم ٥٠ يتكرر المخطط كله مرتين:

ع + ظ + ت + ك + م + ص + ق + ح + ص ٢ + ق

(بدلا من ٤) + ظ + ك + ص ا + ق + ح + ص ٢

وينبغى القول ان التكرار قد لوحظ فى المجموعة السابقة من المقامات، بيد ان العناصر البديلة توضعت هناك داخل الاطار الثانى.

هـ) تفويت عدد من العناصر الناجم عن تبسيط الموضوع (المقامتان). وتجرى هنا الزاميا المحافظة على العنصر (ك). وفى جوهر الامر يبقى فى المقامة ٤٩ بصفته العنصر الوحيد (ظ + ك) حيث يسبق (ظ) الكلام الذى يشغل المقامة كلها

ولا تقاطعه الا فيما ندر تعقيبات الشريك، وفى المقامة رقم ١٩ اسقطت غالبية العناصر الرئيسية بينما يتكرر (ك) ثلاث مرات (ع + ظ + ك + ك ٢ + ك ٣ + ص)، لذا يمكن نسب هذه المقامة الى المجموعة السابقة .

و) الاضافة المتعلقة علاوة على احلال العناصر البديلة غير النموذجية ، بتعقيد الموضوع (٥ مقامات) : فى المقامة رقم ١٢ ـ اطالة العرض (البحث عن دليل) والسفر ووليمة الشرب فى عنه . وفى المقامة رقم ٣٧ يطول العرض (البحث عن الناقة)، والمخاصمة مع السارق وتدخل ابى زيد . وفى المقامة رقم ٢٩ ـ الحديث وراء الجدار والاستعداد لوليمة الزفاف ونهب الضيوف النائمين . وفى المقامة رقم ٣٤ ـ اطالة العرض (وفاة الرقيق)، والمساومة فى سوق الرقيق . وفى المقامة رقم ٣٩ ـ الرحلة البحرية والزوبعة والنزول فى جزيرة وحكاية الخادم وصنع الطلسم . ويمكن ان تظهر فى هذه المقامات ايضا شخصيات ثانوية غير اصولية . ويجب ان تستحدث هنا صيغة خاصة لكل مقامة . ولغرض اظهار مبدأ ارتباط العناصر النموذجية بغير النموذجية نورد المخطط التقريبى للمقامة رقم ٣٩، بالرمز الى كافة العناصر غير النموذجية بالرمز س (س ١ ، س ٢ ،وهلمجرا) :

ع + ظ + ك + ت + س ١ + س ٢ + س ٣ + س ٤ +
+ س ٥ + ك ٢ + م + س ٦ + ر + ص ٢

وهكذا فان الدراسة على التأليف تؤكد اصولية بناء موضوع المقامات ، وكذلك الاهمية الاولية للعنصر (ك) بالنسبة للمقامة ـ فهو العنصر الاكثر تكرارا والالزامى الوحيد للموضوع مهما طرأ على الموضوع من تبسيط .

ان دراسة التناسب بين النمطين الاساسيين للموضوعات (موضوع الخداع وموضوع البلاغ) مع ايراد الانماط الخمسة الانفة الذكر فى الانشاء تعطى النتائج التالية :

نمط الموضوع / نمط الانشاء	ا	ب	ج	د	ه	و
فى الخداع	١٥	٧	٥	٣	—	٥
فى البلاغة	١١	—	١	١	٢	—

ويظهر الجدول المذكور اعلاه ان المقامات البلاغية تتميز باصناف انشاء اكثر بساطة، وكأنما تعوض بساطتها بحذاقة التعبير الكلامى عن الفكرة. وفى الوقت ذاته فان مقامات الخداع التى لا تتميز غالبيتها، كما يدل على ذلك الجدول فى الصفحة ٤، بتعقد اللغة، تميل الى البناء الموضوعى والانشائى الاكثر تعقيدا.

وباعتقادنا ان معطيات كلا الجدولين لا تدعم البتة الرأى القائل ان الشئ الاساسى فى المقامات هو سعى المؤلف الى اظهار مهارته الكلامية. انها تدل فى الارجح على عدم وحدانية وظيفة الفن المقامى فى الادب العربى للقرون الوسيطة.

وغنى عن البيان ان الموضوع ومغامرات البطل وتأملاته وردود افعاله على العالم المحيط به تشغل الحيز الاكبر فى مقامات الحريرى حول النصب والاحتيال. ولابد عن الاشارة الى انه مهما كانت الاوضاع المتكررة فى المقامات نموذجية، فان ذلك ليس بالتراكيب المصطنعة، بل مشاهد مستقاة من الحياة. واساس موضوع السلسلة كلها هو رحلات البطل طلبا للرزق ـ كما ان فطرة البطل ذاته تعكس الكثير من سمات العصر الذى كتب فيه هذا الاثر الادبى. ويمكن تعريف المقامة بانها ضرب من قصص اهل المدينة فى القرون الوسيطة يعتمد على مادة مأخوذة من الحياة. انها لا تتجافى مع اسلوب التسلية، وفى الوقت نفسه تخضع للاصول التقليدية، التى تتجاوب مع اذواق ذاك الزمن الجمالية. انه الفن الذى يؤمن مواصلة تطور الادب

القصص العربى.

وتتضمن المقامات انتقادات للعالم المعاصر للمؤلف. فالسخرية من حماقة السذج الذين يخدعهم ابو زيد ـ وهو تحقيق للمبدأ "الهزلى" السائد فى علم الجمال العربى فى القرون الوسيطة ـ يحدد الوظيفة التربوية للمقامات الى جانب النصائح التى ترد على لسان الابطال.

اما بصدد الصياغة اللغوية لمقامات الحريرى فانها ايضا ثمرة عصرها الذى كان يتميز بالاعجاب بالعقل البشرى وبالكلمة القادرة على التعبير عن ادق خلجات الفكرة واكثرها تنوعا. ويرتبط بالخضوع لهذا المبدأ ايضا احد العلامات المميزة للمقامة وهو ايراد الدور الرئيسى دائما الى الكلام المنمق الذى يقوله البطل، وهذا عنصر الزامى لكل بدع الاحتيال. حقا ان السعى الى تزويق الاسلوب يتحول احيانا الى هدف بحد ذاته، بيد ان هذه ليست الوظيفة الوحيدة والرئيسية للمقامة كفن ابدا كما تظهر ذلك الارقام.

الهوامش

(١) انظر مثلا: كراتشكوفسكى ى.يو. (مقدمة الى مقامة "القطيعية" بقلم ناصيف اليازجى). ـ "الشرق" ـ الكتاب الثانى، موسكو ـ بطرسبورغ، ١٩٢٣، ص ٣١؛ هـ.ر. جيب. الادب العربى. موسكو، ١٩٦٠، ص ٧٠، ٨٦ ـ ٨٧؛ حنا الفاخورى. تأريخ الادب العربى. المجلد ٢، موسكو، ١٩٦١، ص ١٩٦؛ فيلشتينسكى ى.م.، الادب العربى الكلاسيكى. موسكو، ١٩٦٥، ص ٢١٣ وغير ذلك؛
C. Huart, Litterature Arabe. Paris, 1902, p. 134; C. Dumas, Le Heros des Maqamat de Hari

ri. Alger, 1917, p. 23-24 R.A. Nicholson, A Literary History of the Arabs. Cambridge, 1930, pp. 328-330.

(٢) هذا رأى ت. تشينيرى الذى اورده جيب (المؤلف المذكور، ص ٧٠.

(٣) شوقى ضيفه المقامة .القاهرة ، ١٩٥٤،ص ٨؛حنا الفاخورى. المؤلف المذكور،ص ١٩٨ .ويؤكد جيب على ان المقامات تثمن فى العالم العربى "بصورة اساسية لصفاتها الادبية واللغوية" و"كاحد اثار سعة الاطلاع" (المؤلف المذكور،ص ٨٧) .انظر ايضا كراتشكوفسكى ى.يو.،المؤلف المذكور، ص ٣١.

(٤) فيلشتينسكى ى.م.،المؤلف المذكور،ص ٢١٢–٢١٣، ٢٢١؛

c. 212-213, 221; F. Ruckery, Die Verwand lungen des Abu Seid von Serug oder die Makamen des Hariri. Stuttgart, 1864, S. IV-V; C. Dumas, op. cit.,; R. Blachere, Al-Bambadani. The Enzyklopaedia of Islam, Vol. 4, p. 109; R.A. Nicholson, op. cit., p. 331-335.

(٥) Ch. Pella, Al-Hariri. The Enzyklopaedia of Islam, v. 4, p. 228.

(٦) عفاف رياض. شخصية ابى زيد السروجى فى مقامات الحريرى. – "الثقافة الوطنية"، اذار، ١٩٥٤، العدد ٥٨، ص ٤٦.

(٧) بحث د.ليخاتشيوف د.س. مسألة مبدأ اتباع الاصول فى ادب القرون الوسيطة بحثا كافيا عموما (انظر مثلا: "تطور الادب الروسى فى القرون العاشر – السابع عشر، لينينغراد، ١٩٧٣، وغيره)، لدى تطبيق هذا على الادب العربى – شيدفار ب.ى. ("المجاز فى الادب العربى الكلاسيكى فى القرون السادس – الثانى عشر، موسكو، ١٩٧٤) وكوديلين أ.ب. ("الشعر العربى فى القرون الوسيطة"، موسكو، ١٩٨٤)، لهذا تعتقد ان من نافل القول التطرق الى ذلك باسهاب.

(٨) شيدفار ب.ى.، المؤلف المذكور، ص ١٩٥.

(٩) للمزيد من الاطلاع راجع: بوريسوف ف.م.، دولينينا أ.أ.، مقدمة لكتاب "ابو محمد القاسم الحريري. المقامات". موسكو، ١٩٧٨، ص ٥.

(١٠) بوريسوف ف.م.، دولينينا أ.أ.، المؤلف المذكور، ص ٩؛ وكذلك فيلشتينسكى ى.م.، المؤلف المذكور سابقا، ص ٢١٢ — ٢١٣.

C. Dumas, op. cit., pp. 76-77; 81-82.

(١١) شيدفار ب.ى.، المؤلف المذكور، ص ٩٠.

(١٢) بوريسوف ف.م.، دولينينا أ.أ.، المؤلف المذكور، ص ٨ — ١٠.

(١٣) شيدفار ب.ى.، المؤلف المذكور، ص ١٠٠ — ١٠٢.

مخطوطة كتاب الفخرى:

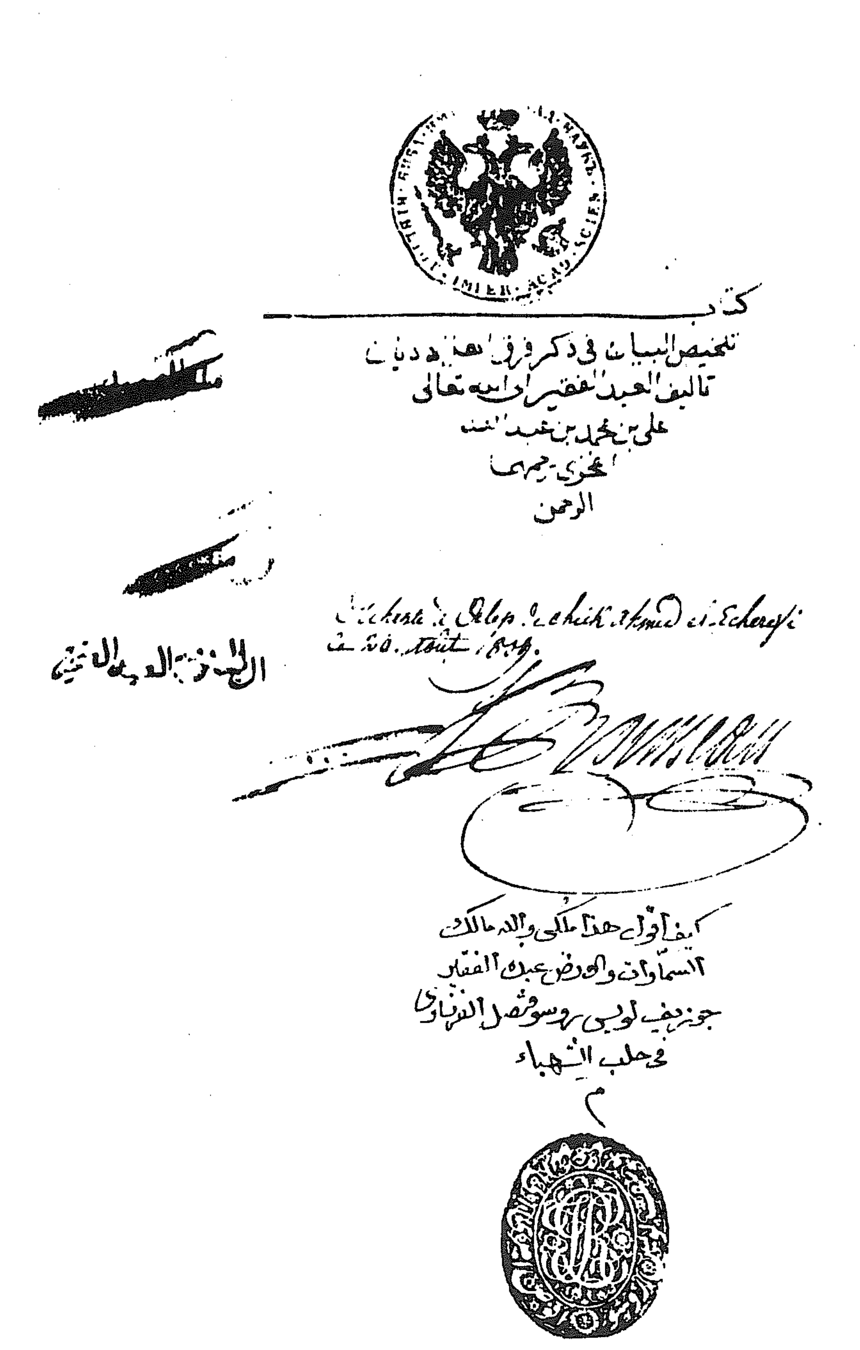
"تلخيص البيان فى ذكر فرق اهل الاديان"

ستانيسلاف بروزوروف
دكتور فلسفة فى التأريخ

تعرض هذه المقالة على عناية المعنيين بدراسة تاريخ الاديان مخطوطة منسوخة باللغة العربية لكتاب على بن محمد بن عبد الله الفخرى المعنون: "تلخيص البيان فى ذكر فرق اهل الاديان". وهذه المخطوطة محفوظة فى قسم المخطوطات بفرع مدينة لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى (تحت رقم ف ٦٢٩)* وهى فى ٤٩ ورقة ومكتوبة بخط نسخى عادى بقلم الناسخ حسن بن محمد التفتازانى (ورد فى المخطوطة انه التفتانازى) فى غرة ذى الحجة سنة ١١٢٧ هـ/٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٧١٥ م وقد كتبت لاجل الشخص المدعو باسم الملا سعيدى ... على افندى ... الاسدى. ولا تعرف نسخ اخرى لهذا الكتاب ولم يفيض العثور على اية معلومات عن مؤلفه وكل ما يتضح من المخطوطة هو انه قد صنف بطلب من احد اواخر حكام اسرة الرسوليين فى اليمن هو الملك الظاهر بالله يحيى (حكم خلال فترة الاعوام من ٨٣١ هـ/١٤٢٣ م الى ١٤٣٩/٨٤٢). ويستدل من الملاحظة

---

* كان اول من استرعى انتباهى الى هذه المخطوطة انس خالدوف الذى اعرب له هنا عن امتنانى (صاحب البحث).



كتاب

تمحيص البيان في ذكر فرق الهند دبان

تاليف العبد الفقير الى الله تعالى

علي بن محمد بن عبد الله

البخري رحمه

الرحمن

Acheté à Alep du chéik Ahmed el-Echerefi
le 20 août 1829.

ايضا اوان هذا ملكي والله مالك

السماوات والارض عبده الفقير

جوزيف لويس روسو قنصل الفرنساوي

في حلب الشهباء

م

المكتوبة باللغة الفرنسية على الصفحة الاولى ان هذه المخطوطة قد اشتريت فى مدينة حلب الشهباء بسورية يوم ٢٠ آب (اغسطس) سنة ١٨٠٩ من الشيخ احمد الاشرفى. ومن المرجح ان هذه المخطوطة لم تدون فى اليمن ويشهد على ذلك تحريف الاسماء والتسميات اليمانية (وبضمنها عاصمة الاسماعيليين اليمانيين) وأسماء اصنام الجاهلية وخلو اسم الناسخ (حسن) من ال التعريف وكذلك اسم الشخص الذى كتبت له هذه النسخة (وهو الملا سعيدى) مما يهيىء الاساس للقول بان هذه المخطوطة نسخت فى ايران او آسيا الوسطى. ويمكن الاستدلال على امكنة تنقل هذه النسخة والايدى التى تداولتها بمزيد من التحديد عن طريق تحليل طبيعة التعاليق فى حواشى المتن وهوامشه.

وكتاب "تلخيص البيان فى ذكر فرق اهل الاديان" للفخرى هو عبارة عن استعراض موجز لتأريخ الاديان والنظم الدينية - الفلسفية والطوائف والفرق الدينية. وقد بقيت من القرون الثمانية الاولى للعهد الاسلامى - سلمت كليا او جزئيا - بضع عشرات فحسب من المؤلفات من هذا النوع يستحق ان يشغل بينها "تلخيص البيان" مكانا خاصا بفضل كونه اول كتاب مصنف فى تاريخ الاديان بقلم مؤلف يمانى ومكتوب فى اليمن.

يتألف كتاب الفخرى هذا من مقدمة وقسمين غير متناظرين. عرض المؤلف فى المقدمة غايات بحثه ومبدأ تصنيف الاديان وبنية الكتاب وعدد اسماء جميع الطوائف والفرق المذكورة فى سياقه.

قسم الفخرى جميع الاديان المعروفة فى العالم وفق فارق واضح الى فئتين ضم الى اولاهما الاديان والطوائف الدينية ذوات "الكتب المقدسة او "أشباهها" وهى طوائف المسلمين واليهود والنصارى والزرادشتيين وبعض طوائف الصابئة وكذلك" من

اعترف بملة شيث وادريس وابراهيم. تتضمن عشرة فصول من القسم الاول للمخطوطة وصف الطوائف الدينية العشر المعنية. وهم "اهل السنة والاتفاق" وهم كذلك "اهل الحق" ثم الخوارج والمعتزلة والشيعة والمرجئة واليهود بطوائفهم والنصارى بطوائفهم والمجوس بطوائفهم والفلاسفة ومدارسهم والبراهمة ومدارسهم.

ونسب الفخرى الى الفئة الثانية من الاديان عقائد الوثنيين "الذين يعبدون الهة من دون الله". ويضم هذا القسم من المخطوطة كذلك عشرة فصول مكرسة لوصف الفئات العشر المعنية من الوثنيين. وهم عبدة الملائكة والشمس والقمر وزحل والزهرة والدب الاكبر (بنات نعش) والماء والنار والاوثان والاصنام والابقار والثيران والاشجار والاشخاص من البشر.

ويقضى تصنيف اخر للاديان العالمية اورده الفخرى استنادا الى تفسير القرآن لفخر الدين الرازى بان العالم فيه ستة اديان احدها ـ وهو الاسلام ـ لله الرحمن الرحيم والخمسة الاخرى للشيطان اللعين الرجيم. وهى اولا دين اليهود الذين عبدوا العجل واعتبروا العازر (عزرا) ابن الله وثانيا دين النصارى الذين عبدوا يسوع المسيح عيسى بن مريم واعتبروه كذلك ابن الله وثالثا دين اوائل الصابئة الذين عبدوا الملائكة وصلوا للشمس خمس مرات فى اليوم ورابعا دين المجوس الذين عبدوا النار وخامسا دين الكفار المشركين الذين عبدوا النجوم والاوثان والاصنام والطواطم وينسب اليهم ايضا البراهمة وشيع "الضالين".

ويتبع الفخرى فى تصنيف الطوائف داخل الاديان العالمية التقليد الاسلامى العائد الى القرون الوسطى والمعتمد على حديث منسوب الى الرسول يقضى بان المجوس انقسموا الى ٧٠ فرقة واليهود الى ٧١ والنصارى الى ٧٢ اما امة المسلمين فهى

مقسومة الى ٧٣ فرقة تدخل الجنة منها فقط "الفرقة الناجية" وهى فى رأيه "اهل السنة والجماعة" اى السنيون. ومع الحفاظ على العدد الثابت المرسخ تقليديا للطوائف داخل كل دين انجز علماء الدين من المسلمين واهل التدوين على شكل مختلف مهمة "تكميلها" باضافة طوائف محددة . وكان انتقاء المواد فى كل حالة متوقفا على التقاليد المحلية وانتماء المؤلف الى هذه المدرسة الدينية او تلك وعلى غاية بحثه وهلم جرا . وفى هذا المصنف اتسمت باهمية ثانوية لدى الفخرى قضايا تقسيم وتصنيف الفرق والطوائف داخل الاديان بما فيها الاسلام. ويبدو انه يمكن ان يرد الى سعى المؤلف نحو الانسجام العددى ليس الا كونه قسم كل واحدة من الطوائف الاسلامية - "الاساسية" اصطناعيا الى ١٨ شعبة . وقد رأى الفخرى مهمته الرئيسية فى تبيان "ضلال وبهتان" جميع الاديان والجماعات الدينية مقابلا اياها بالعقيدة "الصحيحة" الوحيدة الا وهى الاسلام السنى. ولدى ذلك لم تكن لدى المؤلف ضرورة (وربما ايضا مادة) لوصف جميع طوائف الاديان العالمية . واكتفى الفخرى بوصف اشهر واهم الطوائف داخل كل دين من الاديان. وهكذا افرد من المجوس ٩ طوائف ومن اليهود ٦ ومن النصارى ٤.

ويعرض المؤلف المادة على النحو المألوف فى هذا النمط من الادبيات العلمية . فهو يورد تعداد الطوائف المنتمية الى هذه الطائفة الدينية او تلك ويفرد سماتها العامة المشتركة فى هذه المجموعة من الطوائف وخواص تعاليم الطوائف المحددة . ويختتم وصف بعض الطوائف عادة "بنقد"تعاليمها وارشاداتها ويقتصر احيانا على اعلان ان مفاهيمها "غباء وجهل وكفر" والقول بان مريديها "شياطين" واتباعهم "لصوص اشرار ملاعين" (الورقة ١٠ ب) و"بهائم" (الورقة ٢٤ ب).

يشغل وصف الفرق الاسلامية ثلثى المخطوطة (من الورقة ٣ ب الى الورقة ٣٧ أ) . واتباعا للتقليد المرعى فى تدوين علم الاديان وتاريخها (كما هو لدى البغدادى والشهرستانى وسواهما) يشرح الفخرى المفاهيم الاساسية التى استخدمها اثناء عرض الموضوع لتعاريف كلمات مثل الدين، الاسلام، الملة، الشريعة، السنة، الجماعة وهكذا دواليك. وانطلاقا من فرضية الفخرى فان "الملة الكبرى" (الورقة ٤ ب) هى دين ابراهيم الخليل وهو الدين الحنيف الذى اظهره الله على الدين كله . وينتقل الفخرى تلاعبا بالالفاظ من كلمة "الحنفاء"و"الاحناف" لمعتنقى دين العقل او دين ابراهيم الى "الحنفية"وهم اتباع المذهب الحنفى نسبة الى ابى حنيفة احمد بن النعمان والذى يعرض توجيهاته الرئيسية فى الفصل الاول معتبرا اياه الفرقة الوحيدة من ٧٣ فرقة فى الاسلام "الفرقة الناجية" التى يسلم اتباعها من عذاب نار جهيم ويدخلون الى جنة النعيم وهى عنده رأس فرقة السنة بمذاهبها الاربعة : الحنفى والشافعى والحنبلى والمالكى وقسم الفخرى الفرق الاخرى الباقية (وهى ٧٢ فرقة) كما ذكرنا اعلاه الى اربع فئات هى الخوارج والمعتزلة والشيعة والمرجئة مقسما كل فئة منها الى ١٨ شعبة (طائفة) .

ومع كل الخلاف والجدل وحتى الخطأ فى نسبة بعض الفرق الى هذه الفئة او تلك فان تقسيم التيارات الدينية ـ السياسية فى الاسلام كانت له اسباب موضوعية . وقد عكس التطور التاريخى للمجتمع الاسلامى والذى سجل فى بحوث من سبقوا المؤلف من علماء تاريخ الاديان المسلمين. وظهرت البحوث الاولى فى التاريخ الدينى فى الوسط الشيعى المعارض حيث استدعت الاهتمام بتاريخ الاسلام ضرورة تعليل حق ائمة الشيعة المطلق فى السلطة العليا . ولقد عكس علماء الدين الشيعة

المبكرون مثل ابى جعفر الاحول (المتوفى عام ١٦٠ / ٧٧٧) وهشام بن الحكم (المتوفى عام ١٩٩/٨١٥) ويونس بن عبد الرحمن (المتوفى حوالى ٢٠٨/٨٢٣) وغيرهم - فى مؤلفاتهم قيام الاحزاب الدينية - السياسية الاساسية الاربعة فى الاسلام. وجرى تثبيت هذا التقليد فى بحوث الاجيال التالية من علماء الدين الشيعة وبضمن ذلك فى كتاب "فرق الشيعة" من تأليف الحسن النوبختى (المتوفى بعد عام ٣٠٠/٩١٢). وسار على هذا التقليد نفسه ايضا علماء الدين السنيون وبالدرجة الاولى اكبر مؤرخ للاديان الشهرستانى (المتوفى عام ٥٤٨ / ١١٥٣).

ان تأريخ الفرق والطوائف الاسلامية فى عرض الفخرى بغض النظر عما فيه من اقتباس واقتضاب جدير بالعناية على اقل تقدير من ناحيتين اولاهما ان المخطوطة تتضمن وصفا لفرق وطوائف غير مذكورة فى مؤلفات مؤرخى الاديان وعلماء الدين الاخرين. وهذا الوصف يعطى مادة جديدة وربما فريدة عن التاريخ الداخلى للاسلام. وثانيتهما ان توجه المؤلف بانتظام الى تناول المضامين المحلية اليمنية قد صان للعلم معلومات هامة عن التاريخ المبكر لليمن وفى القرون الوسطى وبالدرجة الاولى عن التصورات الدينية لدى سكانه.

وتستحق عناية خاصة معلومات الفخرى عن تاريخ انتشار الاسماعيلية فى اليمن. ويفيد مؤلف المخطوطة بان رأس الاسماعيليين انذاك ميمون القداح (سادن الروضة الحسينية فى كربلاء وهى مشهد الامام الحسين بن على) ارسل الى اليمن اوائل عام ٢٦٨ / آب (اغسطس) ٨٨١ اثنين من رسله الدعاة هما ابو القاسم بن عبد الملك الذى اطلق عليه فيما بعد اللقب الفخرى منصور اليمن وعلى بن الفضل وهو الرافضى اليمنى الذى قام بزيارة الى الشهد الحسينى وارضى ميمون القداح عنه

كل الرضا . ويتضح من الوصايا والارشادات التى زود بها القداح هذين الداعيتين (الورقة ٢٧ ب ـ ٢٨ أ) ان القيادة الاسماعيلية اعتزمت جعل اليمن معقلا للدعاية الاسماعيلية ونواة الدولة الاسماعيلية المقبلة . ويصف الفخرى مفصلا خط رحلة هذين الداعيتين الاسماعيليين (وهذه المعلومات بالغة الاهمية لمعرفة جغرافية اليمن التاريخية)ونجاحات دعايتهما بين القبائل اليمنية وتشييد القلاع والحصون الاسماعيلية فى اليمن. ويتحدث المؤلف عن انتصارات الاسماعيليين الحربية ويورد معطيات مجددة عن الغنائم الكثار التى وقعت فى ايدى الاسماعيليين لدى فتحهم اليمن (وبضمن ذلك عند فتح الخنفرة وصنعاء وتهامة) وربما بسبب الرغبة فى التشهير بالاسماعيليين وتسويد صفحتهم يفيد الفخرى بان على بن الفضل حين استولى على مدينة الجناد امر جواريه بارتقاء منبر المسجد الجامع وبايديهن الدفوف والتغنى باشعار اهل الكفر والزيغ (الورقة ٢٩ ب). وعلى هذا النحو كذلك كما يبدو ينبغى فهم الخبر حول ان على بن الفضل بالذات سن للمرأة فى صنعاء لاول مرة ارتداء الثياب ذوات الفتحة عند الصدر.ويقول الفخرى ان مسلمين اجتمعوا فى خاتمة المطاف الى الامير أسد بن ابى يعفر (جعفر؟) الذى فر من الاسماعيليين والهمدانيين وكسروا فى معركة محمد بن على القرمطى (!) وقد جلب سوية مع انصاره القرامطة (!) الى صنعاء حيث ضربت أعناقهم. وارسلت رؤوسهم الى امير مكة الذى امر برفعها فوق ابواب المدينة عند انصراف الحجاج. ويقول الفخرى مؤكدا : "وعندئذ قضى على اتباع على بن الفضل فى اليمن عن بكرة ابيهم" (الورقة ٣٠ أ).

ولدى التحدث عن النشاط الذى قام به فى اليمن "دعاة الباطنية" من مصر يخبر الفخرى عن كيفية استحواذ المبعوث

العبيدى الملقب بالمهدى على اليمن. وقد طوق حينا من الزمن مدينة زبيد ثم فى شهر رجب المرجب من عام ٥٦٦ للهجرة - آذار (مارس) من سنة ١١٧١ الميلادية استولى عليها "اخذ يعيث فيها فسادا وأعمل فيها القتل". وكان اكثر "فسقا وكفرا" منه نجله عبد النبى الذى "هدم واحرق المسجد الجامع فى الجناد". وقد ارسل الملك صلاح الدين ضده من مصر قوات كبيرة على رأسها شقيقه شمس الدولة الذى استولى على اليمن ودحر قوات عبد النبى وشنق العبيديين - الباطنيين وعلق رؤوسهم على ابواب زبيد. وتشتت شمل الاسماعيليين وتفرقت فلولهم على شتى الاقطار. وقال الفخرى "توجد غالبيتهم الان فى العراق واليمن" (الورقة ٣٣ أ). واستحكم الاسماعيليون اليمانيون فى القلاع والحصون الجبلية وظلوا يشنون الحروب المتواطة ويخوضونها ضد الزيديين. ويقول المؤلف: "ومع ان الاسماعيليين فى اليمن كثيرو العدد، الا ان الزيديين اكثر منهم عددا" (الورقة ٣٣ أ).

ولدى وصف تعاليم الباطنيين يحيل الفخرى على كتاب الصوفى اليمانى المعروف عبد الله اليافعى (المتوفى بمكة المكرمة فى العشرين من جمادى الثانية عام ٧٦٨ / ٢٢ شباط (فبراير) سنة ١٣٦٧) والذى اطلع بدوره على كراسة فى مذهب الباطنيين وصلت الى صنعاء من سورية عام ٧٣٨ / ١٣٣٨. وعلى حد قول عبد الله اليافعى فان تلك المخطوطة حوت من "الاقوال ما يزيد فحشا وشناعة" على اراء "الزنادقة الفجار الاشرار" والمجوس الكفار عباد النار. ومما فيها تفسير محرف وتأويل فاسد بصدد الجنة والنار والتنبوء رجما بالغيب تنجيما بالنجوم وضرب تحت الرمل باعتبار ذلك محاولة لمعرفة المستقبل كما تضمنت اباحة الزواج وعقد قران الرجال على بناتهم واخواتهم وما شاكل ذلك.

وتستدعى الاهتمام كذلك معلومات الفخرى عن الاسماعيليين فى سورية وقرامطة البحرين وعن الصلات المتبادلة بين اولئك وهؤلاء وكذلك عن استيلاء القرامطة على مكة (الورقة ٣٠ أ — ٣١ ب).

وتاريخ الاسماعيلية معروض على نطاق واسع بما فيه الكفاية من جهة عن طريق بحوث ومصنفات المؤلفين الاسماعيليين ومن الجهة الاخرى عن طريق مؤلفات السنيين اى ان هذا التاريخ مبين من موقفين متضادين ويهيئ عرض مواد المصدر الجديد اليمنى بصدد تاريخ انتشار الدعوة الاسماعيلية امكانية التصحيح والضبط بشكل ما لوجهة النظر المتكونة عن بعض جوانب تاريخ اليمن فى القرون الوسطى.

والفصول التى تتناول اليهودية (الاوراق ٣٧ ب — ٣٩ ب) والمسيحية (الاوراق ٣٩ ب — ٤١ ب)متشابهة فيما بينهما لا من حيث البنية فحسب وانما ايضا من حيث روح العرض وعلاقة الميل نسبيا من المؤلف حيال بعض عقائد هاتين الديانتين. ويمحص الفخرى متفحصا مفهومى اليهود والنصارى ويورد تفاسير شتى لهاتين الكلمتين. ويلخص اسس تعاليم اليهودية والمسيحية وتاريخ "الكتب المقدسة" التى يعترف ويعتبر منها كتاب التوراة على اعتبار انه "من اعظم الكتب المرسلة الى نبى" (الورقة ٣ ب) المزامير والانجيل والقران. وبنفس هذه الروح يتحدث عن المهمة الرسولية للنبى يسوع المسيح وعن اوقات ومواعيد مواعظه وعن "معاجزه" وصعوده الى السماء (الورقة ٤٠ أ).

ولدى التحدث عن فرق اليهود يشير الفخرى الى وجود اربع فرق يهودية فقط فى الوقت الحاضر (دون احتساب الفرق المنحرفة عنها والمنشقة عليها) مثل العنانية والعيسوية واليودعانية (ومنها انفردت المسكائية) والسامرة (السامريين)

وهؤلاء الاخيرون يقطنون فى يورشليم (بيت المقدس) وفى بعض قرى مصر ويعتبرهم المؤلف اشقى حظا واتعس نصيبا من جميع اليهود (الورقة ٣٩ أ).

ويفرد الفخرى ثلاث طوائف مسيحية معروفة فى زمانه هم الملكائيون والنسّاطرة واليعاقبة والذين ينقسمون الى ٧٢ فرقة . ودون ان يعدد هذه الفرق يصف المؤلف مع ذلك احدى هذه الفرق وهم البابيون واتباع هذه الفرقة كانوا فى سورية واليمن (الورقة ٤١ أ). وقد بشر البابيون بان الذى قتل لم يكن المسيح وانما شبحه وشبيهه (ولكن شبه لهم). ويتجلى موقف المؤلف ازاء الفرق المسيحية من المثال التالى "ذكرت احدى فرق المسيحيين (ولم يشر الى اسمها) ان المسيح قد خلق قبل خلق العالم وانه هو نفسه خالق الاشياء وعلق الفخرى على هذا بقوله : "وهذا نموذج من كفرهم ولو جمعنا كافة الامثلة على كفرهم لملأت مجلدات من الكتب" (الورقة ٤١ ب).

يذكر الفخرى تسع طوائف هى المعروفة اكثر فى زمانه من الطوائف الدينية للمجوس ـ الزرادشتيين (الورقة ٤١ ب ـ ٤٢أ). وهو يعتبر اكثرها تعدادا وفى نفس الوقت اكثرها "فسادا وكفرا" الطائفة التى "يزاول افرادها طقوس الاغتسال ببول الثيران والابقار ويقدسونها ويعبدون الشمس" (للورقة ٤٢ أ).

ولدى وصفه الفلاسفة ومدارسهم واستنادا الى الغزالى يخص الفخرى بالذكر ثلاث سمات رئيسية من تعاليمهم هى (أ) انكار جهنم والفردوس (النار والجنة) بلوازمهما ، (ب) نفى علم الخالق بكل شيئ ، (جـ) الاعتراف بقدم العالم الذى اذ سبق فيه الخالق (الله) العالم من حيث الرتبة والدرجة يبقى مساويا له فى الوجود. ويقسم الفخرى الفلاسفة الى "حكماء الهند" ـ البراهمة الذين انكروا النبوة انكارا مطلقا و"حكماء الروم" وهم "الحكماء القدماء" السبعة (افلاطون وسقراط وانكصاغوراس

وسواهم) و"فلاسفة الاسلام" ويعرض تصوراتهم عن الاجسام والعناصر وامور الطبيعة والسموات السبع الطباق (طبقات افلاك الكواكب) وما الى ذلك (الورقة ٤٢ أ ــ ٤٣ أ).

ويعبر الفخرى عن موقفه ازاء البراهمة (الورقة ٤٣ أ ــ ٤٤ أ) بعبارة الغزالى الذى اعتبرهم اشد كفرا من اليهود والنصارى. واستنادا الى تفسير فخر الدين الرازى لسورة "حج" (الورقة ٤٣ ب) يورد الفخرى الاعتبارات المنطقية التى قال بها برهام "اكبر العلماء والشيطان الاكبر" للبراهمة والذى انكر النبوة ونفاها عن طريق الحجج العقلية ويقسم المؤلف البراهمة الى ثلاث طوائف هم (أ) اتباع بوذا، (ب) معتنقو "الفكرة الطوباوية"، (جـ) انصار فكرة تناسخ الارواح.

واستنادا الى تفسير السيد الشريف الجرجانى المتوفى فى شيراز عام ١٤١٣/٨١٦) يفيد الفخرى بان بوذا الاول هو رجل باسم ساكمان وقد ظهر فى العالم قبل الهجرة بخمسة الاف عام. وقد بلغ مرتبة البوذا عن طريق هجران الحياة الدنيا والاعراض والانصراف عنها ثم بطول الصبر وحمل البدن على المران والتحمل وعن طريق تجنب اقتراف الاثم واجتناب ارتكاب الخطايا العشر (قتل النفس التى حرم الله الا بالحق والوصال الحرام والخ). ويبدو ان هذه الاخيرة لها صلة بالخطايا العشر التى ذكرت عنها الوصايا المسيحية العشر.

يشغل وصف الطوائف الوثنية وعقائدها عشر المخطوطة (الاوراق ٤٤ ب ــ ٤٩ أ) ورغم صغر الحجم نسبيا وقلة المقدار فان هذا الجزء يحوى مادة هامة فى تاريخ التصورات الدينية لدى شتى الشعوب فى الزمان القديم والقرون الوسطى. ويشير المؤلف الى مبانى المعابد ويصف بالتفصيل الكافى والوافى الطقوس الدينية والشعائر والعبادات والمعبودات من الطواطم ونحوها كالاصنام والاوثان وما اليها. وتستحق عناية خاصة

معلومات الفخرى حول عبدة الاصنام والاوثان عند العرب وبضبنهم بين القبائل اليمانية .

ومن ذلك مثلا وصف التصورات الدينية لدى الصابئة (الورقة ٤٥ أ ـ ٤٥ ب) الذين يعبدون الشمس ويعتقدون بانها روح حية .. وفى عقيدتهم انها قد ولدت جميع الاشياء الارضية الواقعية ومنها ينطلق ضوء جميع الكواكب.وقد صور الصابئيون الشمس فى شكل صنم له يدان ويحمل فى احدى يديه جوهرة تشعشع بضوء باهر كشعلة النار. وتكريما للشمس اقاموا لهذا الصنم معبدا كرسوا له مزارع للانفاق عليه من محاصيلها وكانوا يؤدون فيه الصلوات ابتهالا للشمس وكذلك شعائر الصوم والعبادة . ويذكر المؤلف ان طائفة عبدة الشمس كانت منتشرة بين العرب فى المناطق الشرقية من اليمن (مشارف اليمن، الورقة ٤٥ أ).

ويذكر الفخرى ايضا انه كان فى صنعاء "قصر غمدان"وهو معبد دينى لعبدة كوكب الزهرة . وقد اعتقد افراد هذه الطائفة بان الزهرة هى "خالقة العالم السفلى". وامر بهدم هذا القصر كما يؤكد الفخرى الخليفة عثمان بن عفان.

يتضمن الفصل العاشر من القسم الثانى للمخطوطة المادة عن معتقدات العرب الدينية قبل الاسلام وانتشار عبادة الاوثان فيهم. ولدى تحديد مفهوم الصنم والوثن وبيان الفرق ما بينهما يورد الفخرى حديثا ينص على ان زعيم القرشيين قبل الاسلام عمرو بن لحى (ورد فى المخطوطة على سبيل الخطأ انه ابن يحيى) حين رأى فى مدينة البلقاء بسورية الاصنام لاول مرة جلب معه ونصب فوق الكعبة ثلاثة اصنام منها هى هبل والثنائى الزوجى اساف ونائلة . وقال المؤلف: " ومن هذه انتشرت عبادة الاوثان بين القبائل العربية فى كافة البقاع" (الورقة ٤٧ ب). وكان بنو ثقيف فى الطائف يبجلون اكثر من

غيرها اللات .اما الانصار والخزاعيون (بنو خزاعة) فكانوا يبجلون مناة وهكذا دواليك. وبلغ عدد الاصنام فوق الكعبة وحولها ٣٦٠ صنما . وبعد انتصار النبى فقط وفتحه مكة طهر المعبد ثم طهرت جميع اقاليم الاسلام وديارة من الاصنام (الورقة ٤٨ أ).

ويذكر الفخرى بين القبائل اليمانية (قبائل اليمن) التى عبدت الاشجار غطفان وخثعم. وقد عبد هؤلاء الاخيرون "الخثاعم" الخثعميون "شجرة ضخمة وارفة الظلال متشابكة الاغصان كانت نامية فى بلادهم" . وعقب احتراقها بصاعق من برق الرعد اقاموا معبدا على غرار الكعبة وشبيها بها اطلقت عليه تسمية "ذو الخلصة" وسمى ايضا "كعبة اليمن" (الورقة ٤٨ أ) وبامر من النبى محمد بن عبد الله تصدى جرير بن عبد الله مع مائة وخمسين فارسا من الاحناث فعمدوا الى هدم هذا المعبد وبعد هذا اعتنق بنو خثعم (الخثاعمة) اولئك الاسلام واتخذوه لهم دينا .

وفى نهاية المخطوطة يعيد المؤلف الى الاذهان مرة اخرى ان هذا الكتاب "موجز نسعى فيه الى الالتزام بالاقتضاب والاختصار مجتنبين التطويل والاسهاب والاطناب والاكثار من الكلام" . ما هى المصادر المتخذة اساسا لهذا الموجز؟ كتب الفخرى ان العديد من المؤلفين كتبوا تصانيف ضافية وموسعة عن الفرق والطوائف الدينية . وفى هذا الكتاب عرضت بايجاز فحواها دون تحريف افكارها على امل ان الانسان العاقل سوف يستخلص منها العبرة اما غير المطلع فسوف يحذر عن دراية وعلم عقائدها" (الورقة ٧ ب) ويخلص المؤلف الى القول ومن اراد ان يدرس بمزيد من العمق فليتوجه الى تفاسير القران وكتب الرجال والطبقات (التراجم) والاخبار والبحوث التاريخية (الورقة ٤٩ ب) . واثناء التلخيص يذكر الفخرى مصادره .

وهى بالدرجة الاولى ابو حامد الغزالى (المتوفى فى طوس عام ١١١١/٥٠٥) "الكاتب الاصيل ومن اعظم علماء الدين المسلمين" ومؤلف عدد من التصانيف ضد الباطنيين وبضمنها "القسطاس المستقيم" و"فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" التى افاد منها الفخرى فى اغلب الظن وعلى الارجح لدى وصفه فرق الباطنيين وشيعهم. وكان المصدر الثانى للفخرى هو فخر الدين الرازى (المتوفى فى هرات عام ١٢٠٩/٦٠٦) - العالم الموسوعى والفيلسوف ومفسر القران ومؤلف اكثر من ثلاثين مصنفا بضمنها كتاب "اعتقادات المسلمين والمشركين" الذى افاد منه الفخرى كما يبدو كذلك. ثم يحيل الفخرى على علماء الدين الاخرين المشهورين مثل ابى الحسن الاشعرى (المتوفى ببغداد عام ٩٣٥/٣٢٤) - مؤسس المدرسة الدينية الاشعرية فى الاسلام ومصنف البحث المعتمد عن الخلافات العقائدية بين المسلمين والشهرستانى (المتوفى بمدينة شهرستان فى خراسان عام ١١٥٣/٥٤٨) - اعظم خبير بتاريخ الاديان والنظم الدينية - الفلسفية ومؤلف "كتاب الملل والنحل". وفضلا عن هذا كانت مصادر للفخرى كذلك بحوث الطبرى (المتوفى ببغداد عام ٩٢٣/٣١١) والواحدى (المتوفى فى نيسابور عام ١٠٧٥/٤٦٩) والسيد الشريف الجرجانى وعبد الله اليافعى اليمانى وسواهم.

وفى عدد من الحالات تتراءى وتستشف تبعية عرض الفخرى ايضا الى مصادر لم يذكرها. ومن هذا ان الفصل العاشر من القسم الثانى للكتاب اقيم كليا على اساس مواد "كتاب الاصنام" لهشام الكلبى (المتوفى عام ٨١٩/٢٠٤ او ٨٢١/٢٠٦) كما ان القصة عن القلعة الحميرية "قصر غمدان" كمعبد للزهرة واردة فى مؤلفات ابكر عهدا (مثلا فى "اخبار" البيرونى). وتتطلب دراسة اعمق القضية حول صلة كتاب "تلخيص البيان.."

بالتقاليد اليمنية القديمة والتى يصورها كتاب "الحور العين" لنشوان الحميرى (المتوفى عام ١١٧٧/٥٧٣). ويمكن قول الشيىء نفسه عن صلته بتقاليد معاداة القرمطية فى التدوين والسرد التاريخى اليمنى والمتمثلة ضمنا فى مصنف "كشف اسرار الباطنية" تأليف الحمدى (المتوفى عام ١٠٧٧/٤٧٠).

ويتيح التعرف على محتوى مخطوطة كتاب الفخرى هذا الادلاء ببعض الاعتبارات العامة. ومنها ان كتاب "تلخيص البيان" قد صنف والف فى ثلاثينات القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) اى خلال الفترة التى بدأ فيها فى اليمن "الصراع الفئوى والتشتت الشامل وتمرد وعصيان فصائل الرسوليين المؤلفة من العبيد الذين اضنتهم وارهقتهم انهكت قواهم وطاشت بصوابهم وأطاشت البابهم موجات وباء الطاعون" (١). ان اسرة الرسوليين الحاكمة (من سنة ٦٢٦/ ١٢٢٩ حتى سنة ١٤٥٤/٨٥٨) التى انتزعت من ايدى الائمة الزيديين تعز وصنعاء واستولت على مكة ورسخت سلطتها ناشرة سلطانها من الحجاز حتى حضرموت قد ساعدت على انتشار الاسلام السنى فى اليمن. ولكن حتى زمن حكم الملك الظاهر بالله فقد الرسوليون نفوذهم السابق واضاعوا جبروتهم الساحق الماحق. وفى هذا الوضع يكلف السلطان الفخرى بتأليف، المصنف الذى ينبغى وفقا لفكرة الحاكم ان يفند ويدحض تعاليم "اهل الزيغ المنحرفين" ويبرهن على تفوق الاسلام السنى وانه الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه. وكانت مهمة الفخرى ان يبين من الناحية التاريخية "جهل" جميع الاديان وان الطوائف والفرق الدينية كافة وقاطبة على باطل وبهتان اذا قوبلت وعورضت وقيست بالعقيدة "الصحيحة" الوحيدة الجارية على محجة الصواب والسالكة درب ام الكتاب الا وهى على رأيه الاسلام وفق الاتجاه السنى. وكان كتاب

الفخرى موجها قبل كل شئ ضد الد الخصوم واشد المنافسين للسنيين فى اليمن وهم الاسماعيليون (الباطنيون) والزيديون الذين كان تأثيرهم على الجماهير فى البلاد لا يزال كبيرا. وفضلا عن ذلك واصلت مفعولها الطوائف والفرق الدينية لليهود والنصارى والزرادشتيين (المجوس). وقد توخى كتاب الفخرى غايات ايديولوجية وسياسية. وكان ينبغى ان يساعد على تعزيز الاسلام السنى واسترداد وحدة الرسوليين الدينية - السياسية. واخذا لهذا كله بعين الاعتبار يجب علينا النظر الى مصنف الفخرى لا كتمارين مدرسية كلامية لعالم من القرون الوسطى وانما كنموذج للتوجيه الاجتماعى الدينى - السياسى.

معلومات الفخرى بصدد تاريخ الاديان والطوائف والفرق فى معظمها ليست بالاصيلة. ولكن سيكون من قبيل الخطأ لو وضعنا على هذا الاساس تحت مستوى التشكيك او عمدنا الى النفى اصلا بشأن الاهمية العلمية لهذا البحث. ان كتاب "تلخيص البيان" قد صنف فى اليمن وفق مواد مؤلفات معروفة مدونة فى انحاء شتى من العالم الاسلامى ببغداد ومكة وشيراز وهرات وطوس ونيسابور وشهرستان وهكذا دواليك. ويشهد هذا الواقع كما يظهر لا على الصلات الثقافية الوثقى فحسب بل وعلى الوحدة الروحية ليمن القرون الوسطى مع باقى ارجاء العالم الاسلامى. وقد استوعب مصنف الفخرى المعارف الاجمالية لسائر العالم الاسلامى عمليا فى تاريخ الاديان وعلى هذا فان كتاب "تلخيص البيان" بوسعه ان يخدم باعتباره وصفا محددا لمستوى المعارف والثقافة الروحية لدى واحد من ممثلى المجتمع اليمنى خلال

النصف الاول من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى.

ان التمحيص الاولى لمواد الفخرى قد بين ان كتاب "تلخيص البيان" يشكل مصدرا نفيسا فى تاريخ الايديولوجيا الدينية ـ السياسية فى اليمن ابتداء من ازمان ما قبل الاسلام وحتى وقت تأليف هذا المصنف.

الهوامش

(١) أ.بوسفورت. الاسر الحاكمة الاسلامية (باللغة الروسية). موسكو، سنة ١٩٧١، ص ١١٦.

معجم تراجم غير معروف من خوارزم

يعود الى القرن الثانى عشر (م)

انس خالدوف
دكتور فى اللغة والاداب

قيض لواحد من محبى جمع الكتب فى مدينة استراخان بلقب عليموف عام ١٩٣٨ ان يقتنى لمعهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى مخطوطة عربية قديمة .وقد وصلت ضمن احد طروده البريدية المرسلة بانتظام الى المعهد حيث سجلت ضمن مقتنيات عام ١٩٣٩ تحت رقم ٣٢٥١ واعطيت الشفرة س ٢٣٨٧. تعود اول اشارة طباعية الى هذه المخطوطة الى عام ١٩٥٣ وترجع الى فكتور بيليايف، وقد افردها فى استعراضه لرصيد المخطوطات العربية لدى المعهد بالذكر من بين المجموعة العامة للمخطوطات الواردة من عليموف وادخلها فى عداد القليل من "المخطوطات العربية المتفردة لدى المعهد" (١). وذكر فكتور بيليايف ان هذه المخطوطة "تعد معجم تراجم من اصل خوارزمى ينتمى الى القرن الثانى عشر" (٢). وفى موضع اخر من استعراضه ذاك نفسه كتب عنه يقول انها "مجموعة ناقصة مجهولة المؤلف تضم تراجم مختلف العلماء. وكان المؤلف معاصرا اصغر سنا للغوى والمفسر الخوارزمى الاشهر الزمخشرى (المتوفى عام ٥٣٨ هـ /١١٤٤ م) ويبدو انه كان مثله من سكنة خوارزم ومن المعتزلة ...

والمخطوطة ... تعود كما يبدو الى زمان المؤلف ان لم تكن بخط يده" (٣).

وبقيت اثار عكوف بيليايف على دراسة المخطوطة في شكل بضع اوراق موضوعة بين صفحاتها وعليها شتى النقول وتعود اليه ايضا تأشيرات بقلم الرصاص عن النقوص وترقيم تسلسل الصفحات. وعند وصف مخطوطات التراجم تناولت هذه المخطوطة أ.ى. ميخايلوفا. واقتبس المرحوم والدى باقي خالدوف من هذه المخطوطة ترجمة الزمخشري واستخدم هذه المادة في تقريره الى المؤتمر الاول على نطاق سائر الاتحاد السوفيتي لعلماء الساميات في تبيليسي (تفليس) (٤).

تقع المخطوطة بشكلها الراهن في ١٩٣ ورقة من القطع الكبير ٢٩٫٧ سم طولا و١٨٫٧ سم عرضا. ومساحة المتن ٢٤٫٥ في ١٣٫٥ سم و٢٩ سطرا على الصفحة الواحدة من المخطوطة بخط النسخ (نسخي) وبحروف متوسطة البنط. والنص كله بخط ناسخ واحد بحبر اسود عدا اشارات العناوين والكلمات المؤشرة وعلامات فصل الابيات والمصارع في المقتبسات الشعرية المرسومة بالحبر الاحمر. واطوال الاسطر والمسافات الفاصلة بينها مضبوطة بدقة واتساق الا على ندرة اذ تند كلمة او اثنتان الى خارج حدود الاسطر على الحواشي التي تصادف فيها كذلك تصحيحات واضافات بخط الناسخ. وبوجه عام ينبغي اعتبار كتابة الناسخ واضحة وبعد التعود عليها بعض الشيء من الممكن قراءتها دون صعوبة تذكر بالطبع في المواضع التي لم تطرأ عليها تغيرات ضارة بها من طمس ومسح وما الى ذلك. والحق يقال ان الحركات على الحروف فيها نادرة الوقوع والجمل فيها ناقصة التنقيط.

وعلى الهوامش تصادف في ندرة تعليقات وملاحظات تعود على الارجح الى واحد او اثنين من القراء مطالعي الكتاب

ومدونة عقب مرور فترة قصيرة من الزمن فحسب على وقت نسخها . وعلى الحواف فى كل مكان تقريبا ملاحظات ذوات اصل مزدوج فبعضها يعود الى الناسخ نفسه ويرجع البعض الاخر الى عهد متأخر اكثر (وبين الاخيرة يصادف ما هو ليس بالصحيح تماما من ناحية القواعد اللغوية والنحوية) . وتبدأ التراقيم الشرقية للصفحات وهى كذلك حديثة الاصل من الورقة ١ ب وتستمر حتى الورقة ٣١ ب بالحبر الاسود ثم توبعت فيما بعد بقلم رصاص ازرق حتى اخر المخطوطة .

والورق من انتاج شرقى (سمرقندى) وهو سميك وصقيل وقد اسمر وارمد بفعل الزمن عليه بقع مختلفة المصدر (من الرطوبة والدهن وعرق الاصابع وما شاكل) . والاوراق متأكلة فى بعض المواضع بالدود واركانها متهرئة وفى حالة سيئة خصوصا اول واخر ورقة حيث النص فى بعض المواضع مطموس. وقد قام بترميم المخطوطة احد مالكيها الاخيرين قبل دخولها فى ملكية المعهد والعديد من الورقات ملصوقة من جهة قاعدة التجليد واحيانا فى حوافها بشرائط من ورق ابيض رقيق وعلى الورقة ١١٤ الصقت ثغرة شملت ثلاثة اسطر من النص.ويظهر ان المخطوطة قد خيطت حينذاك وجلدت فى غلاف من الورق المقوى (كارتون) هو حاليا مخلع ومتشقق ولدى ذلك جعلت الورقة المرقومة السادسة عشرة فى غير موضعها الصحيح وينبغى وضعها عقب الورقة العشرين وانفصلت عدة ورقات من الجلاد وهى سائبة . ووضعت فى بداية المخطوطة ٨ اوراق دفاتر مسطرة نقش عليها قارئ (لعله عليموف نفسه (؟)) فهرس المخطوطة بشكل لا يخلو من الاخطاء والنواقص.

وهذه المخطوطة كما ذكر آنفا منقوصة فهى محرومة البداية والنهاية . ونقرأ من اسطرها الاولى تتمة ترجمة عبد الله بن المبارك الخراسانى وتأتى ثانية المادة عن

عبد الله بن عبد الحكم ثم تتبع كذلك تراجم الاشخاص الذين تبدأ اسماؤهم بحرف العين ويعدها بحروف الغين والفاء والكاف والميم والنون والواو والهاء والياء اى حتى اخر الالفباء العربية . وبعد هذا تلى تراجم الاشخاص المعروفين بالكنى وحدها وتنقطع المخطوطة فى وسط المادة عن ابى بكر بن عياش. وعليه فان معجم التراجم هذا معقود وفق المبدأ الالفبائى ومقسم فى التصنيف على عدد الحروف الى ٢٨ بابا . والباب التاسع والعشرون المضاف فى الاخر (عن الاشخاص المعروفين بكناهم وحدها) سمى ذكر من عرفوا بالكنى وحدها : ويبين العد الحسابى البسيط ان الباقى لدينا هو نص غير كامل لعشرة ابواب من تسعة وعشرين بابا اى زهاء ثلث المؤلفة تقريبا وفقد حوالى الثلثين من البداية . ولا يكفى من نهاية المخطوطة فقدت ورقة واحدة او ورقتان وسقطت بضع ورقات ايضا فى النواقص (بعد الورقات ٨ و١٤ و١٥ و٢٠) . وتضم المخطوطة الموجودة وهى فى ١٩٣ ورقة (٣٨٦ صفحة) ٢٧٧ ترجمة منها ٤ تحاذى النواقص من الاوراق والنص فيها غير كامل. ومن هنا بوسعنا التخمين بنصيب معلوم من اليقين بان هذا المصنف جمع فى شكله الكامل قرابة ستمائة ورقة (١٢٠٠ صفحة) وضم زهاء ٨٠٠ – ٩٠٠ ترجمة . وعلى سبيل المقارنة نعيد الى الاذهان ان معجم التراجم الشهير "وفيات الاعيان" لابن خلكان يحتوى ٨٦٥ مادة ترجمة اما تاريخ بغداد لابى بكر الخطيب ففيه ٧٨٣١ منها .

ومن الارقام التى أوردناها يمكن الذهاب الى القول بان كل مادة ترجمة تقع كمعدل فى صفحة وثلث الصفحة او زهاء الاربعين سطرا . ولكن التراجم فى واقع الامر بالطبع ليست متجانسة من حيث القدر. فان خمس عشرة مادة مستفيضة تشغل نصف المخطوطة تقريبا بينما يشمل نصفها الاخر ٢٦٢ ترجمة

باقية ويتراوح مقدارها بين السطرين والثلاثة اسطر الى ٤٠ - ٤٥ سطرا.

ويتخذ عنوانا لكل مادة اسم الشخص الذى كرست لترجمته مكتوبا بحروف كبيرة. وتشكل بابا المواد الواردة فى الحرف الواحد من حروف الهجاء (الالفباء) كما ذكر اعلاه. وضمن الباب الواحد يتبع كذلك فضلا عن النظام الالفبائى المبدأ الاخبارى حسب التسلسل الزمنى اذ توضع فى البداية المواد عن الصحابة وهم جيل الرعيل الاول من المسلمين. وهذه المجموعة من التراجم افردت بعنوان خاص فى الباب الاخير وحده (الورقة ١٩٠ ب). وتوجد مجموعة تراجم الاشخاص من الجيل التالى لهم وهم "التابعون" او (التابعون لهم باحسان) عنوان فرعى فى عدد من الابواب (الاوراق ٧٠ أ و٧٤ ب و١٦٣ ب و١٧٠ ب و١٧٢ أ). وفى الباب الضخم لحرف العين تظهر تقسيمات مثل: من اسمه عبد الرحمن (الورقة ٢١ أ) من اسمه عبد الملك (الورقة ٢٧ أ) من اسمه عطاء (الورقة ٣٤ أ) من اسمه عامر (الورقة ٣٦ أ) ذكر اسماء مفردة من العين (الورقة ٤١ أ) من اسمه عمرو (الورقة ٤٨ أ). وفى خمس حالات قسمت مواد التراجم الضافية مفصولة بكلمة (فصل).

تلك هى المعطيات الخارجية الاساسية عن المخطوطة وبنية هذا المصنف. ونظرا لمحدودية حجم هذه المقالة فاننا نرجىء تحليل المحتوى ومصادر التأليف الى فرصة اخرى مكتفين بمحاولة الكشف عن المجهولية المحيرة لنسبة الكتاب.

عثر فى الكتاب على العديد من الجوانب الشخصية المتعلقة بالمؤلف. وهو حاضر دوما على صفحات الكتاب ويتحدث بكثرة كافية بلسان الشخص الاول اى بضمير المتكلم مستندا بالاحالة على "مكتوباته ومسموعاته ومنتخباته ومجموعاته" الشعرية ومذكرا بالاشارة الى عدد من مؤلفاته مثل المنتهى فى

الغزوات (على الورقتين ٧٤ ب و١٤١ ب) وكتاب صفات الصالحات وعادات العابدات (الورقة ٧٠ أ) وفضة المنى وكنز الغنى (الورقة ٨٠ أ) والمستقصى (الورقة ١٤٢ أ) ومناقب ابى حنيفة (الورقة ١٤٦ ب) ومناقب مالك (الورقة ١٦١ أ) وسير القضاة (على الاوراق ١١٥ أ و١١٨ ب و١٧٦ أ) ولقد دون مقطع مقتطف من الكتاب الاخير كذلك على حواشى الورقة ١٨١ أ. وهو يروى استنادا الى ما سمع فى الطفولة من خدم المسجد الجامع (الورقة ١٢١ ب) ان الزمخشرى الشهير زاول فى حينه دراسة الادب على يد جده لوالدته وعرفه منذ نعومة أظفاره وقد جاء مؤلفنا بدوره عام ٥٣٣/١١٣٨ ـ ٣٩ الى الزمخشرى وحياه (سلمت عليه) غير ان شتى الظروف والعقبات والموانع التى وصفها "بالعوائق" قد منعته من تلقى التحصيل على يديه وقد ظل طيلة عمره يتذكر ذلك بحرقة واسف (الورقة ١٣٧ ب).

وقد كرس لهذا العالم الذى لم يقيض له يتتلمذ على يديه مقالة زاخرة بالعواطف الجياشة تتضمن فيما تضم معلومات قيمة عنه لم ترد فى مصادر اخرى.

ونعرف كذلك ان مؤلفنا هذا قد تسنى له تلقى التحصيل فى همدان (الورقات ٩٣ ب و٩٧ أ و٩٩ أ و ١١٣ أ و١٤٦ أ) على يدى ابى العلاء الحافظ (الورقات ٤١ أ و٩٥ أ و١٢٦ ب و١٦١ أ و١٩٣ ب) وضمنا فى كتاب هذا الاستاذ "التمهيد فى معرفة التجويد" (على الورقتين ٣٨ أ و ١٧٤ ب) وفى صحيح البخارى (الورقة ١١٣ أ). وعدا هذا "سمع" الدروس فى غورغنج وخوارزم (الاوراق ٨٠ أ و٩٣ ب و١٤٢ ب)ومدينة الرى (الورقة ٩٩ ب) وبغداد (الورقة ١٤٢ ب) واسد اباد (الورقة ٨٠ أ).

وفى سنة ٥٤٥/١١٥٠ ـ ٥١ ادى المؤلف فريضة الحج (على الورقتين ٩٩ ب و١٨٨ ب) وحل فى طريق حجه ببغداد حيث

زار ضريح الإمام موسى بن جعفر - احد الامامين الكاظمين - (الورقة ٧٦ أ) وقبر الخليفة الامين (الورقة ١٨٨ ب) وفي مدينة الري حيث استمع الى قاضي القضاة محمد بن محمد بن الحسن الاسترابادي في شهر رمضان (الورقة ٩٩ ب) وفي جبل تبارك زار مقبرة محمد بن الحسن الشيباني (الورقة ٩٩ ب)وفي المدينة المنورة زار قبر مالك بن انس (الورقة ١٢٦ أ).

وتراسل في مكاتبة مع ابي سعد محمد السمعاني (الورقة ١١٣ أ) وقد كتب بحثه هذا عقب وفاة السمعاني لانه كلما جرى ذكره في الكتاب واورد اسمه شفعه بعبارة الترحم التي تذكر بعد اسم المتوفين بقوله (رحمه الله). وهو اذ يطلق بتبجيل كبير على السمعاني لقب "تاج الاسلام" يستند مرارا عديدة وبشتى المناسبات الى معلومات سمعها منه او تلقاها عبره مباشرة (الاوراق ٩٩ ب و١٠٢ أ و١٥٦ ب) وكذلك يذكر مؤلفاته السبعة باعتبارها من مصادره ولدى ذلك يعرف عن طريق اشارته لاول مرة عن وجود بعض المؤلفات التي يذكرها.

وكانت لمؤلفنا صلات قريبة بأبي المؤيد موفق بن احمد المكي الملقب باخطب الخطباء تلميذ الزمخشري ومن احبهم اليه واوفاهم له. وهو يطلق عليه بتكريم واجلال لقب الاستاذ ويسميه "شيخنا" و"صدر الشريعة" ويستند الى اقواله كواحد من مصادر اخباره (على الورقتين ٤٢ ب و١٣٨ ب)ويفيد بانه كتب بناء على طلبه ترجمة أحد المريدين (الورقة ١٧٦ أ) ويورد مقاطع من أشعاره عن ابي حنيفة (الورقة ١٦٠ ب) ومن شعر اثنين من مريديه (على الورقتين ١٧٠ ب و١٨٠ أ) وقصيدة الرثاء بمناسبة وفاة الزمخشري (الورقة ١٣٩ ب). ويشكل قسم كبير من معطيات الترجمة عن الزمخشري اقتباسا من كتاب موفق بن احمد "الاربعون" (على الورقتين ١٣٨ ب - ١٤٠ أ) أو هو مذكور بالاستناد اليه (الورقة ١٤١ أ). ويذكر

بالمناسبة على فكرة ان هذا المؤلف قد سجل فى فصلين من بحث بروكلمان (٥) بقسمين مختلفين من اسمه الكامل ولكن بتأريخ وفاة واحد هو عام ١١٧٢/٥٦٨ ولم يحفظ الى ايامنا هذا الكتاب ولهذا لم يشر الى تسميته عند بروكلمان.

وفى المخطوطة التى ندرسها هنا يذكر المؤلف ايضا عددا من معاصريه غير المعروفين لدينا على قرب ومنهم الشخص المدعو بشيخ القضاة الذى "سمع" عليه فى خوارزم اى مدينة خوارزم الرئيسية غورغنج (الورقة ٩٣ ب) وقاضى القضاة ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الاستراباذى الذى سمع عليه فى مدينة الرى عام ١١٥٠/٥٤٥ ــ ٥١ فى طريقه الى الحج (على الورقتين ٣٢ أ و٩٩ ب) والامام ابو طاهر محمد بن ابى بكر الشنجى الذى بعث اليه رسالة سوية مع السمعانى (الورقة ١١٣ أ) والشخص المدعو بصدر الائمة الذى تحدث عن واقعة باللغة الخوارزمية (الورقة ١٢٠ ب) ٢ ــ ٣) وعليه فقد فهمه مؤلفنا ثم الشيخ المعروف باسم خليل او جليل (الورقة ١٢١ أ ــ بدون نقطة فوق الحاء او تحتها) واطلق المؤلف صفة "صديقى" الذى أورد ابياتا من الشعر لغيره فى حق الزمخشرى على ابى المعالى عبد الله بن على الحكمى الزمخشرى (الورقة ١٤١ أ). وكان مخبره ابو صالح عبد الرحيم بن عمر الترجمانى الذى درس سبع سنين على يد الزمخشرى كتاب "الكشاف" فى التفسير ومواضيع اخرى (الورقة ١٤٠ أ) ويسمى شخصا اخر بانه صديقه ومخبره هو محمد الحاج الذى أمضى العمر مصاحبا "فخر خوارزم" اى الزمخشرى (الورقة ١٤١ أ) ثم صار تلميذا لدى مؤلفنا وسمع عليه كتاب "الفردوس" (٦) سوية مع الشيخ القضيبى وسمع مؤلفاته (الورقة ١٤١ أ).

وهكذا يمكن استقاء الكثير من المخطوطة رقم ٢٣٨٧ عن مؤلف هذا المعجم للتراجم وقد جاء عام ١١٣٨/٥٣٣ ــ ٣٩ وهو

لا يزال فى مقتبل عمره وأول شبابه الى الزمخشرى (المتوفى عام ١١٤٤/٥٣٨) وتلقى التحصيل فى غورغنج وهمدان وأدى الحج عام ١١٥٠/٥٤٥ - ٥١ مارا لدى ذلك بمدينتى الرى وبغداد وجمع بحرص الحديث ودرس العلوم الاسلامية التقليدية وكان متمسكا كما يستدل من محتوى ومضمون عدد من التراجم فى كتابه بالمذهب الحنفى ومعتزلى الاتجاه وكان يفهم اللغة الخوارزمية ويتكلم بها وقد تراسل مع السمعانى وكان وثيق المعاشرة مع تلامذة الزمخشرى الذين أشغلوا وضعا مرموقا للغاية فى المجتمع انذاك (مثل شيخ القضاة وصدر الائمة). واخيرا فانه بعد ان غدا مؤلفا محنكا لستة كتب على اقل تقدير وضع معجم التراجم هذا عقب وفاة السمعانى (التوفى عام ١١٦٧/٥٦٢) وموفق بن احمد (المتوفى عام ١١٧٢/٥٦٨) اى فى وقت ما اواخر القرن السادس الجهرى (الثانى عشر الميلادى). ويبدو ان الذى بين ايدينا هو بالفعل نسخة بخط يد المؤلف من هذا الكتاب كما ذهب الى القول به فكتور بيليايف.

الا اننا لا نستطيع ان نعرف من المخطوطة اسم مؤلف الكتاب. ولم يسلم من عوادى الزمن كما يظهر اى واحد من مؤلفاته التى اشار اليها فى كتابه هذا ولم يسجل له فى كتالوجات الكتب والمخطوطات وفى الادلة الاستعلامية حتى ولا كتاب واحد بالرغم من كونه شخصية معروفة وملحوظة فى زمانه وفى بيئته ومؤلفا خصب النتاج. ويعتقد بان زحف الغزو المنغولى على خوارزم والاحداث التى أعقبت فتحها مما ادى الى القضاء على العديد من الكتب والمخطوطات ومسح اسماء مؤلفيها.

ورغم ذلك ظهر ان البحوث عن اسم المؤلف فى الكتب الاستعلامية ليست عقيمة تماما. سجل فى كتاب بروكلمان

اسم العالم السلفى من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ابو الكرم عبد السلام بن محمد بن الحسن بن على الحجى الفردوسى الخوارزمى الاندرسفانى (٧) الذى يغلب احتمالا من حيث الزمن وموضع العيش ان يكون مؤلفا لهذا الكتاب الذى ندرسه . وهو يحمل نسبته الى مدينةخوارزم ومؤلف تصنيفنا هذا ايضا نشأ وترعرع وتعلم وعاش فى خوارزم ونسبته الاخرى اى الحجى كما يذكر بروكلمان وستورى تعنى مصطلحا خاصا لدى اهل خوارزم من الكلمات الدالة على اداء الحج كالحاج. ومؤلفنا كذلك قد ادى فريضة الحج ومن الممكن انه حمل هذا اللقب الفخرى. اما الامر الرئيسى الاول فهو انه يعود اليه مصنف "المستقصى" (٨) الذى عرض على اساس صحيحى البخارى ومسلم والموطأ لمالك بن أنس السيرة النبوية والحديث وتاريخ الغزوات والفتوحات الاسلامية الاولى والخلفاء الاربعة الاوائل وكذلك الحسن بن على ابن ابى طالب ولم يحفظ هذا المصنف سوى فى ترجمته الفارسية العائدة الى القرن الخامس عشر (٩) . ونحن نعرف من معجم التراجم لمؤلفنا انه قد عرض فى كتابه "المستقصى" الحديث المفصل عن وصول النبأ الى الخليفة عمر بن الخطاب بصدد فتح مدينة نهاوند ومصرعالقائد العسكرى المعين من قبله النعمان بن المقرن (الورقة ١٤٣ أ). ويدل تطابق التسمية فى الحالتين على احتمال ان المقصود فيها هو المصنف نفسه . وكان هذا الرأى او الظن هو نقطة المنطلق فى مناقشاتنا وبحثنا اللاحق.

وثمة مصنف اخر منسوب الى عبد السلام بن محمد الاندرسفينى وقد حفظ فى اصله العربى واشار اليه بروكلمان على اساس كتالوج مكتبات الموصل وكتالوج المخطوطات العربية من مجموعة جامعة برنستون. وعنوان هذا المصنف هو "الجامع البهى لدعوات النبى" وهو مؤلف عام ١١٦٩/٥٦٤ اى خلال فترة

النشاط الادبى لمؤلفنا . وهو مقسم الى ١٦٠ فصلا وبابا ويضم ١٥٣٠ دعاء١٦ منسوبة الى النبى محمد يرتبط محتواها بالروايات الاسلامية ويدخل ضمن دائرة اهتمام مؤلف المعجم. ولكن لم يكن هذا المصنف والحق يقال واردا فى مخطوطتنا .

وكما نخال فانه توفر لدينا الكفاية من الاسس لاعتبار ان المذكور ابا الكرم عبد السلام بن محمد بن الحسن بن على الحجى الفردوسى الخوارزمى الاندرسفانى هو مؤلف معجم التراجم المنسوخ فى مخطوطتنا واكمال قائمة مؤلفاته ومصنفاته وكتابة سيرته على نحو أفضل. ولكن ربما ينجم ريب فى مصداقية مثل هذا الاستنتاج كرأى لاجدال فيه .

ونحن نعتبر الدليل الحاسم اشارة اخرى فى المخطوطة . فلننظر الى نسبة الاندرسفانى. يبين ستورى فى ملاحظة خاصة انها قد نشأت كتصحيف لتسمية قرية اندرستان الواقعة على مبعدة مسيرة يوم واحد عن غورغنج. اما المخطوطة التى اوردت الحديث السابق بان الزمخشرى عرف مؤلفنا فى طفولته ودرس على يد جده لوالدته فتضيف التتمة التالية : "عندما توفى خالى كتب (اى الزمخشرى) وكان انذاك لا يزال يدرس فى الكتاب رسالة معزية الى جدى تتضمن الاعتذار لعدم قدومه من زمخشر الى اندرسبان بسبب علة بدنية ووهن جسدى (الورقة ١٣٧ ب) (١٠).

يثبت هذا المقطع كما يبدو وجود موضع مأهول فى خوارزم باسم اندرسبان (١١) والنسبة الصحيحة للشخص المنتمى اليها هو الاندرسبانى وبصيغتها الفارسية الاندرسفانى وكذلك يرسخ جيدا الاستنتاج المومى اليه أعلاه حول عودة مؤلف معجم التراجم المنسوخ فى المخطوطة الناقصة والمبتورة المحفوظة فى الفرع اللينينغرادى لمعهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى الى مؤلف معروف الاسم بدلالة مصادر اخرى.

تلك هى حصيلة الدراسة الاولية لهذه المخطوطة التى سوف يعود اليها ايضا بلا ريب دارسو نتاج السمعانى والزمخشرى وادابِ اللغة العربية فى خوارزم لفترة ما قبل الغزو المنغولى نظرا لانها تعطى مادة جديدة طرية غير معروفة سوبقا .

الهوامش

(١) بيليايف فكتور. المخطوطات العربية فى مجموعة معهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتة ،نشرة "السجلات العلمية" من اصدار المعهد المذكور، المجلد السادس ، موسكو ـ لينينغراد، سنة ١٩٥٣، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٤) باقى خالدوف. الزمخشرى (حياته ونتاجه) . نشرة "اللغات السامية" ، العدد الثانى (القسم الثانى). مواد المؤتمر الاول لعلماء الساميات ٢٦ ـ ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٤ . موسكو، سنة ١٩٦٥، الصفحات ٥٤٢ ـ ٥٥٦.

(٥) C. Brockelmann. GAL. SB I. 623, N 8c; 642. N 16a.

(٦) يبدو ان المقصود هو كتاب "فردوس الاخبار" تأليف ابى شجاع شيرويه بن شهرداد بن فناخسرو الهمدانى (توفى عام ٥٠٩/١١١٥) والذى يضم مجموعة من عشرة الاف حكاية قصيرة مرتبة حسب حروف الهجاء (الالفباء) . انظر:

C. Brockelmann, GAL, I, 344, N 5, 3.

(٧) GAL, I, 365, N 10; SB I, 624.

(٨) وهو عبارة عن تطوير موسع لكتابه السابق والمسمى "المجتلى" .

(٩) Storey C.A., Persian Literature, A Bio-bibliographical Survey, Vol. I, London, 1935, pp. 177-178.

(١٠) من المعروف ان الزمخشرى فقد مبكرا احدى ساقيه .

(١١) جلى ان التحول النطقى للفظة اندرستان الى اندرسبان مستبعد . والارجح هو ان لفظة اندرستان المذكورة فى مخطوطة واحدة فقط من المخطوطات التى وقعت بيد ناشر الكتاب وردت فى نص الاصطخرى بالمصادفة (انظر : BGA الاول، ص ٣٠٢).

في منابع علم الفولكلور عند العرب

(اراء العلماء العرب في القرون ٨ ــ ١١ م في الادب الشعبي)

فيكتور ليبيديف

الدكتور في العلوم اللغوية والاداب

ان علم الفولكلور العربي كعلم مستقل بنفسه وقائم برأسه حديث النشأة . وقد انفصل بحث الفولكلور المعاصر من علم اللهجات العربية وبحث تاريخ الفولكلور من علم الادب وحدث هذا الانفصال اواسط القرن العشرين فحسب، ولكن جمع اثار الادب الشعبي العربي ودرسها بدأ منذ اكثر من الف سنة .

نشأ اهتمام علماء العرب بالادب الشعبي في القرنين الثالث والرابع الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) في نفس الوقت مع نشوء علم الادب وعلم التاريخ عند العرب ولهذا اسباب تعرض في ما يأتي.

كل علم محتاج الى امثلة لاسناد مبادئه . وخير الامثلة من قديم الزمان كانت شواهد من النصوص الواقعية : من القران والشعر الجاهلي وامثال العرب وغيرها . واتفق اللغويون والنحويون على ان افصح نماذج اللغة الفصحى هي كلام الاعراب البدو وكثيرا ما كانوا يسكنون في البدو (١) ويسمعون شعراء الاعراب ورواتهم وخطباءهم وصاروا بعد ذلك متضلعين في امثال العرب واشعارهم واخبارهم وانسابهم.

نشأ علم التاريخ عند العرب من الاخبار والانساب . اما المؤرخون الاقدمون فكانوا يكتفون بجمع هذه الاخبار والانساب وتدوينها . ولذلك كانوا يخلطون فى كتب التاريخ المبكرة (٢) اخبارا عن وقائع حقيقية مع اساطير شتى. فكذلك نجد اساطير كثيرة فى كتب عربية قديمة فى الجغرافية وعلم الحيوان وقد عكست هذه المؤلفات مرحلة مبكرة فى تطور العلوم وكان من الخصائص المميزة لتلك المرحلة كما قال لينين: "الصلة ما بين اصول التأمل العلمى والخيال...، والميثولوجيا" (٣). وعلى قدر تافير المعارف ، حلت اخبار موثوق بها مكان الاساطير واما الاساطير فانتقلت الى كتب الادب.

ولقد أدى الاستخدام الواسع للمضامين الشعبية حتما الى استحداث اساليب معينة فى درس النصوص الفولكلورية . وتضمن هذا العمل اولا : تسجيل النصوص؛ ثانيا : اعدادها الادبى؛ ثالثا : تنظيمها وتصنيفها؛ رابعا : شرحها؛ خامسا :تقديرها . ولكن لم تتوفر كل هذه العناصر الخمسة فى كل مؤلفة عربية متعلقة بالفولكلور فى القرون الوسطى. فمثلا بدأ تقدير نصوص شعبية نادرة عند علماء العرب وكتبتهم فى ذلك الزمان،ولذلك فان كل محاولة لتنظيم النصوص الشعبية وتقديرها لعالم عربى قديم ذات اهمية كبيرة للباحثين المعاصرين فى الفولكلور العربى.

لم تستحدث كلمة خاصة فى اللغة العربية فى معنى "الفولكلور" او "الادب الشعبى" حتى ايام قريبة (٤) ولكن بعض العلماء فى زمان خلافة بنى العباس ادركوا الطبيعة الشعبية لكثير من النصوص الواردة فيها .

ذكر العلماء بعض فنون النصوص الشعبية : السمر، الحكاية (٥)، الخبر، النسب ، الخرافة، الاكذوبة . اهتم

العلماء اولا بالادب الشعبى الاعرابى (الجاهلى فى الاغلب) ثم صاروا يهتمون بعض الاهتمام بالادب الشعبى لابناء البلد فى وقتهم.

وكانت الامثال اشهر الفنون الشعبية بل صارت فنا من الادب الرفيع. خلال ثلثمائة سنة (من اواخر القرن الاول من اوائل القرن الخامس الهجرى) الفت تقريبا اربعون مجموعة من الامثال (٦).

والامثال كثيرة فى القران (٧) وجاء فى نص الذكر الحكيم "ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون" (٨). اعتبر العلماء والادباء الامثال نموذجا فى اللغة الفصحى والانشاء. قال عبد الله بن المقفع (٧٢١ – ٧٥٧ م): "ان جعل الكلام مثلا فهو أفصح للنطق والطف للسماع واسهل للمحاضرة" (٩) كما قال ابو هلال العسكرى ان كل من لم يعن بالامثال"كان منقوصا فى الادب غير تام الالة فيه ولاموفور الحظ منه" (١٠).

ان مصطلح "المثل" واسع جدا ومشتمل على الحكم والاقوال والامثال على لسان الحيوان (١١). وتعريفات المثل لبعض العلماء فى القرون الوسطى – تعريفات بسيطة ولكنها من الاهتمام الكبير لباحثين معاصرين. على سبيل المثال، قال ابو عبيد القاسم بن سلام (٧٧٠ – ٨٣٨ م): "هذا كتاب الامثال وهى حكمة العرب فى الجاهلية والاسلام" (١٢). اما ابو هلال العسكرى فقال: "ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا وقد يأتى القائل بما يحسن من الكلام ان يتمثل به الا انه لا ينفق ان يسير فلا يكون مثلا" (١٣).

غير ان الجاحظ استعمل مصطلحا خاصا (المثل السائرى فى المثل الشعبى غير اقوال الاشخاص المعينين (١٤). واستعملوا هذا المصطلح (المثل السائر) ايضا المبرد (٨٢٦ – ٨٩٨ م) فى كامله (١٥) وحمزة الاصفهانى (٨٩٣ – ٩٧٠ م)فى امثاله (١٦).

قد وصف المستشرق الالماني رودولف زيلهيم تاريخ جمع الامثال العربية من خطوات اولى الى "مجمع الامثال"للميداني وطبع كتابه "مجاميع الامثال العربية الكلاسيكية" باللغة الالمانية في هولندا سنة ١٩٥٤. مع مزيد الاسف كغيره من المجاميع القديمة لم يحتفظوا حتى يومنا. واقدم مما احتفظ هو كتاب (امثل العرب) للمفضل الضبي (توفى ٧٨٦ م) (١٧) فيه حوالى ١٦٠ مثلا جاهليا بدون نظام وكل مثل مصحوب بحكاية تشرح اصل المثل ومعناه ولانشعر في كتاب امثال العرب للمفضل الضبي بدلائل الادراك العلمي الفيلولوجي للامثال.

اما ابو عبيد فنظم الامثال في ترتيب الموضوعات (١٨) وكان في كتابه نحو الف مثل واحيانا يقدر ابو عبيد امثاله وهو يقول ان هذا المثل قديم وذلك مشهور والاخر مبتذل او يشرح ان هذا المثل شامي فقط (١٩) وان ذلك مثل بني تميم (٢٠). فكان ابو عبيد اول من ابتدع المصطلح (امثال العامة) (٢١).

وقد عرف الجاحظ أيضا المصطلح (امثال العامة) (٢٢) ومن الطريف ان الجاحظ ايضا جمع الامثال (٢٣).ولم تحفظ مجموعته مع مزيد الاسف ولكن بعض اثاره واقتباساته واردة في مؤلفات اخرى للجاحظ (ككتاب "البيان والتبيين" وكتاب "الحيوان") (٢٤) وفي "مجمع الامثال" للميداني (٢٥).

واعار الجاحظ اهتمامه الى امثال اهل البلد وهو يشير الى بعض امثال اهل البصرة والكوفة (٢٦). واما معاصره الاصغر المؤرخ الزبير بن بكار (٧٨٩ – ٨٧٠) فانه استشهد ببعض امثال لاهل المدينة (٢٧). ولعل عبد الملك بن قريب الاصمعي (٧٤٠ – ٨٢٨ م) هو اول من اهتم بامثال ابناء البلد وكان يقارن امثال اهل المدن المختلفة (البصرة، الكوفة، مكة، المدينة وغيرها) في نفس الموضوع (٢٨). وله ايضا

اقدم مجموعة من الامثال على (افعل) (٢٩)٠

فقد ضمن حمزة الاصفهانى هذه المجموعة في (كتاب الامثال) له وكل هذه الامثال وهى اكثر من الف وثمانمائة) على (افعل) (٣٠)٠ وترتيب الامثال ترتيب هجائى وفى هذا الكتاب باب خاص فى الامثال المولدة وكان هذا الباب من الخطوات الاولى الى تصنيف المراحل فى تاريخ الامثال العربية٠ وحاول حمزة الاصفهانى ان يوضح اصل الامثال على (أفعل) وحافظ على تقاليد الاسمعى والجاحظ ولاحظ الاختلافات بين امثال مدن واقاليم مختلفة (مكة، المدينة، الكوفة، البصرة، اليمن، عمان الخ) (٣١)٠

وكثيرا ما يشرح حمزة الامثال واحيانا ينقدها٠ مثلا فى شرح المثل (اكل من لقمان العادى) (٣٢) يذكر حكايات فى شهية لقمان العظيمة (زعموا انه كان يأكل ناقة فى غدائه وناقة فى عشائه) وفى شرح المثل (اعمر من القراد) (٣٣) يذكر حكايات عن عمر طويل للقراد (زعموا انه يعيش سبعمائة سنة!)، ويسمى حمزة كل هذه الحكايات(اكاذيب الاعراب)٠

وطور الاديب والشاعر المشهور ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبى (٩٦١ ــ ١٠٣٨) تنظيم الامثال وتصنيف تاريخها فى كتابه (التمثيل والمحاضرة) (٣٤) وفيه فصول فى امثال القران وامثال النبى محمد واصحابه وامثال لقمان الحكيم وامثال العرب فى الجاهلية والامثال السائرة فى صدر الاسلام وفى اوائل الخلافة العباسية وامثال العامة والمولدين وامثال اهل بغداد٠ وهكذا فان الثعالبى ينظم الامثال فى الترتيب التاريخى والجغرافى٠ وفى نفس الوقت (قبل ٤٢١ او ١٠٣٠ م) جمع القاضى والاديب على بن الفضل الطالقانى كتابا عنوانه "امثال اهل بغداد" (٣٥)٠

وبعد ذلك اهتم علماء كثيرون بجمع امثال ابناء البلد. اما امثال العرب (الامثال الكلاسيكية) فقد انتهى العلماء من جمعها اوائل القرن الثانى عشر الميلادى حين ظهر كتابان كبيران فى الامثال للميدانى (٣٦) وللزمخشرى(٣٧).

اذن نستطيع ان نستنتج ان علماء العرب وادباءهم حاولوا فى القرون الثامن - الحادى عشر الميلادى ان ينظموا الامثال فى الترتيب حسب الموضوعات او فى الترتيب التاريخى او الجغرافى.

وتوجد نصوص شعبية اخرى فى مجموعات ادبية وكتب مختلفة فى الادب والتاريخ مع قصص وقصائد للمؤلفين المعينين المشهورين ونجد احيانا فى مجموعات ادبية فصولا خاصة فى الامثال وفى ايام العرب (٣٨).

تشهد بعض اثار القرون الوسطى الادبية على اختيار حكايات شعبية لاهداف معينة مثلا قال ابن النديم فى فهرسته ان المؤرخ العراقى محمد بن عبدوس الجهشيارى كان يدعو القصاص ويسجل من افواههم احسن الحكايات. ولم يفرغ من العمل لانه مات فى ٩٤٢ م ولكنه قد جمع ٤٨٠ حكاية وقد اراد ان يجمع الف حكاية. ورأى ابن النديم مخطوطات لمجموعة الجهشيارى (٣٩)، ويعتبر بعض المستعربين المعاصرين ان الف سمر للجهشيارى هو رواية اقدم لحكايات كتاب الف ليلة وليلة (٤٠). وتوجد فى بعض مساجد اصتانبول مخطوطة فريدة لمجموعة ادبية هى (المنتخب من سمر العرب) للثعالبى (٤١) لكن هذه المخطوطة غير منشورة بعد وغير مبحوثة اذ لم يتناولها بحث خاص.

ان محاولات تنظيم النصوص الشعبية فى ادلة جغرافية لم تقتصر على الامثال. قال المسعودى (توفى سنة ٩٥٦ م) وهو من احسن الخبراء فى فولكلور زمانه (٤٢) ان اخبار النسناس

كانت مشهورة فى اليمن وحضرموت وعمان (٤٣)٠ ولكنه شك فى صحة تلك الاخبار وهو يقول: "فأهل الشرق يذكرون انها فى الغرب وأهل الغرب يذكرون انها فى الشرق" (٤٤)٠ وكذلك يقول المسعودى فى الطير المسمى عنقاء المغرب : "ولم اجد احدا فى هذه الممالك ممن شاهده او نمى الىّ خبره ذكر انه راه" (٤٥)٠

لم يكن نقد اساطير الحيوان واساطير عجائب المخلوقات فى مروج الذهب للمسعودى شيئا جديدا فى الادب العربى٠ وقد كان الجاحظ يسخر من اساطير تشابهها عن حياة الحيوان (٤٦)٠ واما فضل المسعودى فهو انه قد قسم الخبر الى نوعين: ١)خبر التواتر وهو مفيد للعلم وللعمل، ٢) وخبر غير متواتر وهو خبر باطل٠ وقال المسعودى ان اخبار النسناس والعنقاء وعجائب البحار والاسرائيليات ـ كل هذا من النوع الثانى (٤٧)٠

ونجد فى بعض مؤلفات للمسعودى ايضا اصول نقد الاخبار فى كتب التاريخ٠ ولا يكتفى بايراد بعض الامثلة بل يعمم نتائج ملاحظاته٠ مثلا، يقول السعودى فى خبر ارم ذات العماد: "وهو خبر يدخله الفساد من جهات فى النقل وغيره وهو من صنعة القصاص وقد تنازع الناس فى هذه المدينة واين هى ولم يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من اهل الدراية باعبار الماضين واخبار الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها الا خبر عبيد بن شرية ... وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة باخبارهم ان هذه الاعبار موضوعة مزخرفة مصنوعة نظمها من تقرب الى الملوك بروايتها وحال على اهل عصره حفظها والمذاكرة بها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية سبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب هزار افسانه وتفسير ذلك من الفارسية الف خرافة" (٤٨)٠

وقد اهتم المستهربون بهذا الكلام للمسعودى بصدد تاريخ الف ليلة وليلة لان هزار افسانه هو اصل فارسى لاقدم حكايات الف ليلة وليلة . ولكن هذا الرأى للمسعودى اوسع من حيث الاهمية لانه اعتراف بالاصل الشعبى (الفولكلورى) لهذه الاخبار وهو ايضا مثال مبكر من امثلة نقد المراجع التاريخية عند العرب.

ونقد المراجع التاريخية ايضا الحسن بن احمد الهمدانى (توفى حوالى ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) وكان فى (كتاب الاكليل) له مجلد خاص "فى الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة" ومع مزيد الاسف لم يعثر على مخطوطات لهذا المجلد حتى الان، ولعلها ضاعت (٤٩) .

وقد وضع العلماء منذ عهد مبكر حدودا بين فولكلور الطبقات المختلفة . مثلا، المؤرخ والفقيه المصرى الليث بن سعد (٧١١ – ٧٩٢) فرق بين نوعى القصة : ١) قصة العامة و٢) قصة الخاصة (٥٠) .

وكان الجاحظ يفرق بين اخبار الاعراب (البدو) واخبار ابناء البلد . قال الجاحظ: "ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الا مع اعرابها وخارج الفاظها : فانك ان غيرتها بان تلحن فى اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك ان تستعمل فيها الاعراب ، او ان تتخير لها لفظا حسنا ، او تل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى اريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها" (٥١) .

ان هذا الرأى للجاحظ هو اقدم محاولة فى العلم العالمى

لتفهم عملية جمع الفولكلور وهو المحاولة الاولى ايضا لتقدير الفولكلور من جهتين: الجهة الجمالية والجهة اللغوية. اولا، يقول الجاحظ ان الاخبار الشعبية يتمتع بها الناس وثانيا اراء الجاحظ فى لزوم الحفاظ على الخصائص اللغوية والانشائية للنصاص الشعبية وان هذه الاراء مهمة جدا. لاول نظرة، يعنى الجاحظ هنا اعادة الحكاية الشفاهية فقط ولكن التحقيق الثابت لهذا المبدأ يؤدى الى تسجيل النصوص بالصورة المضبوطة. ويقول الجاحظ ان "تحسين او ترفيع" النصوص الشعبية يؤدى الى تسوؤها، وان تحريرها من جهة اللغة ومن جهة الاسلوب شئ غير مقبول.

ولكن مبدأ الجاحظ (مبدأ اعادة النصوص الشعبية بالصورة المضبوطة كان يصعب على العلماء فى القرون الوسطى تحقيقه لان لغة القران وهى اللغة الفصحى صارت لغة الادب وكان من المستحيل ان تكتب وتسجل النصوص باللهجات وثانيا كان كثيرون من العلماء والفقهاء والادباء ينكرون الادب الشعبى (٥٢). ولكن بعض العلماء والادباء حاولوا ان يحافظوا على بعض خصائص اللغة الدارجة فى الامثال والنوادر والاشعار الشعبية التى سجلوها. والمثال المتميز من هذا النوع حكاية ابى القاسم البغدادى لابى المطهر الازدى العراقى (القرن الرابع الهجرى او العاشر الميلادى) (٥٣) وهذه الحكاية الساخرة تضم حكايات قصيرة مضافة وامثالا واغانى شعبية بغدادية، ويقول المؤلف فى مقدمته: "ان هذه الحكاية عن رجل بغدادى ... فاثبتها خاطرى لتكون كالتذكرة فى معرفة اخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم وكالامنوذج المأخوذ عن عاداتهم" (٥٤). ثم يظهر رغبته فى الاقتداء بالحاكية (الممثلين الشعبيين) ويقتبس عبارة من كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ عن الحاكية (٥٥) ويقول ايضا: "ملح

النادرة فى لحنها" (٥٦)٠ زاد اهتمام علماء العرب وادبائهم بالفولكلور فى القرون ١٤ - ١٧ م٠ مع تدهور الادب الكلاسيكى (الادب الرفيع) وتدهور اللغة الفصحى، وكان بعض المثقفين البارزين يسجلون امثال العامة والاغانى الشعبية ومن هؤلاء المثقفين: الشاعر صفى الدين الحلى (١٢٧٨ - ١٣٥١ م) والمؤرخ العظيم ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م)والاديب الابشيهى (١٣٨٨ - ١٤٤٦) والنحوى يوسف المغربى (١٥٧٠-١٦١١) صاحب "دفع الاصر عن كلام اهل مصر"، وهو القاموس الاول للهجة المصرية وغيرهم٠ اذن لم يزل الاهتمام بالفولكلور عند العرب فى القرون الوسطى واما اساليب وطرائق تسجيل النصوص الشعبية فقد تحسنت (٥٧)٠

ان تقليد دراسة الفولكلور وتسجيله عند العرب كان متبعا دائما ولذلك نستطيع استنباط الاستنتاج عن التأثير المعين لمبادئ الجاحظ فى جمع النصوص الشعبية وبحثها٠ اما استنتاج الاستاذ اغناطيوس كراتشكوفسكى فى عدم تأثير اسلوب الجاحظ على الادباء المتأخرين (٥٨) فانه لا ينطبق على دراسة الفولكلور٠

وفى زماننا مع ظهور وتطور الاذاعة، السينما، التلفزيون وتسجيل الصوت ومع المستوى العالى لعلم الفولكلور وعلم اللهجات، تتوفر كافة الامكانيات لتسجيل النصوص الشعبية بالصورة المضبوطة٠ ولكن بعض العلماء المعاصرين لا يهتمون لحد الان بالخصائص اللغوية للنصوص الشعبية٠ مثلا الاستاذ عبد الكريم الجهيمن (المملكة السعودية) نشر فى بيروت فى اعوام ١٩٦٣ - ١٩٦٩ "الامثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب" و"اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب" (٥٩)، كل هذا باللغة الفصحى وبذلك نال من القيمة العلمية لهاتين المجموعتين الغنيتين الممتعتين٠

وثمة اسلوب اخر لجمع الفولكلور العربى هو الاسلوب البعيد عن العلم. اسس سنة ١٩٥٥ الارشيف الفولكلورى فى مدينة حيفا فى اسرائيل فجمعت الحكايات العربية لهذا الارشيف على الشكل التالى: "كان الباحثون فى الفولكلور من اليهود لا يعرفون العربية ولذلك كانوا يسجلون النصوص الفولكلورية بالانجليزية من افواه العرب الذين لا يعرفون العبرانية" (٦٠). ان هذا الاسلوب متولد من انكار الصهاينة لثقافة الشعب العربى الفلسطينى.

اذن حتى الان احيانا يستعيض بعض اهل الفولكلور عن النصوص الفولكلورية الاصيلة بتحويراتها وحتى ترجماتها الى اللغات الاخرى! ولذلك من المفيد الان ان نذكر الجاحظ وادباء اخرين من القرون الوسطى. ولهؤلاء العلماء والادباء فضل كبير فى تاريخ علم الفولكلور: هم الذين حاولوا ان يضعوا اسلوبا لتسجيل النصوص الشعبية وان يصنفوا مراحل تاريخ الادب الشعبى العربى وان يفقوا بين فنونه وبين فولكلور قبائل وبلدان شتى وطبقات (وذلك يعنى انهم اجتهدوا فى تنظيم النصوص الشعبية وفق الترتيب التاريخى والجغرافى).

الهوامش

(١) على سبيل المثال، سكن الاديب البصرى النضر بن شميل المروزى (توفى حوالى ٨٢٠ م) فى البدو اربعين سنة كما زعم بعض اهل اللغة والتاريخ المعنيون بترجمته (انظر: جلال الدين السيوطى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. القاهرة، ١٣٢٦/١٩٠٨، ص ٤٠٤).

(٢) انظر فهرس الكتب العربية القديمة فى التاريخ والانسان والسير المؤلفة قبل ٤٣٠ (ومنها الكتب المحفوظة حتى الان وتلك المشهورة باسمائها فقط) - فى الكتب:

Sezgin F. Geschichte des arabischen Schrifttums.Leiden, 1967, Bd I, S. 257-389.

(٣) لينين. المؤلفات الكاملة . المجلد ٢٩، ص ٢٢٥.

(٤) ان اهل الفولكلور فى بلدان العرب يعنون بالفولكلور وبالتراث الشعبى المأثورات الشعبية كلها : الادب الشعبى والرقص الشعبى والصنائع الشعبية (اى الفن الشعبى الروحانى والمادى) واما الشعر والنثر الشعبى فيستعملون له المصطلح الخاص (الادب الشعبى انظر مثلا: احمد رشدى صالح. الادب الشعبى. القاهرة، ١٩٥٤؛ عثمان الكعاك. المدخل الى علم الفولكلور. بغداد، ١٩٦٤؛ عبد الحميد العلوجى. من تراثنا الشعبى. بغداد، ١٩٦٦.

(٥) انظر عن المصطلحات المستعملة لفنون شتى فى النثر العربى، والادب الشعبى فى القرون الوسطى مقالة:

Macdonald D.B. Hikaya. - Encyclopedie de l'Islam. Leyde; Paris, 1927, t. II, p. 321-324.

(٦)

Sellheim R. Die Klassisch-arabischen Sprichwortersammlungen insbesondere die des Abu Ubaid. 'ṡ-Gravenhage, 1954.

(٧) وجدت عدة مجموعات خاصة لامثال القرآن ومنها مجموعات قديمة (من القرنين الرابع والخامس الهجريين) وانظر اسماءها فى كتاب (زيلهيم).

(٨) القرآن، سورة النحل، اية ٣٠ : (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون).

(٩) الميدانى. مجمع الامثال. القاهرة، ١٩٥٥، المجلد ١، ص ٦.

(١٠) ابو هلال العسكرى. جمهرة الامثال (على هوامش مجمع الامثال للميدانى). القاهرة، ١٨٩٣ (فيما بعد جمهرة، ج ١، ص ٣ — ٤.

(١١) زيلهيم، ص ١٣ — ٢٠.

(١٢) نفس الكتاب ، ص ٩٠

(١٣) جمهرة الامثال، ص ٥٠

(١٤) الجاحظ. كتاب البيان والتبيين. القاهرة ، (فيما بعد البيان) ١٨٩٦، المجلد ١، ص ١٥٤؛ كتاب الحيوان.القاهرة، ١٩٦٥، المجلد ٥، ص ٤٥٦.

(١٥) The Kamil of el-Mubarrad/Ed. by W. Wright. Leipzig, 1864-1875, pp. 2, 134, 422.

(١٦) Sellheim, S. 131.

(١٧) كتاب امثال العرب للمفضل الضبى. قسطنطينية، ١٨٨٤.

(١٨) Sellheim, S. 56-89, N 16.

(١٩) Ibid., S. 80.

(٢٠) الميدانى. مجمع الامثال، المجلد ٢، ص ٤٠٨، مثل رقم ٤٦٣٠.

(٢١) الميدانى. مجمع الامثال، المجلد ٢، ص ٢٠٧، مثل رقم ٣٤٦٣.

(٢٢) الموروث الشعبى فى اثار الجاحظ. بغداد، ١٩٧٦، (فيما بعد الموروث).

(٢٣) Sellheim, S. 113, N 23.

(٢٤) الموروث الشعبى ... ص ٢٢٧ ــ ٢٣٨.

(٢٥) الميدانى. امثال ١١٨٢، ١١٩٤، ١٧٦٨، ٣٢٥٣.

(٢٦) كتاب الحيوان، المجلد ٥، ص ٥٢٨؛ الموروث الشعبى، ص ٢٢٩.

(٢٧) هذه الامثال واردة فى مجمع الامثال للميدانى.

(٢٨) استشهد حمزة الاصفهانى فى اخر مقدمة كتاب الامثال له بمقارنة الامثال فى المدن المختلفة للاصمعى (نشر هذا النص فى مقالة: Mittwoch E. Die literarische Tatigkeit Hamza al-Isbahanis. MSOS (Berlin). 1909, Jahrg. XII, Abt. 2, S. 165.

(٢٩) Sellheim, S. 67-68, N 13.

(٣٠) Sellheim, S. 13-20.

(٣١) Ibid., S. 9.

(٣٢) الميدانى، ج ١، ص ٨٦ — ٨٧، مثل رقم ٤١٦.

(٣٣) الميدانى، ج ٢، ص ٥، مثل رقم ٢٦٣٢.

(٣٤) لم يذكر الاستاذ (زيلهيم) هذه المجموعة. قد طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٦٥ وتوجد مخطوطتان فى الفرع اللينينغرادى لمعهد الاستشراق (رقم ٩٠٥ ب و ٩٠٦ ب).وذكر الاستاذ كارل بروكلمان مخطوطات اخرى فى كتابه "تأريخ الادب العربى).

(٣٥) رسالة فى الامثال البغدادية للقاضى الطالقانى. قام بنشره الاستاذ لويس ماسينون. القاهرة، ١٩١٣.

(٣٦) Sellheim, S. 145-151, N 41.

(٣٧) Sellheim, S. 145-151, N 42.

(٣٨) مثلاء خصص ابن عبد ربّه (٨٦٠ — ٩٤٠) جزءً من كتابه (العقد الفريد) بالامثال وجزءً اخرا بايام العرب (ابن عبد ربّه). العقد الفريد. بولاق، ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦ م، ج ١، ص ٣٢٧ — ٣٩٨؛ ج ٣، ص ٦٠ — ١١٦.

(٣٩) Kitab al-Fihrist, Bd I/Hrsg. von G. Flugel. Leipzig, 1871, S. 304.

(٤٠) Abbott N. A Ninth-Century Fragment of the "Thousand Nights". - Journal of Near Eastern Studies (New York), 1949, Vol. VIII, No. 3, p. 164.

(٤١) C. Borckelmann. Geschichte der arabischen Litteratur, Supplementband 1, Leiden, 1937, S. 502, No. 43.

(٤٢) قدّر الاستاذ كراتشكوفسكى تقديرا رفيعا لعملية المسعودى؛ انظر: كراتشكوفسكى ا.ى. المؤلفات الجغرافية عند العرب. فى كتاب: كراتشكوفسكى. المؤلفات المختارة. موسكو — لينينغراد، ١٩٥٧، ج ٤، ص ١٧٠ — ١٨٢.

(٤٣) Macoudi. Les prairies d'or/Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille, Paris, 1865, t. IV, p. 15.

(٤٤) مروج الذهب ، ج ٤، ص ١٢.

(٤٥) مروج الذهب ، ج ٣، ص ٢٩.

(٤٦) الموروث الشعبى، ص ١٠٤ – ١٠٧.

(٤٧) مروج الذهب ، ج ٤، ص ٢٥ – ٢٦.

(٤٨) مروج الذهب ، ج ٤، ص ٨٩ – ٩٠.

(٤٩) الهمدانى. كتاب الاكليل. القاهرة ، ١٩٦٣، ج ١، ص ٥٨. هكذا فى مخطوطة المكتبة العامة سالطيكوف – شيدرين (لينينغراد) من مجموعة كراتشكوفسكى (اضبارة ١٠ ، ورقة ٣). انظر ايضا بيوطروفسكى م.ب. اخبار الملك الحميرى اسعد الكامل. موسكو، ١٩٧٧، ص ٣٣.

(٥٠) تقى الدين المقريزى. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار. القاهرة ، ١٨٥٣/١٢٧٠، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٥١) الجاحظ. كتاب البيان والتبيين، ج ١، ص ٦٢.

(٥٢) ان انكار فقهاء الاسلام ورجال الدين للقصص الشعبى مشهور وله شواهد فى عدة مراجع عربية قديمة قد اشارت اليها الاستاذة وديعة طه النجم فى مقالتها :القصص،نشأته فى الاسلام وتطوره . – مجلة الاداب ، بغداد، ١٩٦٧، ج ١٠ (نيسان) ص ١٦٦ – ١٧٨.

(٥٣) حكاية ابى القاسم البغدادى لمحمد بن احمد ابى المطهّر الازدى. قام بنشرها الاستاذ ادم ميتز. هيدلبرغ، ١٩٠٢. Abulkasim. Ein Bagdader sittenbild von Muhammad ibn Ahmad Abul-Mutahhar al-Azdi/Hrsg. von A. Mez. Heidelberg, 1902.

(٥٤) حكاية ابى القاسم البغدادى، ص ١.

(٥٥) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين، ج ١، ص ٣١.

(٥٦) حكاية ابى القاسم البغدادى، ص ٢.

(٥٧) ليبيديف و.و. تسجيلات الفولكلور العربى فى القرون الوسطى. ـ ضمن الكتاب: خلاصة محاضرات المؤتمر الثالث المستسيميين السوفيتيين بذكر الاكاديمى الاستاذ غيورغى تسيريتيلى. طبيليسى (تفليس)، ١٩٧٧، ص ٥٤ ـ ٥٦.

(٥٨) كراتشكوفسكى ا.ى. ابن المعتز. ـ المؤلفات المختارة، ج ٦، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٥٩) عبد الكريم الجهيمن. الامثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب. بيروت ، ١٩٦٣، ج ١ ـ ٣؛ عبد الكريم الجهيمن. اساطير شعبية من جزيرة العرب. بيروت ، ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩، ج ١ ـ ٣.

(٦٠) Folktales of Israel/Ed. by Dov Noy. Chicago, 1963, p. XIV.

V.V. Lebedev

NOTES ON THE EARLIEST HISTORY OF ARABIC FOLK-LORE STUDIES

(VII-XI Centuries)

The collecting of Arabic folk-lore texts started in the VII-IX centuries A.D. synchronously to the beginning of Arabic philology and historiography. The most favourite genre of folk literature were the proverbs; during some three hundred years (c.a. 700-c.a. 1000) about 40 collections of proverbs were compiled. At that time Arabic scholars made first attempts of classification of proverbs. Of a great scientific importance is the principle of conserving all the linguistic and stylistic peculiarities of folk stories, firstly declared by al-Jahiz (775-869). Thus, already in the Middle Ages Arabic scholars tried to work out a certain method of recording and studying the folklore texts.

الهجرة الى الحبشة

ميخائيل بيوتروفسكى
دكتور فى التأريخ

من المعروف ان التأريخ الاسلامى يبتدئ من "الهجرة النبوية"، اى انتقال النبى محمد من مكة الى المدينة. ويقصد بالهجرة كذلك نزوح أهل مكة على أثره. ويرد فى سرد سيرة حياة بعض "الصحابة" انهم "قاموا بهجرتين": احداهما مع النبى الى المدينة، والاخرى قبل ذلك الى الحبشة.

فى السنة السابعة للهجرة وصل الى المدينة المسلمون الذين كانوا يعيشون فى الحبشة مؤقتا. وقد لام عمر، الذى اصبح خليفة فيما بعد، أسمى زوجة جعفر بن أبى طالب واتهمها مع غيرها من المهاجرين بأنهم "حبشيون" قبعوا خارج شبه الجزيرة العربية فى الاوقات العصيبة. وما كان منها الا ان اشتكت الى النبى على ذلك، فأعلن رسميا ان نزوح قسم من مسلمى مكة الى الحبشة يسمى "هجرة" ايضا وهو مأثرة كبيرة امام الاسلام. (١٠، المجلد ٨، ص ٢٠٥ - ٢٠٦). ولكن عمر بقى على استيائه من المهاجرين، وكان الكثيرون يشاطرونه هذا الرأى على ما يبدو، الامر الذى اسفر عن ان "الهجرة الى الحبشة" تراجعت الى المكان الثانى فى تاريخ الاسلام. ومن الجلى ان كمية المعلومات عنها لا تتطابق مع اهميتها، ولم

يصلنا من اخبارها الا النزر القليل.

ان المعلومات الاسلامية التقليدية عن الهجرة الى الحبشة تتمثل فيما يلى: فى السنوات الاولى العصيبة للاسلام هاجرت جماعة من انصار محمد الى الحبشة لتنجو بنفسها من اضطهاد الكفار واتجد ملاذا فى بلد النجاشى الملك العادل الاصهب بن ابجر وابنه أرها. (ترد مطابقات لهذه الاسماء ايضا فى مدونات السلالات الحاكمة فى اثيوبيا (١١، ص ١٠٥٠٤، ص ١٠٧). وبعد حسن الوفادة التى حظى بها المهاجرون الاوائل عبرت البحر الاحمر جماعة جديدة، وكان المجموع حوالى ١٠٠ شخص. وقد ارسل أهل قريش الى النجاشى رسولا ورجوه تسليم الفارين، الا انه رفض طلبهم بعد محاكمة علنية ومناقشة عرض فيها المسلمون أسس عقيدتهم، واعقبوا ذلك بتلاوة لبداية سورة "مريم". ويقال ان الملك نفسه اعتنق الاسلام، مما اثار حفيظة رعاياه. واذا صرفنا النظر عن الخبر الطنان باعتناق النجاشى للاسلام فان نزاعه مع الرعايا كان يقوم على اساس معارضة صيغة "ابن انسماء" بصيغة "ابن مريم"، الامر الذى يعكس على ما يبدو الجدالات المسيحية. وسرعان ما ظهر مدّع بالعرش خاض النجاشى معركة ضده عند ضفة النيل. وقد ابتهج المسلمون بانتصاره الذى انبأهم به الزبير بن العوام بعد ان عبر النهر، واجلوا مغادرتهم على السفن التى كانت معدة لذلك.

وفى ذلك الوقت اعلن محمد فى مكة "بوسوسة من الشيطان" ان الاصنام من شاكلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الاخرى "تلك الغرانيق العلا، وان شفاعتهن لترتجى" (عند الله) (٦، السلسلة ١، ص ١١٩٢)، الامر الذى ادى الى تصالحه مع أهل قريش، ولكن لامد وجيز. فلقد "الغى" الله هذه الكلمات المناقضة لمبدأ وحدانية الرب، ورجعت الامور الى ما كانت

عليه وحتى أسوأ من ذلك، ولكن لم يصل الى الحبشة في البداية سوى خبر قبول أهل مكة بالاسلام، فشرع الكثيرون من النازحين ولاسيما الوجهاء منهم (مثلا عثمان بن عفان الذى اصبح خليفة فيما بعد) بالعودة الى مكة، وشاركوا من ثم فى الهجرة الى المدينة.

وبعد ان حل المقام بمحمد فى المدينة بعث رسائل الى الحكام الاجانب، وفى السنة السادسة للهجرة توجه مبعوثه عمر بن أمية الضامرى برسالة الى الحبشة. وكانت هذه الرسالة ذات مضمون ملموس يلتمس فيها النبى من النجاشى ان يسهل زواجه من أم حبيبة التى كانت مهاجرة الى الحبشة. وهى ابنة ابى سفيان زعيم اعداء الاسلام فى مكة وارملة عبيد الله بن جحش الذى ارتد الى النصرانية من جديد وأدمن على الخمر ومات فى الحبشة. ووافق النجاشى على ان يكون كفيلا لمحمد، وعقد رسميا الخطبة والزواج وارسل ام حبيبة الى شبه الجزيرة العربية.

وسرعان ما رجع من الحبشة، فى السنة السابعة للهجرة، المسلمون الاخرون وعلى رأسهم جعفر بن ابى طالب، وتوافق وصولهم مع الاستيلاء على واحة خيبر الغنية، ووزع محمد عليهم قسما من الغنائم. وبذلك انتهت الهجرة الى الحبشة على الرغم من ان عدة اشخاص ظلوا هناك حتى نهاية حياتهم.

ثمة الكثير من الامور غير الواضحة فى تاريخ الهجرة الى الحبشة، على الرغم من انه قد انكب على دراسة هذا التاريخ باهتمام كل من كايتانى (٧، المجلد ١، ص ٢٦٢ ـ ٢٨٤؛ المجلد ٢، القسم ١، ص ٥١ ـ ٥٥)، وووط (١٥، ص ١٠٩ ـ ١١٧، ١٨٣ ـ ١٨٦) وكوبيشانوف (٥، ص ١٠٥ ـ ١٠٧) وبالاضافة الى مسائل التواريخ ودرجة صدق الاخبار والاحاديث الاسلامية التى تتضمن معلومات عن تلك الاحداث،

والاقاصيص الادبية والتزييفات اللاحقة، فان عددا من المسائل العامة لا يزال بلا جواب حتى الان. وبهذا الصدد اقترح في هذه المقالة بعض الخطوط العامة لحلها.

ان المصادر المتعلقة بالهجرة الى الحبشة هي الاخبار التقليدية لدى الطبري (٦، السلسلة ١، ص ١١٨١ - ١١٩٦، ١٢٢٤، ١٥٦٩ - ١٥٧١، ١٦٤٠ - ١٦٤١، ١٧٦٧) وابن اسحق (٣، ص ٢١٣ - ٢٢٨) وسير حياة الذين اشتركوا فيها حسبما ترد في المجموعات الرئيسية لتراجم حياة الصحابة، وابن سعد (١٠) وابن الاسير (٢) وابن حجر العسقلاني (٤). وان سير الحياة هذه تتضمن مواد وتقييمات جديدة وهامة، ولاسيما في تراجم حياة النساء. وان قسما كبيرا من هذه الاخبار ينسب الى احاديث النساء. ومن المحتمل انه بسبب من غضب عمر على "الحبشيين" فان اخبارهم بقيت محفوظة لوقت ما في بيئة النساء اللواتي كانت بينهن عدة ارامل للنبي كن يعشن في الحبشة مع ازواجهن الاوائل.

السؤال الاول: الى اية درجة يمكن مقارنة الهجرة الى الحبشة بالهجرة الى المدينة، وهل كانت منظمة وسريعة وذات اهداف سياسية واضحة؟ يبدو ان الامر هو على هذا النحو بالضبط وذلك بموجب القوائم التفصيلية باسماء المهاجرين الواردة في المصادر. ولكن تحليل القوائم يدل على انها قد وضعت على صورة قوائم الهجرة الى المدينة. وبرأي ووط ان تشوش وعدم دقة القوائم الاولى ناجمان عن محاولة ادخال المهاجرين الى الحبشة ضمن التقسيم الذي حدث بين "الانصار" و"المهاجرين" حيث كانت تتوقف على ذلك الحقوق في الدخول والغنائم، وعن محاولة اضفاء صبغة شرعية على فكرة "الهجرتين" (١٥، ص ١٨٣ - ١٨٤). والمقصود في الواقع هو العديد من رحلات الذهاب والايات في اوقات مختلفة. وفي

الحقيقة فان الهجرة الى الحبشة وقوائمها تعكس الاتصالات الدائمة بين الحجاز والحبشة حيث كانت تعيش وتتعاطى التجارة مجموعة صغيرة من اهل مكة . وحتى ان رحلة الدفعة الاولى من المهاجرين جاءت نتيجة للقاء بالصدفة تقريبا مع سفن التجار (٦، سلسلة ١، ص ١١٨٢) . ورجع القسم الاكبر من المهاجرين عندما قادت الرياح الى الحبشة سفن الاشعريين اليمنيين المتجهين الى المدينة . وان الاشعريين الذين كانوا يقومون برحلات تجارية منتظمة فى البحر الاحمر اخذوا معهم جعفر والاخرين (٢، المجلد ٣، ص ٣٤٥) .

يضاف الى ذلك ان الحبشة لم تكن ملاذا للمسلمين وحدهم . فلقد حاول ان يفر من المسلمين الى هناك عكرمة بن ابى جهل (٦، السلسلة ١، ص ١٦٤٠ : ١، ص ٥٤٦ – ٥٤٧) . وذهب الى الحبشة مع ثلة من الاصدقاء عمرو بن العاص ترقبا لما سيؤول اليه النزاع بين اهل مكة ومحمد الذى حل فى المدينة (٣، ص ٧٤٨) . وان بعض الذين ترد اسماؤهم ضمن قوائم المهاجرين الى الحبشة ظهروا بعد مضى بعض الوقت فى صفوف جيش مكة ، كما ان غيرهم الذين عادوا الى شبه الجزيرة العربية لم ينضموا الى محمد فى خلال وقت طويل (١٥، ص ١٨٣) . وبشكل عام لم يكن هناك نزوح منظم وهادف للمسلمين بالذات الى الحبشة .

السؤال الثانى : لماذا ذهب اهل مكة الى الحبشة ؟ ان المصادر تتيح امكانية ايراد اسباب مختلفة : الفرار من الاضطهاد والملاحقات ، الرغبة فى تجنب الضغط من قبل الاقارب الاكبر سنا المعادين للاسلام، العمليات التجارية ، خطط محمد السياسية الذى كان يتوخى التحالف مع النجاشى، الانقسام بين المسلمين . وكل هذه الاسباب كانت موجودة ، الا انها وكما اظهر ووط لم تكن عامة ولم تكن وحيدة (١٥، ص ١١٢ – ١١٧) . وكما انه لم يكن هناك نزوح عام، كذلك لم يكن هناك سبب

ملموس واحد.

ان الامر المشترك العام هو ان النازحين قطعوا صلاتهم بقبائلهم واقاربهم، وتمردوا على قواعد واحكام عشائرهم. وكما يقول ابن اسحق فان المسلمين الذين رحلوا الى الحبشة لم يجدوا فى عشائرهم واسرهم الدعم والحماية اللتين كان يتمتع بهما محمد، ولذلك قطعوا صلاتهم بها (٣، ص ٢١٣). وان الرئيسى فى الهجرة الى الحبشة هو تقويض الصلات القديمة والبحث عن صلات جديدة. وظهر زعماء جدد وشخصيات متنفذة جديدة. ومن الهام فى الاحاديث عن هذه الهجرة تكرار مصطلح "الجوار". وكان يشار به الى الصلات التقليدية فى الحياة القبلية لشبه الجزيرة العربية عندما كان الانسان او الناس الذين يقطعون صلاتهم بقبيلتهم يضعون انفسهم تحت حماية قبيلة اخرى فى ارض غريبة. وهذه هى بالذات التسمية التى تطلق على وضع المسلمين فى الحبشة. وفى الخطاب الذى ألقاه جعفر بن ابى طالب امام النجاشى ورد التأكيد بصورة خاصة على احترام مبدأ "الجوار" بوصفه احد اسس الجالية الاسلامية (٣، ص ٢٢٣ – ٢٢٤: السلسلة ١٤، ص ٣٨ – ٤٣) الامر الذى يميز هذا النص القريب جدا من القرآن بجوانبه الاخرى. ومما يدل على القطيعة مع أهل مكة هو الواقع التالى: عندما رجع المهاجرون الى مكة خافوا من دخول مدينة اقاربهم قبل ان يعقدوا اتفاقية "جوار" مع عدد من الشخصيات المتنفذة فى مكة (٢، المجلد ٢٣، ص ٣٨٥).

واستغل الهجرة الى الحبشة ايضا محمد ليعقد قرآنه على أم حبيبة (٦، السلسلة ١، ص ١٥٧٠ – ١٥٧١؛ ١٠، المجلد ٨، ص ٦٨)، وكانت هذه خطوة سياسية شأنها شأن جميع زواجات النبى تقريبا فقد ربط نفسه باواصر القرابة مع وجهاء مكة الذين شرع بالبحث عن طرق للتصالح معهم. الا ان والد ام حبيبة

بقى خصما عنيدا له، ولم يكن هذا الزواج مقبولا ضمن اطر التقاليد العربية. لم تكن ثمة حاجة لموافقة الاب فى الهجرة. ولقد استخف النجاشى بتقاليد القرابة بشبه الجزيرة العربية حيث لم يسمح لعمرو بن العاص ايضا بالانتقام فى الحبشة من عدوه من المسلمين (٣، ص ٧٤٨).

وعلى كل حال كان هذا الامر ممكنا فى شبه الجزيرة العربية. فمؤلفات سرجانت الاخيرة (١٢ :١٣) وغيرهم اظهرت ان النظام الاجتماعى فى شبه الجزيرة العربية ما قبل الاسلام كان يقوم على اساس الاقتران بين مجالات سريان مفعول القوانين والصلات القبلية مع "المناطق المحرمة" ("المهجر"، "الحوطة"، "الحرام"، "الهجرة" (١)) حيث كان يجد الملاذ عند الاماكن المقدسة الناس الذين قطعوا صلاتهم بقبيلتهم وحيث لم يكن يسرى مفعول قوانين الانتقام بالدم وحيث كان صاحب الامر والنهى هو زعيم "المنطقة" الذى لم يكن يعير انتباها احيانا للتقاليد القبلية. وكان الالتجاء الى هناك ينتظم عادة بعلاقات من طراز "الجوار". وقد تصرف النجاشى على هذا النحو بالذات بوصفه رئيسا "لمنطقة محرمة" عندما عقد زواج أم حبيبة على محمد ووافق على ان يكون كفيلا له. وادى مثل هذه الوظيفة ايضا عندما قبل من عمرو بن العاص القسم بولائه للاسلام.

وبهذا المعنى تبدو الهجرة الى الحبشة هجرة كاملة القيمة، ولكن ليس بالمفهوم الاسلامى المتأخر بل بالمفهوم ما قبل الاسلامى. فلقد كانت فرارا الى مكان لم تصل اليه ولم يسر فيه مفعول انظمة وقواعد حياة القبائل والعشائر التى تحد من حرية تصرف الافراد. وفى الوقت ذاته كان من الممكن ان تسير الحياة وفقا للتقاليد والعادات الذاتية وليس بموجب تقاليد وعادات غريبة كما فى "حوطة" او "منطقة حرام" ما.

وبهذا المعنى جاءت هجرة الحبشة مثالا، ان لم تكن خبرة سابقة للهجرة الجماهيرية والمنظمة الى المدينة والتى جرت فيما بعد. ونرى فيها، كما فى مجمل نشاط محمد، استخداما ماهرا للمؤسسات العربية التقليدية مع توسيع مجال استخدامها وتغيير مضمونها جزئيا. فالهجرة العادية اصبحت هجرة من اجل الاسلام.

لقد توجه المسلمون فى هجرة الى الحبشة بالذات نظرا لان صلات نشيطة جدا كانت تقوم بين ضفتى البحر الاحمر فى القرن السابع الميلادى. ولم يكن البحر يفرق بقدر ما كان يقرب هذين الاقليمين. ويكفى التذكير بالملاحة المنتظمة تقريبا الى الحبشة من اليمن وموانئ الحجاز، وبالمبادلات التجارية الدائمة التى تخضع لاحكام اتفاقية بين مكة والحبشة، وبالاشارات العديدة الى المصنوعات الحبشية فى الاشعار العربية ما قبل الاسلام (٥، ص ١٠٨ ـ ١٠٩).

وهذا ما يقودنا الى السؤال الثالث: ما هو المكان التأريخى الذى تشغله هجرة الحبشة فى العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة؟ من الممكن معالجة تاريخ شبه الجزيرة العربية على مدى القرون بوصفه متألفا من فترات تأرجحات بين التوجه السياسى والثقافى والاقتصادى نحو اقليمين بالتناوب: اقليم البحر الاحمر والهند، واقليم البحر الابيض المتوسط.

وبرأى ووط انه نشأ بالتدريج فى سير نشاط محمد الميل لتوجيد السياسة الواقعية والامال الدينية والسياسية نحو الشمال، اى نحو البحر الابيض المتوسط وسوريا وفلسطين (١٦). وقبل ذلك لوحظت فترة اخرى. ففى القرن السادس كانت الحبشة تبدو وكانها القسم الغربى والجنوبى لشبه الجزيرة العربية وبالعكس. وكانت جميع الصلات الرئيسية لشبه الجزيرة العربية تؤدى الى الحبشة: من الاحداث السياسية (مستعمرات الحبشة،

والحروب الحميرية الحبشية، "حملة الفيل") وحتى التأثيرات الايديولوجية. وعند القاء نظرة على تأريخ الاسلام من الممكن رؤية التوجه الاولى نحو المسيحية الذى حل محله التقارب مع اليهودية. وان الصلات المسيحية المبكرة لاهل مكة تفضى الى الحبشة واليمن الى حد كبير.

ويكفى التذكير بان القرآن يتضمن عددا لا بأس به من الكلمات التى تعود باصلها الى اللغة الحبشية ومنها: "ملاك"، "قدس"، "حواريون"، "فتح"، وربما "حنيف" ايضا. ومما له دلالته ان الكثيرين من المشاركين فى الهجرة الى الحبشة كانوا مرتبطين بصورة جلية سابقا بالمسيحية. وهذا ما تدل عليه اسمأ شماس والحوارى (١٠، المجلد ٣، القسم ١، ص ١٧٤ – ١٧٥: ٢، المجلد ٢، ص ٧٨). كما ان عبيد الله بن جحش كان مسيحيا اعتنق الاسلام وارتحل الى الحبشة حيث تنصر من جديد (١٠، المجلد ٨، ص ٦٨).

يخيل لنا ان الهجرة الى الحبشة كانت احدى الفترات الاخيرة لتوجه القسم الغربى من شبه الجزيرة العربية نحو البحر الاحمر بالغالب فى القرن السادس واوائل القرن السابع. وتلاحظ تأرجحات مماثلة لذلك فى التاريخ اللاحق لشبه الجزيرة العربية، ولكن من الصعب رؤيتها بسبب طابع البحر الابيض المتوسط الذى ارتدته الثقافة الاسلامية واتجاهات الخطوط الرئيسية للتأريخ الاسلامى العام.

* * *

لا يخلو من فائدة فى الختام ايراد معلومات عن التأثير المباشر الذى مارسته الهجرة الى الحبشة على تاريخ الاسلام. فلقد تمخضت عن عدد كبير من الاساطير التى فقد الكثير منها. وبموجب احدث فرضية لوانسبرو فانها تحيد بالصيغ المبكرة

لاحاديث النبى ونصوص الاكتشافات التى "انعم بها" عليه والاشكال الاولية للقرآن. والمقصود بذلك على وجه الخصوص حديث جعفر بن ابى طالب مع النجاشى الذى تضمن عرضا لقواعد حياة المسلمين بصورة قريبة من القرآن، ولكنه يذكر من حيث بنيته ببعض المواضع فى امثولات الحواريين (١٥: ٢٠، ٢٨ – ٢٩؛ ١٤، ص ٣٨ – ٤٣).

وان العائدين من الحبشة الى شبه الجزيرة العربية حملوا معهم معارف واشياء وعادات جديدة. وكان الاولاد الذين ولدوا فى الحبشة يتكلمون اللغة الحبشية بعد عودتهم الى المدينة (١٠، المجلد ٤، القسم ١، ص ٧٢) وعند الاشارة الى الهجرة تذكر المصادر العربية بعض الكلمات الحبشية (٣، ص ٢٢٥؛ ١٠، المجلد ٤، القسم ٢، ص ٧٢). وجلبت النساء معهن الطيب والعطر ومصوغات فضية حبشية (١٠، المجلد ٨، ص ٦٨). ومن الحبشة جاءت عادة استخدام حمالات الدفن النسائية (١٠، المجلد ٨، ص ٢٠٦). واصبح مقدار هدية الزواج التى قدمها النجاشى لام حبيبة (٤٠٠ دينار) معيارا فى الحقوق فى ظل الخلافة الاموية (١٠، المجلد ٨، ص ٦٨). وذات مرة أخذ جعفر بن ابى طالب يتقافز حول محمد شارحا ذلك بانهم على هذا النحو يؤدون فى الحبشة مراسم التحية للملوك (١٠، المجلد ٤، القسم ١، ص ٢٣).

وتطلح بعض الاقاصيص عن حياة المسلمين فى الهجرة لان تكون مصادر لتاريخ الحبشة. فهذه الاقاصيص تتضمن حقائق هامة. وعلى سبيل المثال كانت اجرة السفر من الحجاز الى الحبشة تبلغ نصف دينار (٦، السلسلة ١، ص ١١٨٢) ولقاء دينارين افتدى نفسه من السجن احد المسلمين الذين حلوا فى الحبشة وكان قد اعتقل لجنحة ارتكبها (١٠، المجلد ٣، القسم ١، ص ١٠٧). ويمكن ان تكون مفيدة فعلا للتاريخ الاساطير عن

خلع ابى النجاشى، وعن بيعه هو نفسه كعبد عندما كان صغيرا ، وعن حكم عمه ، وعن الابن المجنون للعم.

ومن الارجح انها صحيحة المعلومات عن صراع النجاشى مع المنافس على العرش ، وعن المعركة على ضفة النيل، وعن الخلافات الدينية للملك مع قسم من سكان البلاد (٣، ص ٢٢٥ – ٢٢٧). بيد ان هذه المادة لا تزال بحاجة الى دراسة دقيقة سواء من حيث صحة المصادر ام من الناحية التاريخية المقارنة وذلك بالجهود المشتركة من قبل المستعربين والمتخصصين فى الدراسات الاثيوبية .

الهوامش

(١) بارتولد. القرآن والبحر. المؤلفات ، المجلد ٦، موسكو، ١٩٦٦، ص ٥٤٤ – ٥٤٨.

(٢) ابن الاسير. أسد الغابة. المجلدات ١ – ٥. طهران، ١٣٧٧ للهجرة (باللغة العربية).

(٣) ابن اسحق. سيرة النبى. القاهرة (صبيح)، ١٩٦٣ (باللغة العربية).

(٤) ابن حجر. الاصابة فى تمييز الصحابة. المجلدات ١ – ١٠، القاهرة ، ١٣٢٣ للهجرة (باللغة العربية).

(٥) كوبيشانوف. اكسوم،موسكو ، ١٩٦٦.

(٦) Annales quos scripsit Abu Djafar Mohammed ibn Djarir at-Tabari cum aliis ed. M.J. de Goeje. Lugduni Batavorum, 1879-1901.

(٧) Gaetani L. Annali dell'Islam. Vol. 1-6, Milano, 1905-1913.

(٨) Goitein S. Portrait of a Yemenite Weaver's Village. - "Jewish Social Studies", N.Y., 1955 Vol. 17. pp. 3-26.

(٩) Gerholm T. Market. Mosque and Mafrag. Stockholm, 1977.

Ibn Saad. Biographien Muhammeds, seiner Gefaerten und der spaeteren Traeger des Islam bis zum Jahre 230 der Flucht. Hrsg. von E. Sachau. Vol. 1-10. Leiden, 1904-1928. (١٠)

Irvin A. Habashat. The Encyclopaedia of Islam. 2nd ed. Vol. 3, Leiden-London, 1965-1971, pp. 9-10. (١١)

Serjeant R. Haram and Hawtah, the Sacred Enclave in Arabia. - Melanges Taha Husain. Le Caire. 1962, pp. 41-58.

Serjeant R. The Sunnah Jami'ah. - BSOAS. Vol. 41, pp. 1-42. 1978 (١٣)

Wansbrough J. Quranic Studies, Ox., 1977. (١٤)

Watt M. Muhammad at Mecca. Ox., 1953. (١٥)

Watt M. Muhammad at Medina. Ox., 1956. (١٦)

ملاحظات حول "فهرست" ابن النديم

فاليرى بولوسين
دكتور فلسفة فى التأريخ

١. مرة اخرى حول فرضية ريتر ـ فيوك عن صياغتى "فهرست" ابن النديم

ان "فهرست" ابن النديم معروف على نطاق واسع كمؤلف مكون من ١٠ مقالات الست الاولى منها مكرسة لمؤلفات المواضيع الاسلامية التقليدية: علوم القران، القواعد، التاريخ، الشعر، المسلمات، القانون، والاربع التالية مكرسة للفلسفة وما يسمى بالعلوم القديمة، والادب السردى، وتاريخ الاديان، والخيميا التى تمثلها فى الادب العربى تراجم من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، وكذلك مؤلفات اصلية او مقلدة كتبها مؤلفون مسلمون. هذه هى بنية "الفهرست" سواء فى مخطوطات هذا الاثر (١) او فى طبعات نصه (٢) او فى ترجمته الى اللغتين الفارسية (٣) والانجليزية (٤).

بيد ان ه. ريتر نشر فى عام ١٩٢٨ (٥) وصفا لنسخة فى استنبول لمخطوطة "الفهرست" لم تكن معروفة حتى ذلك الحين (مخطوطة كبرلى ١١٣٥) نسخها يوسف بن محيى بن منصور فى عام ٦٠٠/١٢٠٣. وهذه النسخة لا تتضمن سوى مقالات المؤلف الاربع الاخيره، من المقالة السابعة الى المقالة العاشرة، ولكن

اشير اليها هنا باعتبارها المقالات الاربع الاولى. ان نص مقدمة الكاتب وعناوين المؤلف هي واحدة اجمالا في نسخة استنبول وفي طبعات "الفهرست"، ما عدا عدة مواضع من نسخة استنبول، حيث يوجد "ميل" الى تغيير (تقليص) حجم المؤلف في هذه النسخة:

رب يسر برحمتك النفوس - اطال الله بقاء السيد الفاضل (٦) - تشراب الى ... (٧) هذا فهرست كتب /العلوم القديمة من تصانيف اليونان والفرس والهند (٨)/ الموجود منها بلغة العرب وقلمها (٩) واخبار مصنفيها (١٠)وانسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ اعمارهم (١١) اماكن بلدانهم ومناقبهم (١٢) منذ (١٣) ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة.

اقتصاص ما يحتوي عليه الكتاب وهو اربع (١٤) مقالات:

المقالة الاولى وهي اربعة (١٥) فنون: الفن الاول (١٦) في وصف لغات الامم من العرب والعجم ونعوت اقلامها (١٧) واشكال كتابتها (!) (١٨): الفن الثاني في (١٩) اخبار الفلاسفة الطبيعيين (٢٠) ... والفن الثالث (٢١) في اخبار اصحاب التعاليم والمهندسين ... الفن الرابع (٢٢) في ابتداء الطب...

المقالة الثانية (٢٣) وهي ثلاثة فنون في الاسمار والخرافات ... الفن الاول في اخبار المسامرين والممخرقين (!) (٢٤) ...

المقالة الثالثة (٢٥) وهي فنان في المذاهب والاعتقادات: الفن الاول ... في عصرنا بالصابة (!) (٢٦) ومذهب(٢٧)الثنوية من العنانية (!) (٢٨) ...

المقالة الرابعة (٢٩) تحتوي على اخبار الكيمبائيين...

ان نسخة "الفهرست" المختصرة، التي اعلنتها مقدمته وفهرسه في مخطوطة كبرلي ١١٣٥، كان يعرفها غ. فلونيل

من نسختين لهامر - بورغشتال ترجعان الى اواسط القرن التاسع عشر (٣٠) . بيد ان احدى مخطوطتى "الفهرست" العائدتين الى هامر تطابق تماما الفهرس المختصر (بما فى ذلك ترقيم المقالات الاربع الاخيرة بمثابة مقالات اربع اولى) والثانية، التى لها الفهرس المختصر نفسه، لا تتطابق معه تماما وتضم بعض الاجزاء غير المذكورة فى الفهرس المختصر (٣١) .

ان عدم التطابق بين الفهرس ومضمون النص فى مخطوطة هامر - بورغشتال الثانية كان، على ما يبدو، من الاسباب الرئيسية التى جعلت فلوغيل لا ياخذ هذا الفهرس فى الاعتبار اجمالا ويعتبره مزيفا (٣٢) . واعترض عليه هـ.ريتر فى عام ١٩٢٨: "انه لمن غير الجائز اعتبار كل هذا مجرد "زيف" . ينبغى لنا على الارجح ان نتساءل عما اذا كنا امام صياغة ابكر فى ٤ مقالات وسعت فيما بعد الى صياغة اطول (اشارة التشديد منى . - ف.ب.)، وبالذات حتى المقالة العاشرة التى اصبح يجرى فيها عن الكتب الاسلامية ... بيد انه يمكن الحديث عن بعض الاقتصار، ولكنى لا اجرؤ على تقرير هذه المسالة من غير ان اعرف نسختى باريس وليدن" (٣٣) .

ان ملاحظة ريتر حول الاختصار المحتمل للنص الكامل لم تثر اهتمام الباحثين . ولكن افتراضه القائل بان المؤلف وضع صياغة "الفهرست" الموجزة اول الامر قد ترسخ فى الادب بفضل جملة من مؤلفات ى.فيوك بصورة رئيسية (٣٤)، وثبت فى المراجع (٣٥) .

فى المدة الاخيرة فقط اثارت فرضية ريتر - فيوك الانتقاد . وهكذا، فقد نشر ف. تسيميرمان فى عام ١٩٧٦ مقالة معللة بصورة ممتعة بين فيها تهافت الفرضية حول صياغتى "فهرست" ابن النديم المبكرة (الموجزة) والمتاخرة (الموسعة) . واذ نحيل القارئ الى هذه المقالة (٣٦) للاطلاع

على التفاصيل، نعرض هنا المادة الاساسية التي حللها تسيميرمان ونورد استنتاجه.

اخذ تسيميرمان للتحليل تسعة استشهادات من "الفهرست" تشير اما الى زمن كتابة ابن النديم المؤلف واما الى بنية هذا الاخير:

(١) المقدمة: " ... الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة" (٣٧).

(٢) الفهرس: "اقتصاص ما تحتوى عليه الكتاب وهو عشر مقالات" (٣٨).

(٣) المقالة الاولى، الفن الثالث: "هذا اخر ما صنفناه من المقالة الاولى من كتاب الفهرست الى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة" (٣٩).

(٤) المقالة الثانية، الفن الثالث: "هذا اخر ما صنفناه من مقالة النحويين واللغويين الى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة" (٤٠).

(٥) المقالة الثالثة، الفن الثاني: " ... الى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة" (٤١).

(٦) المقالة السادسة، الفن الرابع: " ... الى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة" (٤٢).

(٧) المقالة السابعة، الفن الثاني: " مات قريبا في(٤٣) سنة ست وسبعين وثلاثمائة" (٤٤).

(٨) المقالة السابعة، الفن الثالث: "فمن يريد معرفة ذلك (اى مؤلفات الرازى فى الخيميا. - ف.ب.) فلينظر فى المقالة العاشرة" (٤٥).

(٩) المقالة التاسعة، الفن الثاني: "ما حكاه لى الراهب النجراني الوارد من بلد الصين فى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. هذا الرجل ... انفذه الجاثليق منذ نحو سبع

سنين الى بلاد الصين ... فعاد ... بعد ست سنين فلقيته بدار الروم (بغداد)" (٤٦).

هذه الاستشهادات التسعة، كما يشير تسيميرمان (٤٧) بحق، تعطى اذا اخذت معا مادة للاستنتاجات اكبر بكثير مما كان يبدو الى الان.

يعيد تسيميرمان الى الاذهان ان هـ. ريتر وى. فيوك كانا يتخيلان ان صياغتى "الفهرست" كلتيهما قد كتبتا فى عام ٣٧٧ هـ. نفسه الذى ارخت به مقدمتا المؤلف فى مخطوطتى الصياغتين: الموجزة اول الامر، ثم الموسعة. او ان الصياغة الموسعة، التى ضمت تواريخ الصياغة الموجزة الاولى مع هذه الصياغة نفسها، قد كتبت بعد ذلك بمدة من الوقت.

يستنتج تسيميرمان ان "التفسيرين كليهما تفندهما الصيغ (٣) و(٤) و(٥) و(٩). فمن جهة، نجد ان اقسام "الفهرست" - المقالة الاولى، الفن الثالث (٤٨) والمقالة الثانية، الفن الثالث والمقالة الثالثة، الفن الثانى - الموجودة فى الصياغة المسهبة فقط قد كتبت، شان جزء من الصياغة الموجزة، فى عام ٣٧٧ هـ. ومن الجهة الاخرى، فان قسم من المقالة الثالثة، الفن الثانى. من الصياغة الموجزة، شان نسختها (المقالة التاسعة، الفن الثانى) من الصياغة المسهبة، لم يكونا قد كتبا حتى عام ٣٧٨ هـ. (٤٩). وبتعبير اخر فان الصياغة المسهبة المفترضة قد بدئ بكتابتها قبل ان تنتهى كتابة الصياغة الاولية المفترضة.

وهكذا، فان الفرضية حول الصياغة الموجزة الاولية تنحدر الى مستوى اقاويل زهيدة المغزى بحيث ان ريتر، كما اظن، لم يكن ليعرف عنها لو كان عنده تصور كامل لاشارات "الفهرست" الداخلية. فلم تكن هذه الاخيرة لتسمح له بان يفترض ما هو اكثر من ان مؤلف "الفهرست"، لاسباب

يعرفها هو وحده، قد نسخ بعض اقسامه مرتين، رغم انه كان يعانى ضيقا واضحا فى الوقت (٥٠). وطالما ان الصياغتين كتبتا بصورة متوازية، فان من الجائز على حد سواء (ومن السخف على حد سواء) اعتبار الصياغة المسهبة توسيعا للموجزة، والموجزة اختصارا للمسهبة. ولكن لا يحق لنا، طبعا، ان نصف المخطوطة ونموذجها القديم الموجود فى استنبول (٥١) بانهما يمثلان صياغة ابكر. والارجح ان فلوغيل كان مصيبا اذ نظر اليها كاختصار للصياغة الاصلية قام به احد ما الى جانب ابن النديم (٥٢).

تلكم هى، بايجاز، وجهة النظر المعللة بوضوح ومهارة لاول منتقد لفرضية ريتر ـ فيوك، ولايسعنا الا الاسف لانها لم تؤخذ فى الاعتبار لدى اعادة طبع مؤلفات فيوك حول "الفهرست"، وبالنتيجة دخلت التداول العلمى مقالات فيوك القديمة التى لم تعد بعض احكامها تتفق وحالة العلم المعاصرة.

علاوة على الدراسة المتمعنة لنص "الفهرست"، التى تعتبر مقالة ف.تسيميرمان نموذجا لها، يمكن لتناول هذا الاثر بصورة اعم ان يعطى مادة مفيدة حول مسالة الصياغتين.

وهكذا، مثلا، لم يوجه الى الان الاهتمام اللازم لواقع انه لم يكتشف الى الان فى اى من اثار ادب اللغة العربية فى القرون الوسطى المعروفة حاليا اى شئ يشير الى الاطلاع على "فهرست" ابن النديم حتى نهاية القرن الثانى عشر (٥٤).

ان اولى المؤلفات التى تشير الى اطلاع واسع على "فهرست" ابن النديم، والتى فهلت منه مختلف المواد لم تظهر الا فى الربع الاول من القرن الثالث عشر. وهذه المؤلفات كتبها اناس من جيل واحد: ابن القفطى (١١٧٢ ـ ١٢٤٧) وياقوت (١١٧٩ ـ ١٢٢٩) والصغانى (١١٨١ ـ ١٢٥٢) وابن النجار (١١٨٣ ـ

١٢٤٥)، وكانما تشير الى ان "الفهرست" قد اكتشف في ذلك العهد في وقت واحد وبصورة مفاجئة . ان التجاهل الكامل لهذا الاثر قبل ذلك ، اى على امتداد اكثر من مئتى سنة،لا يتفق تماما مع الافتراضات القائلة بوجوده بصياغات متعددة في وقت واحد .

ان تقاليد المخطوطات ـ بالدرجة التى تخولنا ان نتحدث عنها اليوم ـ تؤكد اجمالا اكتشاف "الفهرست" المفاجئ ، وحتى تلك الاثارة الخاصة التى احدثتها فى الوسط العلمى.

ان اقدم مخطوطتين نعرفهما من مخطوطات "الفهرست" هما نسخة بخط ابن النديم مع اضافات ادخلها الوزير المغربي (٩٨١ ـ ١٠٢٧) (٥٥) ونسخة عن مخطوطة المؤلف نصفها موجود فى دوبلن (٥٦)، ونصفها الاخر فى استنبول (٥٧). ان المخطوطة المكتوبة بخط ابن النديم راها ياقوت (٥٨) والصغانى (٥٩)، والنسخة التى وصلت الينا يفترض انها كتبت فى القرن الخامس الهجرى. وليست هناك اية معطيات عن وجود نسخ اخرى لمخطوطة "الفهرست" قبل ياقوت غير النسختين المذكورتين، ولهذا فان التخمينات حول نسخ نص "الفهرست" مرارا فى حياة ابن النديم (٦٠) تبدو مستبعدة من هذه الناحية .

ولم يبدأ نسخ "الفهرست" لاحقا الا فى النصف الاول من القرن الثالث عشر: فى عام ١٢٠٣/٦٠٠ نسخت مخطوطة استنبول (كبرلى ١١٣٥) التى اوحت الى ريتر بفكرة الصياغة "الموجزة"، وتأتى فى وقت قريب منها مخطوطة باريس (٦١)، وربما كذلك مخطوطة ليدن (٦٢) غير المؤرخة والمدروسة على نحو رديء اجمالا. ان البدء بالنسخ الحثيث نسبيا يتطابق بوضوح مع عهد اكتشاف العلم الاسلامى "الفهرست"، اى مع ذلك الزمن الذى باشر فيه ياقوت وابن القفطى وبعض المؤلفين الاخرين ـ لاول مرة بين العلماء المسلمين ـ استخلاص المواد لمؤلفاتهم من

"الفهرست" . ومخطوطات "الفهرست" الاخرى، من بين المخطوطات المعروفة حاليا ، كتبت فيما بعد وظهرت بسبب اقبال الاجيال اللاحقة من العلماء المسلمين.

ان مقارنة نصوص المخطوطات الباقية من "الفهرست" يجب طبعا ، ان ترد بمزيد من الدقة على السؤال حول ما اذا كانت مخطوطات اخرى نعرفها بصورة اقل قد ساهمت في اشكال "الفهرست" المبكرة. واذا لم تبين هذه المقارنة عدم وجود اية حلقات في نسب مخطوطات "الفهرست" الباقية ، فان هذا سيحل (سلبا) الى درجة كبيرة مسالة قيام المؤلف بوضع صياغتين لكتاب "الفهرست" . ودراسة تاريخ نص هذا الاثر تبقى، بالتالى، مهمة ملحة .

ان الفكرة الواردة اعلاه حول "السكوت" عن "الفهرست" فى الادب العربى حتى مستهل القرن الثالث عشر تتطلب تطويرا لها فى اتجاه اخر.

منذ الربع الاول من القرن الثالث عشر ابدى المؤلفون المسلمون، فى وقت واحد مع استخدام مواد "الفهرست" فى مؤلفاتهم، اهتماما بابن النديم نفسه ، حيث كرسوا له نبذا فى المعاجم البيوغرافية . بيد ان ى. فيوك كان قد لاحظ (٦٣) انه لا يمكن ان يستنتج من النبذات البيوغرافية التى وضعها ياقوت (٦٤) وابن حجر العسقلانى (٦٥)، مثلا، سوى انه لم يكن عند كلا المؤلفين اية مصادر غير "الفهرست" نفسه .

ان تحليل كل ما ورد فى المراجع العربية من معلومات تتعلق بابن النديم يمكن الان من القول بكل تحديد ان "الفهرست" كان دائما وبالنسبة الى الجميع المصدر الوحيد للمعلومات عن مؤلفه ، ما عدا سنة وفاة هذا الاخير التى اعلنها ابن النجار (٦٦) فقد نقلت، على الارجح، من شاهدة قبر ابن النديم. وفى كل مكان تتحدث فيه المصادر العربية

عن ابن النديم، تكرر معطيات "الفهرست" الملموسة نفسها او تفسر بعض او كل المادة الواردة في نصه.

ان غياب معلومات عن ابن النديم تاتى من مصدر مستقل عن "الفهرست" هو شهادة ذات اهمية من الدرجة الاولى. ولا يمكن تقويمها تماما الا بمقارنة انعدام الاطلاع على مصادر عن ابن النديم بالامكانات العملاقة للمدونات التاريخة الكامنة في الية نظام التعليم العربي ـ الاسلامي ما بين القرنين العاشر والثالث عشر، وفي اشكال الاسلوب المهني والاجتماعي لعلماء ذلك الزمن، واخيرا، في اشكال وجود الكتاب العربي المخطوط. هذه الاشكال الثلاثة المترابطة كلها لتجلي وعمل علم الكتاب العربي في القرون الوسطى مدروسة جيدا، ولكن استخلاص نتائج عملية منها لا يزال يثير الصعوبات، على ما يبدو.

كان العرب في القرون الوسطى يدرسون كل الحياة، مطالعين ومعالجين المؤلفات العلمية الواحد اثر الاخر تحت اشراف العارفين (عالج اسحاق بن ابراهيم الموصلي على هذا النحو الف مجلد في تصنيف المعاجم فقط !) (٦٧). واذا وجد من هو اكثر علما بالنص الذي قرئ يوما، فان هذا الاخير يقرأ مرة ثانية وثالثة. ان التصورات المتعارف عليها حول الاصل (المخطوطات التي تبرز بمثابة مثبت وحامل فعلي لمعارف الشخص المعني) لم تكن ترغم صاحب المخطوطة المنقحة على اعادة دراستها تحت اشراف معلمين اكثر اطلاعا فحسب، بل وعلى جمع شهادات من المعلمين تؤكد نوعية الاصل (قراءات، سماعات، اجازات). ان المتعلم، اذ يحقق النضج العلمي ويستلم "استلام اليد" اصلا ثقة مع شهادة مناسبة، يستطيع هو نفسه ان يمنح الشهادات اولئك الذين يرغبون في دراسة المؤلف نفسه تحت اشرافه في هذه المرة. وعملية التعلم

والتعليم المتواصلين هذه كانت تربط بعراها الوثيقة عددا كبيرا من الناس العلماء، وكانت التسجيلات الخاصة على الكتب المخطوطة (المعلومات عنها، الروايات، القراءات، السماعيات، الاجازات) تبقى امدا طويلا (لعقود وقرون) براهين ملموسة على هذه الصلات.

وهكذا، فالى جانب الاخبار التحريرية الادبية الصرف التى تركها الكتاب والعلماء عن معاصريهم لاخلافهم، كانت توجد دوما ملاحظات هامة جدا عن الاسماء والاحداث ذات طابع غير ادبى. لقد عاشت فى جملة المخطوطات المتداولة، وكانت طويلة العمر وتشكل حتما جزءا من تبحر كل عشاق الكتب فى القرون الوسطى، وذلك دون الحديث عن العلماء. هذه المادة غير الادبية الواسعة كانت، بين امور اخرى، مصدرا احتياطيا لكتاب السير فى القرون الوسطى، فكانوا يستخدمونها لطيبة خاطر حينما تعوزهم المصادر الادبية. وبفضل كتاب السير على وجه التحديد سجل جزء من هذا المصدر الواسع، وصار يعرف بسهولة ضمن سيل الانباء الادبية الصرف بحكم موضوعه المحدد (٦٨).

مع ظهور الاهتمام بابن النديم فى الادب البيوغرافى العربى (مستهل القرن الثالث عشر) كانت هذه المادة غير الادبية حول شخصيات الثقافة الكتبية فى القرن الذى نحن فى صدده هنا، القرن العاشر، قد بدأت بالتبدد لتوها. وهذا ما تشير اليه، مثلا، كثرة استشهاد ياقوت فى ملاحظاته البيوغرافية بمخطوطات القرن العاشر وحتى التاسع التى راها شخصيا (٦٩).

واذ ناخذ فى الاعتبار سواء المصادر الادبية او المصادر غير الادبية المذكورة اعلاه، يصعب التسليم بضياع كل المعلومات عن ابن النديم حتى القرن الثالث عشر سواء بصفته نديما (اذا اعتبرناه كذلك) يتنقل فى وسط اشخاص زمنه

المعروفين، او بصفته كاتبا لمؤلفين (٧٠) جلب له احدهما فيما بعد شهرة واسعة، او بصفته عالما قرأ او سمع في البداية عشرات المؤلفات تحت اشراف معلمين موقرين، ومن ثم "درس" هذه المؤلفات اشخاصا اخرين، واخيرا، بصفته ناسخ كتب بسيط ، لانه لم يكن هناك عالم لم ينسخ الكتب بيده (سواء لنفسه او للبيع). هذا في حين ان الملاحظات البيوغرافية الشحيحة التي كتبت عن ابن النديم ابتداء من القرن الثالث عشر تبين في وقت واحد اهتمام كتاب السير الشديد بشخصية مؤلف "الفهرست" والنقص في المعطيات البيوغرافية لديهم التي اضطروا الى التعويض من نقصها عن طريق شرح نص المؤلف في "الفهرست" (الذي لم يكن، بالمناسبة، صحيحا دائما) (٧١).

لعل حل اللغز يكمن في كون ابن النديم لم يكن يتمتع بتلك الصفات الاجتماعية والمهنية التي يسبغها عليه بعض الباحثين المعاصرين (٧٢). وهو، على ما يبدو، لم يكن ينتمي ابدا الى شريحة العلماء، وكان مجرد حرفي وتاجر (وراق) وممثل لتلك الفئة التجارية - الحرفية من سكان بغداد التي لم تكن موضع اهتمامات العالم الادبي في ذلك الحين، عالم الكتب والعلماء. لقد بحث عن اثار انتماء ابن النديم الى عالم العلماء كتاب سيرته في القرون الوسطى ولم يعثروا عليها: ان مؤلف "الفهرست" لم يجتز كما ينبغي مرحلة الدراسة ولم يخلف تلاميذ بعده. كان وراقا، محبا للمعرفة او حتى انسانا في غاية التبصر، ولكنه لم يعش بعمله العلمي او الادبي.

ان الشرح الواسع لكل المادة العائدة الى "الفهرست" والمفهوم البيوغرافي الوارد اعلاه لا يمكننا من التسليم بوجود صياغتين او عدة صياغات وضعهما المؤلف لنص

"الفهرست" . كان يوجد، على ما يبدو، شكل واحد لنص المؤلف لا شريك له، مع العلم ان ابن النديم لم يعده نهائيا لعرضه فى سوق الكتب. ان قضية صياغات المؤلف لنص "الفهرست" يجب ، من وجهة النظر هذه ، ان تتخلى عن مكانها لتبين الدوافع التى حدث بابن النديم الى الشروع اجمالا فى وضع هذا المؤلف (٧٣) .

فى سلسلة الحجج التى تعارض صحة فرضية ريتر - فيوك، هناك المخطوطة نفسها لما يسمى "الصياغة الموجزة" (كبرلى ١١٣٥) .

يشير ف.تسيميرمان فى المقالة التى استشهدنا بها الى موضع فى صياغة "الفهرست" الموجزة كحجة قوية جدا ضد فرضية ريتر، وهو الموضع الذى يحيل القارئ الى المقالة العاشرة فى المؤلف غير الموجودة فى تلك الصياغة (وهو يعنى، طبعا ، المقالة الرابعة) : "هذه الصيغة الواردة اعلاه (٨)، اذا كانت مدرجة /فى الصياغة "الموجزة" - ف.ب./ بهذا الشكل بالذات (العاشرة عوضا عن الرابعة ، كما كان ينبغى) تكفى وحدها لتحل المسالة فى مصلحة وجهة نظر فلوغيل. ان الملاحظات فى طبعته /"الفهرست" - ف.ب./ لا تسجل اية رواية للمخطوطة /اى النسخة عن كبرلى ١١٣٥ - ف.ب./ فى هذه النقطة . ولكن حيث ان ريتر بين مدى ما تكون هذه الملاحظات غير ملائمة احيانا ، فلابد من ترك استيضاح هذا الامر لناشر نص "الفهرست" المنقح الجديد" (٧٤) .

يتوفر عندى ، من غير انتظار مقارنة ذلك الموضع من "الفهرست" الذى اشار اليه تسيميرمان بمخطوطة كبرلى ١١٣٥، امكان دعم الحجج بواقع اخر يكاد ينطوى ، بعد كل ما قيل، على مغزى حاسم فى النقاش حول صياغتى "الفهرست" .

فى خاتمة مخطوطة كبرلى ١١٣٥ (٧٥)، التى تبدأ بعبارة

في الصنعة وله معرفة بالطلسمات واعمال الرحلج وله من الكتب
كتاب اللامع وشيول الرحلج كتاب صناعة الذر الشر
ابن ابي العراقر بغ
ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني وقد استقصينا ذكره في اخبار الشيعة
وكان له قدم في صناعة الكيميا وله من الكتب
كتاب الحار كتاب الحجر كتاب شرح دار الرحمة لجابر
كتاب الراحات ٥ في الحشيليل ... وهو ابو الحسن احمد
الحشيلي لقب وكان لي صديقا وزعم في دصات الصناعة ... لم
ادرك ذلك عليه لاني لا اراه الا فقيرا وشيخا ... وكان شيخا وله من الكتب
كتاب شرح كتاب الرموز كتاب الشمس كتاب القمر
كتاب مسعف الفقرا كتاب الاعمال على راس الكور
قال محمد بن اسحق والاسما المولفين في هذا الشان اكثر واعظم من ان يحصى
لكن اثبت الذين اشتهروا عنهم ولاهل مصر في هذا الامر مصنفون وعلما
واصل الكلام في الصنعة من تراخذوها والبرابي المعروفة وهي موضع
الحكمة وما ينبه من بلاد مصر وقيل ان اصل الكلام في الصنعة للفرس الاول
وقيل اول من تكلم عليه اليونانيون وقيل الهند وقيل الصين والله اعلم

تمت المقالة العاشرة من كتاب الفهرست وبتمامها
جميع الكتاب ولله الحمد والمنة والحول والقوة
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما

(تمت المقالة الرابعة من كتاب الفهرست وتم بتمامها جميع الكتاب)
نجد فوق كلمة "الرابعة" اشارة لم ينتبه اليهما
هـ. ريتر ولا ى.فيوك اللذان رايا هذه المخطوطة .هذه الاشارة
هى كتابة سريعة لرمز نادر ولكنه مالوف ، مكون من مدة
(~) وكتابة سريعة للحرف ى تحتها (ـى). ولما كان
الحرف ى (ياء) يرمز الى الرقم "١٠"، فمن الواضح ان
ناسخ هذه المخطوطة، اذ انهى النسخ فى عام ١٢٠٣، سعى
الى تلافى سوء التفاهم الذى وقع على اى حال فى الادب العربى
بسبب اعادة ترقيم المقالات فى هذه النسخة. واذ ناخذ الان
فى الاعتبار الاشارة المذكورة، ينبغى لنا فهم العبارة
الواردة اعلاه على النحو التالى: "تمت المقالة الرابعة (افهم:
العاشرة!) من كتاب الفهرست وتم بتمامها جميع الكتاب".

ثمة امثلة لرموز مماثلة، مع استخدام مختلف احرف
الابجدية العربية، فى مخطوطة لاحدى رسائل الكندى (الفاتيكان،
(Sbath-48) يفترض انها ترجع الى القرن الثالث عشر، ويمكن
الاطلاع عليها بسهولة فى النسخ الماخوذة طبق الاصل (٧٦).

ان القراءة التى نقترحها لخاتمة مخطوطة كبرلى ١١٣٥
تجعلنا نستنتج: ١) ان صياغة "الفهرست" الموجزة هى اختصار
لنص "الفهرست" المعروف مرفق باعادة ترقيم اجزائه المكونة؛
٢) قام بالاختصار فى اواخر عام ١٢٠٣ يوسف بن محيى بن
منصور الذى لا نعرفه الان عن كثب.

وكما يمكننا ان نرى من نص هذه النبذة، فان تحليل
فرضية ريتر - فيوك ثلاث مرات والذى قام به ف.تسيميرمان
وكاتب هذه السطور كل منهما على حدة، وانطلاقا من مادة
مختلفة، كان يؤدى فى كل مرة الى استنتاج واحد لا يتغير،
وهو ان صياغة "الفهرست" الموجزة ليست صياغة مبكرة بالنسبة
الى نص "الفهرست" المعروف والذى تم طبعه، ولا صياغة من

المؤلف اصلا. وهذا الاستنتاج ينطوى على مغزى واحد سواء بالنسبة الى بعث تاريخ نص "الفهرست" والصلة بين مخطوطاته، او بالنسبة الى تقويم شخصية كاتب هذا المؤلف.

٣. الصلة بين مخطوطات "فهرست" ابن النديم

لم تحل بعد مسالة الصلة بين مخطوطات " الفهرست" والتى تنطوى على مغزى من الدرجة الاولى بالنسبة الى اعداد نص انتقادى لهذا الاثر. ان بنية النص المتباينة فى مختلف نسخ "الفهرست" تعزى عادة الى ابن النديم نفسه. وهكذا، توجد وجهة نظر تقول بان المؤلف وضع " الفهرست" فى صياغتين (٧٧). وقد اعرب مرارا عن راى مفاده ان "المؤلف نفسه بقى يدخل اضافات الى العمل حتى مستهل القرن الخامس / الحادى عشر تقريبا" (٧٨). ولم يستبعدوا ايضا ان ابن النديم فى السنوات التى تلت تاليف "الفهرست" عام ٣٧٧ هـ. "اخرج نسخا جديدة من مؤلفه كانت محسنة وموسعة مقارنة بالصياغة الاولى التى كانت تحمل طابع مسودة" (٧٩). ليس مما يدعو الى الدهشة فى ظل هذه التفسيرات لمادة النص ان يترسخ فى العلم مع اكتشاف نسخ جديدة لمخطوطة "الفهرست" فى اعوام ١٩٢٧ ـ ١٩٤٩ تطلع مقصود الى صياغة مجملة لنص هذا الاثر بناء على بضع من اهم النسخ (٨٠).

ولكن فى عام ١٩٧٢ برهن ر.زيلهايم بشكل مقنع على ان مؤلف "الفهرست" توفى عام ٣٨٠ هـ.، اى بعد جمع مؤلفه بثلاث سنوات. ان تعيين سنة وفاة ابن النديم وضع حدا زمنيا صارما لتغيرات محتملة فى نص "الفهرست" وضعها المؤلف او وضعت وهو على قيد الحياة اجمالا. وفرضية قيام المؤلف بوضع صياغتين لكتاب "الفهرست" لم تلق الى الان اى

تاكيد لها، بل، على العكس، اثارت اعتراضات مبررة في الصحافة. وهكذا، توصل احدث الابحاث الى استنتاج يقول بانه حينما كان ابن النديم على قيد الحياة لم يكن يوجد، على ما يبدو، سوى شكل واحد لنص المؤلف لا شريك له؛ مع العلم انه لم يكن، كما سنبين لاحقا، معدا بصورة نهائية لعرضه في سوق الكتب. هذا هو الموقع الذي ينبغي، في راينا، الانطلاق منه لدراسة الصلة بين مخطوطات "الفهرست".

ثمة اسس واقعية للقول انه كانت توجد قبل بداية القرن الثالث عشر مخطوطتان، او ثلاث في الاكثر، لكتاب "الفهرست" (٨٢). احداهما بخط المؤلف، والاخرى ـ وهي نسخة عنها ـ نفذت على اساس المعطيات البليوغرافية (٨٣) كما يفترض، في الربع الاول من القرن الخامس الهجري. ويمكن ان نذكر، كمخطوطة ثالثة، "الفهرست" الذي حرره الوزير المغربي، وكان بيرغشتريسر اول من اشار في المراجع الى وجود هذه الصياغة (٨٤).

لم يبق من بين هذه المخطوطات الثلاث الا واحدة، وهي النسخة الماخوذة عن مخطوطة المؤلف. وهي مكونة من عشرة اجزاء يحتوي كل واحد منها على مقالة واحدة. ولكل جزء (باستثناء الاول) صفحة عنوان كتبت فيها تسمية الكتاب المسهبة والاسم الكامل للمؤلف وبعض المؤلفات الاخرى. لمعرفة طبيعة المخطوطة ينطوي على مغزى جوهري واقع انه استخدمت على صفحات العنوان التسع الموجودة اربعة اشكال للاسم الكامل لمؤلف الكتاب، واربعة اشكال لتسمية الكتاب المسهبة.

والخاصية الهامة لهذه النسخة كذلك كون النص لا يغطي كل صفحاتها دائما. وهذه الفراغات ذات الحجوم المختلفة والتي لا يغطيها النص موجودة بين بعض الحواشي البيوغرافية في صفحات كثيرة على امتداد المخطوطة باسرها وناسخ هذه

المخطوطة يشير خصيصا الى انه يعيد فى كل مكان "الفراغات" الموجودة فى نسخة المؤلف نفسها : "اخللنا كما وجدنا فى الدستور وكذاك فى جميع الكتاب" (٨٥). ان منشأ الفراغات التى لم يشغلها النص ناجم، ولاشك ، عن ان المؤلف ترك مكانا للاضافات وحتى لادخال اسماء جديدة فيما بعد كانت قد اهملت لدى وضع الكتاب. ونتيجة لهذه المواضع الخالية من النص تحدث المخطوطة انطباعا لمؤلف غير مكتمل، الامر الذى اشير اليه فى الادب مرارا (٨٦). وهو كذلك بالفعل من بعض النواحى، ففى اماكن كثيرة من المؤلف لا توجد التواريخ التى كان بود ابن النديم وضعها ، لا توجد قائمة بالمؤلفات التى كان من الواضح انه ينوى اعطاءها . وبالمناسبة ، فعلى الرغم من سمات عدم اكتمال المؤلف ، كان ابن النديم يعتبر، كما يبدو انه بيض نهائيا . وهذا ما تشير اليه ملاحظته الواردة سواء فى هذه النسخة عن مخطوطة المؤلف ، او فى المخطوطات الاخرى: ابو الحسن على بن عيس الرمانى ... انه حى الى زمننا الذى بيض فيه هذا الكتاب (٨٧).

ان كل ما قيل هنا عن النسخة الماخوذة عن مخطوطة المؤلف يمكن ان يقال ، بفضل دقة الناسخ، عن مخطوطة المؤلف نفسها (٨٨).

وهكذا، فان مغزى النسخة التى اتينا على وصفها اعلاه ينبع بالنسبة الينا من قربها النادر الى نص "الفهرست" المكتوب بخط المؤلف. وهى، بقدر ما نستطيع ان نحكم الان ، لم تساهم مساهمة جوهرية فى الصلة اللاحقة بين مخطوطات "الفهرست" (٨٩).

ومن الاصعب تحديد مصير النسخة المكتوبة بخط ابن النديم ودورها فى نسخ "الفهرست" لاحقا. ولكن يمكن الان بالذات ، كما يبدو، قول شئ جديد فى هذا الخصوص.

لقد اشير في الادب ، ان ياقوت لدى وضع "ارشاد الاريب" استخدام، من جهة ، "الفهرست" بخط ابن النديم، ومن الجهة الاخرى ، نص "الفهرست" في الصياغة الموسعة للوزير المغربي (توفي ١٠٢٧/٤١٨) . هذا الواقع ثبته بيرغشتريسر في عام ١٩٢٤، اي قبل اكتشاف نسخ "الفهرست" الجديدة ،وساعد كثيرا على اختيار منهج برهن فيما بعد على عدم جدارته للعمل اللاحق من اجل وضع نص منقح لهذا الاثر (٩٠) .

ان اكتشاف مخطوطة تشيستر بيتي رقم ٣٣١٥ يوخي امكان الاستفادة على نحو جديد من الوقائع التي اظهرها بيرغشتريسر . هذه المخطوطة ، كما سبقت الاشارة ، عبارة عن نسخة دقيقة للغاية عن مخطوطة "الفهرست" التي كتبها المؤلف. ومقارنتها بطبعة هـ.فلوغيل تبين ان هذه الاخيرة اكثر معلومات من النسخة المكتوبة بخط ابن النديم. وهي، مثلا، اكمل من مخطوطة بيتي (وبالتالي ، مخطوطة المؤلف ايضا) من حيث قوائم المؤلفات التي تنتهي بها كل ملاحظات "الفهرست" البيوغرافية تقريبا في النصين المقارنين. يبرز هذا السؤال: من اين ظهرت في مخطوطة "الفهرست"، التي استخدمها هـ.فلوغيل (٩١) تلك المعلومات غير الموجودة في نسخة ابن النديم ؟

يتضح ان ملاحظات بيرغشتريسر لمصادر ياقوت مفيدة هنا . فهي تمكننا من ان نستخدم للمقارنة بين المخطوطتين المشار اليهما استشهادات من "ارشاد الاريب"، بمثابة نص ثالث ، وان نحاول ان نكتشف في هذه الاخيرة سمات انتمائها الى صياغة الوزير المغربي.

ان مقارنة الاستشهادات من "الفهرست" المبعثرة في مؤلف ياقوت بمخطوطة ت.بيتي رقم ٣٣١٥، من جهة ، وبمخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم ٤٤٥٧، من الجهة الاخرى، تبين

ان ياقوت ، فى الحالات التى تجرى مقارنتها ، لا يتبع فى "ارشاد الاريب" مخطوطة ابن النديم، بل رواية "الفهرست" التى تمثلها مخطوطة باريس. نورد على سبيل المثال قائمة مؤلفات ابى عثمان المازنى من "الفهرست" وفق المخطوطتين المذكورتين (٩٣)، وكذلك من "ارشاد الاريب" لياقوت و"وفيات الاعيان" لابن خلكان (٩٤):

الجدول

الرقم المتسلسل	اسم المؤلف	"الفهرست" ت.بيتى	"الفهرست" المخطوطة ٤٤٥٧	ياقوت	ابن خلكان
١.	كتاب فى القرآن (كبير)	−	−	+	−
٢.	كتاب علل النحو (صغير)	−	−	+	−
٣.	كتاب تفاسير	−	−	+	−
٤.	كتاب سيبويه	−	−	+	−
٥.	كتاب مايلحن فيه العامة	−	+	+	+
٦.	كتاب الالف واللام	+	+	+	+
٧.	كتاب التصريف	+	+	+	+
٨.	كتاب العروض	+	+	+	+
٩.	كتاب القوافى	−	+	+	+
١٠.	كتاب الديباج على خلاف كتاب ابى عبيدة (٩٥)	+	+	+	+

يتضح من الجدول ان عدد المؤلفات واسماءها وترتيب سردها تبين سواء لدى ياقوت او لدى ابن خلكان ان صياغة "الفهرست"، التى تمثلها مخطوطة باريس ، كانت المصدر

لكلا المؤلفين، لا نسخة ابن النديم المكتوبة بخط يده . ان الترابط بين النصوص الاربعة المثبت في هذا الجدول هو ترابط نموذجي ويمكن تاكيده بعدد من الامثلة الاخرى (٩٦).

ان التطابق المنتظم لمعطيات ياقوت مع المخطوطة رقم ٤٤٥٧ او قربها الى هذه النسخة اكثر من قربها الى مخطوطة بيتى يبعثان على التفكير فى اننا نجد فى نسخة "الفهرست" الباريسية رقم ٤٤٥٧ بالذات صياغة الوزير المغربى نفسها التى استخدمها ياقوت. ان تطابق نسخة باريس رقم ٤٤٥٧ وصياغة الوزير المغربى هو بالذات الذى يحل مسالة منشأ الاختلاف بين نصى نسختى "الفهرست" الاقدم: احدى النسختين تتبع مخطوطة ابن النديم، والاخرى تتبع صياغة المغربى الموسعة . ينجم عن هذا ان طبعات "الفهرست" الموجودة، سواء النص العربى او ترجمتاه الى اللغتين الفارسية والانجليزية ، هى، فى راينا ، مؤلف ابن النديم فى صياغة الوزير المغربى الموسعة، لانها جميعا تقوم على مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧ الاكمل. والامر على هذا النحو بالذات بالنسبة الى مقالات "الفهرست" الابع الاولى على الاقل.

ولكن، فلنعد الى مخطوطة ابن النديم الضائعة .

لقد اعتبر بيرغشتريسر وفيوك بصورة محددة ان مخطوطة ابن النديم وصياغة الوزير المغربى نسختين مختلفتين (٩٧). وكلمات ياقوت التالية هى، بالطبع، التقليل الرئيسى لوجهة النظر هذه (٩٨): "قرأت فى كتاب الفهرست الذى تممه الوزير الكامل ابو القاسم المغربى ولم اجد هذا فى النسخة الذى بخط المصنف او قد ذهب عن ذكرى قال: ذكر ابو عمر الزاهد قال: اخبرنى ابو محمد الانبارى قال:قدمت الى بغداد...". لقد فهم المؤلفان، على الارجح، كلمة "نسخة" بمعناها المباشر.

ان احد المواضع فى "أرشاد الاريب" لياقوت يمكننا من ان نفهم كلمات ياقوت على نحو اخر ويوصلنا الى استنتاج مفاجىء، ولكنه معقول جدا، وهو ان صياغة الوزير المغربى ونسخة ابن النديم ليستا مخطوطتين مستقلتين لكتاب "الفهرست"، بل نسخة واحدة هى مخطوطة ابن النديم التى ادخل عليها الوزير المغربى اضافاته (٩٩).

يكتب ياقوت فى سيرة حياة الاخفش الاصغر (١٠٠):"وجدت فى كتاب فهرست النديم بخط مؤلفه وذكر الاخفش هذا فقال: له من التصانيف كتاب الانواء وكتاب التثنية والجمع و / ... / كتاب الحداد". ولكن فى مخطوطة بيتى المنسوخة عن مخطوطة المؤلف، نجد فى الحاشية حول الاخفش ان مؤلفات الاخير لم تذكر ابدا، بل ابقى لها حيز كبير فقط. ولكن مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧، التى نعتبرها نسخة عن صياغة الوزير المغربى، تتضمن هذه المؤلفات، وهى بالذات تلك التى ذكرها ياقوت (١٠١).

من بين صياغتى "الفهرست"، اللتين يبدو كانما استخدمهما ياقوت (مخطوطة المؤلف وصياغة المغربى)، نجد ان مخطوطة المؤلف على وجه التحديد، التى يستشهد بها هنا، لا تتضمن المعلومات التى اوردها، اى انه اخذها من صياغة المغربى التى تحتوى عليها فعلا. ينبغى فى غضون ذلك ان ناخذ فى الاعتبار ان ياقوت يتجاهل تماما حاشية "الفهرست" البيوغرافية الشحيحة عن الاخفش، يملك مادة واسعة من مصادر اخرى، ولا يشير الى "الفهرست" الا كمصدر للمعلومات عن مؤلفات الاخفش.

اعتقد انعدام الدقة فى استشهاد ياقوت بمخطوطة ابن النديم هو شىء ظاهرى فقط. كل ما فى الامر انه كانت قد ظهرت فى مخطوطة ابن النديم فى ذلك الحين تلك الاضافات

التى يجعلنا مجموعها نتحدث عن صياغة الوزير المغربى.

ان الشروحات التى ادخلها الوزير المغربى فى نسخة ابن النديم حولت مخطوطة "الفهرست" الى مصدر من نوع خاص بحيث لم يعد من السهل تسميته لدى الاستشهاد به . وتتلخص خاصيته فى كون مخطوطتى ابن النديم والمغربى اتحدتا فى نسخة واحدة بتسمية واحدة.

مع ميل المؤلفين العرب العام الى التنويه فى مؤلفاتهم باستخدام مخطوطات المؤلفين، فان الاشارة الى مخطوطة المغربى داخل مخطوطة ابن النديم كان من شانها ان تتخذ لا محالة شكل تراكيب نحوية ضخمة (بسبب عدم اعداد مصطلحات كهذه). ولعله بسبب هذه التعقيدات بالذات ، نجد ان ياقوت فى "ارشاد الاريب" المتعدد المجلدات ، مع ايراده عشرات الاستشهادات من "الفهرست" لم يذكر الا مرتين (١٠٢) ان مرجعه مخطوطة المؤلف واشار مرة واحدة فقط الى اضافات الوزير المغربى (١٠٣) وكتابات الوزير المغربى بخط يده (١٠٤). وفى الحالات الاخرى يشير فقط الى "الفهرست" او الى مؤلفه ، محمد بن اسحاق، او يستخدم مواد "الفهرست" بدون اية اشارة الى المؤلف اجمالا. ومحاولة ياقوت الوحيدة للاشارة الى تداخل نص المؤلفين فى مخطوطة "الفهرست"، مع العلم انها محاولة يعوزها الكثير جدا من الدقة، نراها فى كلماته الواردة اعلاه. ولنا عودة اليها بعد بعض الوقت.

وهكذا، فان اتحاد مخطوطة ابن النديم مع اضافات الوزير المغربى عليها ، الذى اظهرناه فى حاشية ياقوت عن الاخفش ، يمكن له ان يكون سببا لتداخل المصدرين فى اطار نسخة واحدة لمؤلفين. لقد حصل واحد من امرين: اما ان ياقوت لم يلاحظ ان الحاشية عن الاخفش وقائمة مؤلفات الاخير فى "الفهرست" مكتوبتان بخطين مختلفين، او انه

اسمى مصدره بصورة الية "وفق سمة، وان كانت صحيحة، لكنها مع ذلك ليست اساسية فى هذه الحالة.

ثمة ايضا تفسير اخر ممكن. ان ياقوت فقد مرة على الاقل، كما يعترف هو نفسه، تصور الحد الذى يفصل نص ابن النديم عن اضافات الوزير المغربى، لقد ذهب عن ذكره. لن يكون من المغالاة الافتراض ان ياقوت فى فترة كتابة "ارشاد الاريب" لم يستخدم مباشرة مخطوطة ابن النديم مع تعليقات الوزير المغربى، بل نسخة عنها كتبها هو نفسه (١٠٥) او ناسخ اخر. وبالمناسبة، قد تكون هذه النسخة هى مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧ التى اتينا على ذكرها مرارا، والتى اعدت على، ما يظهر، فى ذلك الوقت بالذات (١٠٦). واذا كان الاختلاف فى الخطين والسمات الاخرى تشير فى نسخة المؤلف الى الحد بين نص المؤلف والاضافات اللاحقة، فان هذا الفرق يتبدد فى النسخة. والتمييز بين نص ابن النديم ونص الوزير المغربى من خلال خط النسخة المتجانس لم يكن ممكنا الا بالاعتماد على ما تختزنه الذاكرة من المخطوطة الاصلية. وربما بسبب استحالة الاعتماد على الذاكرة دائما يوجد فى "ارشاد الاريب" الكثير من الاشارات الى "الفهرست" والى مؤلفه، ولكن لا توجد عمليا، كما سبق القول، اشارات الى مخطوطة المؤلف واضافات الوزير المغربى المكتوبة بخط يده.

كل هذه الاعتبارات تعيدنا الى كلمات ياقوت التى اعطت مسوغا للقول انه استخدم نسختين مختلفتين لكتاب "الفهرست". لا توجد اية اسس للاعتراض على الترجمة المقترحة اعلاه لهذه الكلمات من وجهة النظر الفيلولوجية. ولكن اسبابا لها ارتباط بعلم دراسة النصوص والمصادر اوردناها اعلاه تحفزنا على اقتراح تعديل طفيف ولكنه جوهرى لهذه الترجمة، وهو ان يستعاض عن كلمة "نسخة" بكلمة "نص". ان الفهم

الجديد لهذه العبارة من "ارشاد الاريب" يبدو الان الوسيلة الوحيدة للتوفيق بين اشارات المخطوطات والمراجع.

ان اهمية التصورات التى عرضناها حول النسب الاولى لمخطوطات "الفهرست" واضحة بما فيه الكفاية. وينجم عنها ان اعداد نص انتقادى لهذا الاثر يجب ان يسلك سبيلا معاكسا للسبيل الذى سلكه الى الان. ويغدو واضحا ان الطبعة المنقحة ينبغى ان تقوم على اساس نص النسخة الماخوذة عن مخطوطة المؤلف (مخطوطتى بيتى رقم ٣٣١٥ وشهيد على باشا رقم ١٩٣٤)، اما النسخ الاخرى فلن تكون مفيدة الا عند المراجعة من كل الجوانب ولملء الفراغات الموجودة فى نسخة المؤلف.

ان المسؤولية الكبرى التى تقع على عاتق كاتب هذه السطور فى صدد هذا الاستنتاج تلزمه بان يشير الى انه فى عملية البحث فى نسب مخطوطات "الفهرست" لم يستطع، للاسف، ان يطلع مباشرة ولا عن طريق النسخ الفوتوغرافية على مخطوطات "الفهرست" التالية: المخطوطة رقم ١١٣٥ من مكتبة كبرلى، ومخطوطة Cod. or. 1221 من مكتبة جامعة ليدن ومخطوطة Ms. ar. No. 4457. من المكتبة الوطنية فى باريس والمخطوطة المحفوظة فى مكتبة "سعيدية" (تونك، الهند). وحيث ان كل نسخ "الفهرست" المذكورة تعود، كما يتضح، اما الى مخطوطة ابن النديم مع حواشى الوزير المغربى، واما الى النسخة المعروفة لنا والماخوذة عن مخطوطة المؤلف، فان كلا منها قد يساعد على اعطاء حجج اضافة "مع" او "ضد" الاحكام التى اوردناها هنا. وهذه المخطوطات المعروفة فى العلم منذ امد بعيد نسبيا موصوفة بصورة شكلية وسطحية. ويجب ان تجلب مجددا اهتمام الباحثين قبل اتخاذ قرار حول مبادئ اعداد نص "الفهرست" المنقح الجديد.

الهوامش

(١) ينبغي التنويه بان "الفهرست" يبتدئ بمقدمة للمؤلف تتضمن، بين امور اخرى ، تسمية الكتاب المسهبة التي تتفق وبنيته المذكورة . ويأتي بعد المقدمة فهرس للمؤلف ايضا يحدد بدقة بنية الكتاب هذه بالذات (١٠ مقالات كل منها يتكون من فنون، او فقرات يتراوح عددها ما بين الواحد والاربعة). راجع كذلك النص العربي ادناه .

(٢)
Ibn an-Nadi. Kitab al-Fihrist. Mit Anmerkungen hrsg. von G. Flugel nach dessen Tode besorgt von J. Roediger und A. Muller. Bd. 1-2. Lpz. 1871-1872.

الفهرست لابن النديم. القاهرة، ١٣٤٨/١٩٣٠؛ الفهرست لابن النديم (نشر الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى) مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل الفهرست.القاهرة، مطبعة الاستقامة (١٩٦٣)؛ الفهرست للنديم. تحقيق رضا تجدد /طهران، ١٩٧١/.

(٣) النديم،محمد بن اسحاق.كتاب الفهرست.ترجمة م. رضا تجدد،جاب دوم.تهران، ١٣٤٦.

(٤)
The Fihrist of al-Nadim. A tenth-century survey of Muslim culture. Transl. by Bayard Dodge. Vol. 1-2, N.Y.-L., 1970.

(٥) H. Ritter. Philologika. I: Zur Uberlieferung des Fihrist.-DI., Bd. 17, 1928, S. 16-17.

(٦) العبارة المشددة هنا بعلامات التنقيط غير موجودة في طبعة هـ.فلوغيل، رغم انها موجودة في كل مخطوطات "الفهرست" ومن بينها مخطوطة كبرلي ١١٣٥. ان كل النص العربي المطبوع هنا ولاحقا مأخوذ من مقالة هـ. ريتر

المشار اليها (راجع الملاحظة ٥ اعلاه)، وهو منقول من نص مقدمة "الفهرست" وفهرسه في مخطوطة كبرلي ١١٣٥ (اختلاف النص عن مخطوطات "الفهرست" الاخرى يشار اليه في الملاحظات حول نص "الفهرست" الذي نشره هـ. فلوغيل).

(٧) النقاط هنا ولاحقا تعني حذف ما هو متماثل تماما في كل مخطوطات النص، وقد قام به هـ. ريتر من اجل الاقتصاد في الحجم. عند الضرورة يمكن ملء الفراغات استنادا الى طبعة هـ. فلوغيل.

(٨) العبارة الموضوعة بين قوسين موجودة في مخطوطة كبرلي ١١٣٥ فقط. في طبعة فلوغيل توجد في هذا الموضع صيغة اوسع: "جميع الامم من العرب والعجم".

(٩) عند فلوغيل ياتي لاحقا: في اصناف العلوم

(١٠) عند فلوغيل ياتي لاحقا: وطبقات مؤلفيها.

(١١) عند فلوغيل ياتي لاحقا: واوقات وفاتهم.

(١٢) عند فلوغيل ياتي لاحقا: ومثالبهم.

(١٣) عند ريتر حذف لاحقا النص المشترك (حتى اخر العبارة). ونحن نعيدها هنا لفائدة القارئ وعرض المادة اللاحق.

(١٤) عند فلوغيل: عشر. من هنا تبدأ اعادة ترقيم اجزاء "الفهرست" المكونة في مخطوطة كبرلي ١١٣٥.

(١٥) عند فلوغيل: ثلاثة. المقالة الاولى من مخطوطة كبرلي ١١٣٥ تطابق مقالة "الفهرست" السابعة في طبعة فلوغيل، بيد ان هذه الاخيرة تتألف من ثلاثة فنون فقط. ووجود اربعة فنون في مخطوطة كبرلي ١١٣٥ ناجم عن انه "ادرج" في هذه المقالة فن من مقالة "الفهرست" الابتدائية (الاولى في طبعة فلوغيل).

(١٦) عن هذا الفن بالذات جرى الحديث في الملاحظة السابقة.

(١٧) عند فلوغيل ياتي لاحقا : وانواع خطوطها .

(١٨) كتابة خاطئة فى مخطوطة كبرلى ١١٣٥، عند فلوغيل: كتاباتها .

(١٩) حذف لاحقا فى مخطوطة كبرلى ١١٣٥ كل نص الفهرس (ونص مؤلف ابن النديم نفسه المطابق له) الذى يكشف عن مضمون الفنين الثانى والثالث من المقالة الاولى، وكذلك عن المقالات ٢ ـ ٦ (وفق طبعة فلوغيل). بعد الحذف المشار اليه يبدأ من جديد تطابق النص فى كل مخطوطات "الفهرست"، ولكن اعادة ترقيم الفنون تستمر حتى نهاية الفصل (راجع الملاحظتين ١٥ و١٦).

(٢٠) هو، عند فلوغيل، كما سبقت الاشارة، الفن الاول من المقالة السابعة .

(٢١) هو، عند فلوغيل، الفن الثانى من المقالة السابعة .

(٢٢) هو، عند فلوغيل، الفن الثالث من المقالة السابعة .

(٢٣) هذه المقالة تطابق مقالة "الفهرست" الثامنة عند فلوغيل.

(٢٤) كتابة خاطئة فى مخطوطة كبرلى ١١٣٥،عند فلوغيل: المخرفين.

(٢٥) هذه المقالة تطابق مقالة "الفهرست" التاسعة عند فلوغيل.

(٢٦) كتابة خاطئة، عند فلوغيل:الصابئة .

(٢٧) عند فلوغيل: مذاهب.

(٢٨) كتابة خاطئة فى مخطوطة كبرلى ١١٣٥، عند فلوغيل: المنانية .

(٢٩) هذه المقالة تطابق مقالة "الفهرست" العاشرة عند فلوغيل.

(٣٠) راجع وصفهما فى Handschriften (arabische

persische, turkische) Hammer-Purgstall's. Als Seitenstuck zu dem im neunten Bande seiner Geschichte des osmanischen Reichs gelieferten Verzeichnisse der Samm-lung zweihundert orientalischer Manuscripte uber osmanische Geschichte. Besonders abfedruckt aus dem 61. bis 88. Bande der Jahrbucher der Literatur. Wien, 1840, S. 576-577, No. 412; G. Flugel. Die Arabischen Persischen und Tur kischen Handschriften der kaiserlich-konigli chen Hofbibliothek zu Wien. Bd. I. Wien. D. Chwolsohn. Die Ssabier und der Ssabiamus.

(٣١) على هذا النحو بالذات تتباين ايضا مخطوطتنا استنبول (كبرلى ١١٣٥ وكبرلى ١١٣٤) اللتان وصفهما هـ. ريتر فى عام ١٩٢٨ كنموذجين قديمين لنسختى هامر.

راجع: H. Ritter. Philologika. I, S. 16-20.

(٣٢) G. Flugel. Die Arabishen, Persischen und Turkischen Handschriften... Bd. I. Wien, 1865, S. 48.

(٣٣) H. Ritter. Philologika ..., S. 16-17.

(٣٤) H. Fuck. Eine arabische Literaturges chichte aus den 10. Jahrhundertn. Chr. (Der Fihrist des Ibn an-Nadim).-ZDMG, Bd. 84 (Neue Folge Bd. 9), 1930, Hf. 2, S. 111-124; Al-Nadim.-El. Bd. 3. Leiden. 1936, S. 874; Neue Materialien zum Fihrist.-ZDMG, Bd. 90 (Neue Folge Bd. 15), 1936, Hf. 2, S. 298-321; Ibn al-Nadim. El. Bd. 3. Leiden. 1971, S. 895-896. J. Fuck. Arabische Kultur und Islma im Mitelalter. Ausgewahlte Schriften, Hrsg. von M. Fleischhammer. Weimar, 1981, S. 27-30); A.J. Arberry

وله ايضا : ا٠ى٠ كراتشكوفسكى٠ الادب الجغرافى العربى٠ — مؤلفات مختارة ٠ المجلد ٤٠ موسكو — لينينغراد، ١٩٥٨، ص ٢٣٨ — ٢٣٩٠

(٣٥) GAL, BD. 1, S. 147-148; SB 1, S. 226-227; H.G. Farmer. The sources of Arab music. Leiden, 1965, p. 32.
المقالات فى "الموسوعة الاسلامية"، وقد اشير اليها فى الملاحظة السابقة ٠

(٣٦) F.W. Zimmermann. On the supposed shorter version of Ibn an-Nadim's Fihrist and its date.-DI, Bd. 53, 1976, Hf. 2, pp. 267-273.

(٣٧) الفهرست (طبعة فلوغيل)، المجلد ١، ص ٢: ١٢٠

(٣٨) المصدر السابق، ص ٢: ١٣ — ١٤٠

(٣٩) المصدر السابق، ص ٣٨: ٢٣ — ٢٤٠

(٤٠) المصدر السابق، ص ٨٧: ١٩ — ٢٠٠

(٤١) المصدر السابق، ص ١٣٢: ٧ — ٨٠

(٤٢) المصدر السابق، ص ٢١٩: ٧ — ٨٠

(٤٣) ادخل تعديل جوهرى على النص ، الذى اصدره فلوغيل، حيث يوجد فى هذا الموضع حرف الجر "من" بناء على معطيات نسخ "الفهرست" المكتشفة اخيرا ٠

(٤٤) الفهرست (طبعة فلوغيل)، المجلد ١، ص ٢٨٤: ١١٠

(٤٥) المصدر السابق، ص ٣٠٠: ١ — ٣٠

(٤٦) المصدر السابق، ص ٣٤٩: ١٤ — ١٧٠ هذا المقتطف من مقالة "الفهرست" التاسع يؤرخه ف٠ تسيميرمان بعام ٣٧٨، انطلاقا من الاعتبارات التالية ٠ عاد الراهب من الصين فى سنة ٣٧٧ هـ، وكان ذلك بعد ست سنوات من سفره الى هناك ، اى

انه ذهب الى الصين فى عام ٣٧١ هـ. ومن الواضح ان تعبير "منذ نحو سبع سنين" يعنى ان ابن النديم كتب هذا الحديث فى السنة السابعة لرحيل الراهب فى عام ٣٧١ هـ، اى كتبه فى عام ٣٧٨ هـ. يتضح من هذا ان ابن النديم لم يكن قد انجز "الفهرست" فى عام ٣٧٧ هـ. وانه تابع كتابته فى عام التالى ٣٧٨ هـ.

(٤٧) مقالة ف. تسيميرمان، المشار اليها اعلاه فى الملاحظة ٣٦، ص ٢٦٧.

(٤٨) هنا ولاحقا يشار الى مقالات "الفهرست" بارقام لاتينية، والى الاعداد الترتيبية للفنون الداخلة فى هذه المقالة باحرف عربية.

(٤٩) يقوم هذا الاستنتاج على حسابات تسيميرمان للتواريخ الواردة فى الملاحظة ٤٦.

(٥٠)عن ضيق وقت ابن النديم تتحدث مقالة تسيميرمان (راجع الملاحظة ٣٦) فى الصفحة ٢٩٦.

(٥١) المقصود مخطوطة كبرلى ١١٣٥ والنسخة الماخوذة عنها فى القرن التاسع عشر لهامر - بورغشتال التى استخدمها فلوغيل لدى اصدار "الفهرست".

(٥٢) F.W. Zimmermann. On the supposed shorter version of Ibn an-Nadim's Fihrist and its date, pp. 269-270.

(٥٣) J. Fuck. Arabische Kultur ...
(راجع الوصف البيبلوغرافى اعلاه، الملاحظة ٣٤).

(٥٤) ثمة اشارات مباشرة الى "فهرست" ابن النديم فى "فهرست كتب الشيعة" للطوسى (القرن الحادى عشر). ولكنها جميعا تتنافى مع الاسلوب العام والطابع نفسه لمؤلف الطوسى بحيث يبدو انها ادخلت فيما بعد. ولا توجد بعد طبعة

منقحة لكتاب "فهرست" الطوسى، ولابد لتحليل النص المتوفر من مخطوطات اقدم من تلك التى استخدمت لطبعتى كلكوتا والنجف.

(٥٥)
Yaqut. The Irshad al-arib ila m'ari fat al-adib. Ed. by D.S. Margoliouth: Vol. 5, 1929, p. 221; Vol. 6. Leyden-London, 1913, p. 197.

(٥٦) ثمة وصف لهذه المخطوطة، التى تحتوى على اربع مقالات كاملة من "الفهرست" وبداية المقالة الخامسة، فى:

A.J. Arberry. New Material, pp. 19-45;
The Chester Beatty Library. A Handlist of the Arabic manuscripts. Vol. 2: mss. 3251 tp 3500. Dublin, 1956, p. 31, No. 3315.

(٥٧) H. Ritter. Philologika. I, S. 20-23.

(٥٨) Yaqut. The Irshad al-arib..., Vol. 5, p. 221

(٥٩) ف. روزين. فى صدد الفهرست ٢٢ (٨٩)، ١ (مع اضافات ا.كراتشكوفسكى). سجلات القسم الشرقى للجمعية الروسية للاثار الخطية بيتروغراد، المجلد ٢٣، ١٩١٦، ص ٢٣٧، الملاحظة ٥ (الطبعة المستقلة – ص ٥، الملاحظة ٥).

J. Fuck. Ibn al-Nadim.

مع الاستشهاد اللاحق (اعيد طبعه فى كتاب:

J. Fuck. Arabische Kultur. S. 30.

يستشهد الصغانى بمخطوطة ابن النديم فى مؤلفيه "مجمع البحرين" و"العباب".

(٦٠) J. Fuck. Neue Materialien zum Fihrist.

(٦١) فى هذه المخطوطة ملاحظة هامة لتعيين تاريخ المخطوطة تقول بان المخطوطة دققت على الاصل فى عام ٦١٧ او

٦١٩ او ٦٢٧ هـ. (اعوام ١٢٢٠ ـ ١٢٣٠ م.). وقد كتب دى سلين فى عام ١٨٣٩ ان المخطوطة "نسخت فى عام ٦٢٧ هـ."، وهكذا يؤرخها ب. دوج ايضا
(Revue de l'Academie)
Arabe de Damas, 45, 1970, No. 4, p. 818).

يكتب فرين، مستشهدا برسالة بعثها اليه فلوغيل شخصيا:
"النسخة قديمة من عام ٦١٧ (٦٢٧ ؟) هـ." (Ibn-Abi-Jakub el-Nedim's Nachricht von der Schrift der Russen im X. Jahrhundert n. Ch. Kritisch beleuchtet von Ch.M. Fraehn. SPb., 1835, S. 5, Anmerk. 12).

(٦٢) محفوظة فى مكتبة جامعة ليدن (cod. or. 1221)
راجع وصفها فى:

H.E. Weijers Commentarii de co dicibus manuscriptis orientalibus Biblio thecae Leidensis.-Orientalia. Edentibus T.G.J. Juynboll, T. Roorda, H.E. Weijers, Vol. I, Amstelodami, 1840.

(٦٣) J. Fuck. Eine arabische Literature geschichte..., S. 116.

(٦٤) Yaqut. The Irshad al-arib, Vol. 6, p. 408.

(٦٥) ابن حجر العسقلانى. لسان الميزان. المجلد ٥، ص ٧٢ ـ ٧٣، رقم ٢٣٧.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٧٢. يورد ابن النجار هذا التاريخ مستشهدا بابى طاهر الكرخى. واستنادا الى ابن النجار، هذا التاريخ يوجد على شكل حواش فى مخطوطتين لكتاب "الفهرست"، وهما مخطوطتا ليدن ودوبلن (من مجموعة ت. بيتى).

(٦٧) Ibn Khallikan. Kitab wafayat al-aiyam Vies des hommes illustres de l'Islamisme. En arabe. Publiees... par Mac Guckin de Slane.T.I,P.,1842, p. 96.

(٦٨) سنعطي وصفا مفصلا لمقولة المصادر هذه في مؤلف خاص يعد الان للطبع.

(٦٩) راجع، مثلا: ياقوت، ارشاد، المجلد ٦، ص ٤١٩؛ المجلد ٢، ص ٨٨: ٣ - ٤؛ المجلد ٣، ص ٥٤: ٩ - ١٢؛ المجلد ٥، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ وغيرها.

(٧٠) في بداية "الفهرست" (المجلد ١، ص ١٢: ١ - ٢، طبعة فلوغيل) يذكر ابن النديم انه وضع كتابا عن الوصف والمقارنة. ولا تشير المصادر الاخرى الى اى شئ في هذا الخصوص.

(٧١) مثلا، يقول ابن الحجار العسقلاني أن ابن النديم روى باجازة من اسماعيل الصفار. ولعل هذا الاستنتاج كان يقوم على عبارة "اخبرنا ابو على الصفار" (طبعة فلوغيل، المجلد ١، ص ٥٧: ٢٠). بيد ان هذه العبارة دخلت "الفهرست" ضمن استشهاد من مؤلف ابى سعيد الصفار الذى تعود اليه.

(٧٢) ياتي في طليعتهم بايارد دوج، مترجم "الفهرست" الى اللغة الانجليزية. وتحتوى مقدمة الترجمة التى كتبها على مقالة بيوغرافية عن ابن النديم.

(٧٣) انتقد مؤلف هذه السطور لاول مرة فرضية ريتر - فيوك على اساس تناول عام وواسع لكتاب "الفهرست" ومكانته في الادب العربى، وذلك في نيسان (ابريل) عام ١٩٧٧ في الدورة الثانية لمستعربى لينينغراد (قبل الاطلاع على مقالة ف. تسيميرمان). وقد نشر نص هذه المداخلة في عام ١٩٧٨، مع مراعاة النتائج التى توصل اليها ف. تسيميرمان. راجع: ف.ف. بولوسين. في صدد مسألة صياغتى "فهرست" ابن النديم.

الدورة العلمية السنوية الثالثة عشرة لفرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لاكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى (تقارير ومداخلات عن الاستعراب) . موسكو، ١٩٧٨، ص ١١٣ — ١١٨.

(٧٤) Zimmermann F.W. On the supposed shorter version, S. 270.

ابدى تسيميرمان الملاحظة التالية على العبارة الاخيرة فى هذا الاستشهاد: "طبعة تجدد الجديدة لا تساعد، فهى لا تثبت اختلاف الروايات وفق مخطوطة كبرلى عام ١١٣٥، ولا وفق نسخة فيينا الماخوذة عنها" (المصدر السابق، ص ٢٧٠، الملاحظة ٨).

(٧٥) اعرب عن جزيل الشكر للبروفسور مانفريد فلايشهامر (المانيا الديمقراطية) الذى ارسل الى نسخة فوتوغرافية عن الصفحتين الاخيرتين لمخطوطة كبرلى ١١٣٥ اللتين تحتوى احداهما على معلومات عن النص وكاتبه . وننشر صورة للنسخة الفوتوغرافية للصفحة التى تتضمن تلك المعلومات.

(٧٦) L. Veccia Vaglieri, G. Celentano. Trois Epitres d'al-Kindi (Textes et traduction).-Istituto Orientale di Napoli. Annali. Vol. 34 (Nuova Serie XXIV), 1974. fasc. 4, p. 540-541: planche IV

(بهذا الرمز ⌒ ، الذى يحتوى على الحرف "ياء"، يبدأ النص على الصفحة اليسرى من النسخة طبق الاصل).

(٧٧) راجع الملاحظتين ٣٤، ٣٥.

(٧٨) GAL, Bd. I, S. 147-148; SB I, S. 226-227; Arberry A.J. New material, p. 21.

ا.ى. كراتشكوفسكى. مؤلفات مختارة . المجلد ٤، ص ٢٣٩.

(٧٩) J. Fuck. Neue Materialien zum Fihrist, S. 301.

(٨٠) The Fihrist of Al-Nadim.

كتاب الفهرست للنديم، تحقيق رضا تجدد. /طهران، ١٩٧١/.

(٨١) R. Sellheim. Das Todesdatum des Ibn an-Nadim. IOS, 2, 1972.

ترجمة هذه المقالة الى اللغة العربية: تاريخ وفاة ابن النديم.

(٨٢) حول هذه المخطوطات راجع الملاحظات ٥٥ – ٥٧.

(٨٣) Arberry A.J. New material, p. 21.

(٨٤) G. Bergstrasser. Die Quellen von Jatu's Irsad.-ZS, Bd. 2, 1924, S. 185, No. 2.

(٨٥) Arberry A.J. New Material, p. 21

يبدو ان المقصود بكلمة "الدستور" الشكل الاخير لمسودة المؤلف، حينما اكتسب هذا النص شكله النهائي، ولكن المخطوطة نفسها لم تكن تتفق والمتطلبات المفروض توفرها في كتاب مخطوط يعرض كبضاعة للبيع.

(٨٦) H. Ritter. Philologika. S. 17; J. Fuck. Arabische Kultur. S. 29.

(٨٧) ابن النديم. الفهرست، طبعة فلوغيل، المجلد ١، ص ٦٣: ٢٦.

(٨٨) ان المواصفات الاساسية لمخطوطة ابن النديم والنسخة المأخوذة عنها والباقية الى الان يجب ان تتطابق الى الحد الاقصى، وهذا ما سعى اليه الناسخ، اذ دققت

المخطوطة كلها مع الاصل (وهناك ملاحظات عن هذا التدقيق فى الاوراق ٨ ب ، ٩ ب ، ١٩ ب ، ٢٩ ب ، ٣٩ ب ، ٤٩ آ، ٥٩ ب ، ٦٩ ب ، ٧٩ ب ، ٨٩ ب ، ٩٩ ب ، ١١٩ ب من مخطوطة ت. بيتى رقم ٣٣١٥، وكذلك فى اخر كراسة فى مخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤). لقد لاحظ الناسخ بدقة .وجود كتابات ادخلها احد ما على نسخة "الفهرست" المكتوبة بخط المؤلف حتى لحظة اخذ نسخة منها . وثمة مسوغات للافتراض ان حجم النسخة (٣٣ كراسة تحتوى كل منها على ١٠ ورقات وسطيا) ومقاييس النص فيها (٢٢ × ١٧ سم) يجب ان تتفق و"احداثيات" مخطوطة المؤلف، وهذا ما يشير اليه ، مثلا، كون كل اجزاء "الفهرست" البنيوية (الفصول والفقرات التى تنقسم اليها الفصول) تبدأ فى النسخة عن مخطوطة المؤلف من اول الصفحة دائما . هذه المحاكاة الدقيقة للنص لم تكن ممكنة الا بتكرار مقاييس المخطوطة الاصلية فى النسخة .

(٨٩) نوه هـ. ريتر بتبعية ثلاث نسخ قليلة الاهمية من نسخ "الفهرست" تبعية مباشرة لهذه المخطوطة (او بالاحرى لنصفها الاخر، مخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤)، وهذه النسخ هى: كبرلى ١١٣٤ ومخطوطة فيينا رقم ٣٣ ونسخة دى سلين فى باريس (رقم ٤٤٥٨) (راجع H. Ritter. Philologika ..., S. 20-23).

(٩٠) المقصود عمل ى. فيوك لاعداد طبعة "الفهرست" الجديدة الذى يتلخص ، بصورة رئيسية، فى انتقاد النص الذى طبعه فلوغيل بواسطة استشهادات من "الفهرست" اخذها من عدة اثار كتابية عربية، من بينها "ارشاد الاريب" لياقوت. كتب م. فلايشخامر عن عمل ى. فيوك هذا :

" ... كان اكتشاف مخطوطة تشيستر بيتى رقم ٣٣١٥ يعنى موضوعيا ان محاولة فيوك التوصل الى نص منقح افضل واكمل

بواسطة قاعدة من المخطوطات محسنة ، منذ زمن فلوغيل، وقبل كل شئ عن طريق استخدام الاستشهادات من "الفهرست" المبعثرة فى الادب ، هذه المحاولة التى اقتضت عشر سنوات من العمل الدقيق المضنى، كانت متهافتة من حيث المبدأ ... ".
(M. Fleischhammer. Johann Fucks Materialien zum Fihrist. Wiss. Z. Univ. Halle XXV '76 G, S. 428-432.

(٩١) طبع غ. فلوغيل نص مقالات "الفهرست" الاربع الاولى وفق المخطوطة الوحيدة المعروفة حينذاك والمحفوظة فى المكتبة الوطنية فى باريس (المجموعة العربية، رقم ٤٤٥٧).

(٩٢) ان عددا كبيرا من الاستشهادات من "الفهرست" الواردة فى "ارشاد الاريب" لياقوت قد اظهرتها واشارت اليها المؤلفات التالية:

G. Bergstrasser. Die Quellen, S. 184-218; K.M. Abdur Rahman. Supplement.-ZS, Bd. 10, 1935, S. 216-229. Bergstrasser. The Irshad al-arib ila ma'rifat al-adib or Dictionary of learned men of Yaqut. Ed. by D.S. Margoliouth. Vol. 1-2, 3, p. 1.-ZDMC, Bd.65, 1911, S. 797-811.

(٩٣) راجع المعلومات عن مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧ فى طبعة "كتاب الفهرست" اليوم، المجلد ١، ص ٥٧.

(٩٤)
The Yaqut Irshad al-arib.... Ed. by D.S. Margoliouth. Vol. 2. Second ed. L., 1925, p. 388: 1-4: Ibn Khalikan. Kitab wafavat al-aiyan, p. 135.

(٩٥) تسمية هذا المؤلف الاخير متطابقة تماما فى مخطوطة ت. بيتى رقم ٣٣١٥ وعند ابن خلكان. وفى مخطوط باريس نجد، انطلاقا من طبعة ه.فلوغيل، انه عوضا عن كلمة "خلاف" كتبت كلمة "خلل"، حيث نستطيع، اذا اردنا،

ان نفس هذا (بناء على اعتبارات بليوغرافية) كخطأ من الناسخ. ويورد ياقوت هذه التسمية مع تغييرات هامة: "كتاب الديباج فى جوامع كتاب سيبويه"، ولكن هذا لا يتحدث سوى عن استقلالية ياقوت المالوفة لدى استخدام المصادر الكتابية، وعن تناوله الانتقادى لهذه الاخيرة.

(٩٦) يقوم ب. دوج فى تعليقاته تحت السطور على ترجمة "الفهرست" الى اللغة الانجليزية بمقارنة منتظمة الى هذه الدرجة او تلك بين مخطوطة ت. بيتى رقم ٣٣١٥ وبين طبعة هـ. فلوغيل (اى مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧) والمواضع فى هذا الصدد من "ارشاد الاريب" لياقوت. نورد واحدة فقط من ملاحظاته العديدة التى تؤكد ما اشرنا اليه من العلاقة بين نص ياقوت واقدم مخطوطتين لكتاب "الفهرست": "هذه التسمية (للمؤلف)، وما يليها موجودتان فى طبعة فلوغيل وعند ياقوت (ارشاد، المجلد ٧، ص ٢١٨)، ولكنهما غير موجودتين (اشارة التاكيد منى ـ ف.ب.) فى مخطوطة تشيستر بيتى"

(The Fihrist of al-Nadim. Translated by Bayard Dodge. Vol. 1, p. 113, note 87).

(٩٧) بين مصادر "ارشاد الاريب" لياقوت يذكر بيرغشتريسر تحت ارقام مستقلة: ١) "فهرست" ابن النديم ("... يبدو ان ياقوت استخدم هذا المؤلف بمخطوطته الاصلية او، على الاقل، توفر له امكان الاطلاع عليها")، ٢) اضافات الوزير المغربى الى "الفهرست" التى "يستبعد انها كانت تشكل مؤلفا مستقلا، بل كانت على الارجح صيانة جديدة موسعة بعض الشئ لكتاب "الفهرست"..." .

(Bergstrasser. Die Quellen, S. 185).

وهذا ما يكتب عنه ى. فيوك ايضا : ياقوت "يستشهد في "ارشاد الاريب" بكتاب "الفهرست" في صياغة المغربي (راجع (Bergstrasser ZS, Bd. 2.) ، ولكنه استخدم كذلك نسخة ابن النديم المكتوبة بخطه ..." (J. Fuck. Ibn al-Nadim.-El. New ed. Vol. 3, p. 896).

(٩٨) Yaqut. The Irshad al-arib.... Vol. 6. p. 197: 9-10.

(٩٩) نعيد الى الاذهان انه تركت خصيصا في مخطوطة "الفهرست" بخط ابن النديم مواضع من اجل الاضافات ، وهكذا لم يبق سوى ادخال الحواشي في نص ابن النديم.

(١٠٠) Yaqut. The Irshad al-arib.... 2nd ed. Vol. 5, p. 221: 7-12.

(١٠١) الفهرست ، طبعة فلوغيل، المجلد ١، ص ٨٣: ١٩ — ٢٢.

(١٠٢) Yaqut. The Irshad al-arib.... V. 5, (Second ed.), p. 221: 7; Vol. 6, p. 197: 10.

(١٠٣) المصدر السابق، ص ٤٦٧: ١٧ — ١٨.

(١٠٤) المصدر السابق (الطبعة الثانية) ص ٣١٣: ٢٠.

(١٠٥) ان ا .ب. خالدوف، الذي قرأ مخطوطة هذه المقالة، اعرب عن افتراض مفاده ان ياقوت ربما لم يستخدم حتى نسخة "الفهرست" بخط المؤلف مع اضافات المغربي، بل مجرد مقتطفات كان قد نقلها عن هذه النسخة الوحيدة. وساورد دعما لهذا القول عبارتين لياقوت يذكر فيهما فعلا مقتطفات منقولة عن المغربي: "قرأت في فوائد نقلت عن ابي القاسم المغربي" ("ارشاد"، المجلد ١، ص ٣٨١: ١٩)، "وجدت في فوائد نقلت عن ابي القاسم المغربي" (المصدر السابق، المجلد ٥، ص ٧: ٤). بالنسبة الى مقالتنا لا ينطوي على

اهمية ما اذا كان ياقوت استخدم نسخة عن مخطوطة المؤلف او مقتطفات منقولة عنها ، لان تداخل النصين الذى نبحث فيه ممكن فى هذه الحالة وتلك. وهذه المسالة هامة اجمالا وتتطلب حلا معينا فى المستقبل.

(١٠٦) ثمة فى مخطوطة باريس رقم ٤٤٥٧ كتابة تقول بانها دققت على النص الاصلى فى عام ٦١٧/١٢٢٠ (راجع الفهرست ، طبعة فلوغيل، المجلد ١، ص ١٧).

(١٠٧) يشير الى تعدد معانى كلمة "نسخة" استخدام هذه الكلمة فى سياقات من هذا النوع: "ورايت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للازهرى فى اللغة بخطه وعليه ما هذه نسخته : يقول محمد بن احمد بن الازهر: قرأ على الشار ابو نصر هذا الجزء من اوله الى اخره وكتب بيده صح ..."

(Ibn-el-Athiri Chronicon quod perfectissimum inscribitur. Ed. C.J. Tornberg. Vol. 9, Lugduni Batavorum, 1863, pp. 104-105).

بيوتر غريزنيفيتش
دكتور فلسفة فى التأريخ

١ ـ تأريخ دراسة الكتاب

وضع "التأريخ المنصورى" مؤرخ ووزير سورى ، عاش فى النصف الاول من القرن الثالث عشر، هو محمد بن على الحموى.لقى الكتاب ، ومنذ امد طويل، ما يستحقه من التقدير كمصدر تأريخى، فاثنى عليه ف.ر. روزين (١) وم.ا.مارى (٢) وف.ف. بارتولد (٣) وغيرهم من العلماء الضليعين بالادب التأريخى العربى. ورغم انه منذ ذلك الحين اغتنى العلم بنشر عدد من الاعمال التأريخية ، لا يزال الكتاب يحتفظ باهميته (٤). ومما لاشك فيه ان "التاريخ المنصورى" يزود بالكثير من المعلومات الجديدة والهامة حول تاريخ فلسطين وسورية وبلاد ما بين النهرين فى عهد الايوبيين، وخاصة فى العقدين الثالث والرابع من القرن الثالث عشر.

لم يصلنا ، فيما نعرف ، الا مخطوط وحيد من الكتاب ، وذلك فى مكتبة معهد الاستشراق بلينينغراد (٥). ثم ان هذا المخطوط هو احد اقدم المخطوطات العربية للمتحف الاسيوى سابقا ، فقد ورد اليه منذ عام ١٨١٩ ضمن مجموعة ج.ل. روسو الاولى (٦). و"تاريخ المنصورى"، كغيره من كتب

هذه المجموعة الخاصة بتاريخ سورية (٧) "جاءنا من شمال سورية، وربما من مدينة حلب، حيث عمل ج.ل. روسو، ولمدة طويلة قنصلا عاما لفرنسا.

ويعود اول خبر منشور عن مخطوط "التاريخ المنصوري" الى عام ١٨١٧ (٨) وبعد عامين اى عام ١٨١٩، اشار الاكاديمي فرين الى هذا المؤلف بوصفه واحدا من اهم كتب مجموعة روسو واكثرها قيمة (٩). وكان الاكاديمي فرين اول مستشرق، يدرس مخطوطنا هذا، الامر الذى تدل عليه ملاحظاته العديدة التى دونها على الهامش، والتصحيحات المقترحة على النص (١٠). واخيرا، وفى عام ١٨٥٦، قام المستعرب والمستعبر المعروف د.أ. خفولسون بدراسة اكثر تفصيلا عن الكتاب، وذلك بصدد نشره (مع ترجمة المانية) لما جاء فيه (١١) من خبر تغلب بعض العلويين عام ٤٢٤ / ١٠٣٢ على حران وفتح هيكل القمر فيها (١٢).

ولكن المستشرقين الاوروبيين لم يكونوا يعرفون شيئا عن محمد الحموى وكتابه الا من كاتالوج ف.ر. روزين (١٣)، الذى كرس ثلاث صفحات لهذا "المؤلف القيم الفريد" (١٤).

وقد اعطى روزين، فى وصفه للمخطوط، تقييما موجزا له، ابرز فيه اهم المواضع، التى تستلفت النظر من زاويته. كما ونوه باهمية القسم الثانى منه "بالنسبة لكل من يعنى بدراسة هذا العصر (اى القرنين الثانى عشر والثالث عشر - المؤلف) عامة، وبدراسة الحروف الصليبية خاصة" (١٥)، ويتكرر هذا التقييم فى مؤلف روزين، الذى وضعه لاحقا - "الامبراطور فاسيلى بولغاروبيتسا" (١٦).

وفيما بعد ظهر اسم محمد الحموى فى كاتالوج دى سلان، وذلك بمناسبة الحديث عن مخطوط لكتاب تاريخى اخر له، محفوظ فى المكتبة الوطنية بباريس (١٧).

وقد ساهم عرض روزين وذكره لما فى الكتاب من مواد حول تاريخ الحروب الصليبية فى لفت النظر الى "التاريخ المنصورى". فاهتم به العالم الفرنسى ش. شيفير، الذى استنسخ المخطوط، ومن ثم م. امارى، الذى ثابر، حتى بعد انجازه (عام ١٨٧٢) لمؤلفه الشهير عن تاريخ صقلية الاسلامية، على جمع ونشر المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع والمستقاة من المصادر - العربية. وعن طريق شيفر حصل امارى، اول الامر، على نسخ لمقتطفين من "التاريخ المنصورى"، يحكيان عن انتفاضة مسلمى صقلية عام ٦٢٠ / ١٢٢٣ - ١٢٢٤ (١٨). وفى ربيع عام ١٨٨٣ قام بنشر ترجمة ايطالية لهذه النبذات(١٩)، ثم حصل على المخطوط نفسه، فراح يشتغل فيه حتى اخر عام ١٨٨٣، حيث اعد لنشر النبذات الخاصة بتأريخ صقلية والحروب الصليبية (٢٠). وبعدئذ ادرج النص العربى، مع ترجمته الايطالية (٢١)، فى "الملحق" الثانى من مؤلفه "«Bibliotheca arabo-sicula» " (٢٢)، وقد اعطى امارى، فى ملاحظاته المفصلة التى قدم بها للنص، وصفا عاما له، وحذا حذو روزين فى التاكيد على اهمية "التاريخ المنصورى" كمصدر تاريخى، وعبر عن اسفه لان تقدم العمر وكثرة الاشغال قد حالا بينه وبين نشر كامل القسم الثانى من الكتاب (٢٣).

ومنذ ذلك الحين دخل اسم المؤرخ والوزير محمد الحموى، الذى لم يكن يعرفه الا القلة، صرح العلم، وترسخ فى مؤلف بروكلمان "تاريخ الادب العربى" (٢٤).

ان الفقرات التى نشرها امارى قد انعكست بعض الشىء فى الابحاث الخاصة بتاريخ الحروب الصليبية (٢٥): ثم ان اخبار "تاريخ المنصورى" حول تاريخ صقلية والحملة الصليبية السادسة قد ادرجت من قبل الناشرين فى الطبعة الجديدة من "تاريخ مسلمى صقلية"، التى صدرت بعد وفاة

المؤلف (٢٦).

ولكن المواد المنشورة لا تشكل الا جزءاً صغيرا من الكتاب ، ناهيك عن ان القسم الاساسى والهام منها ، والذى يحكى تاريخ الجيلين الاول والثانى من سلالة بنى ايوب ، لا يزال ينتظر البحث والدراسة .

٢ - سيرة حياة المؤلف

ان معلوماتنا عن حياة المؤلف تقتصر على المعطيات ، التى يمكن استخلاصها من مؤلفه . فاسمه هو العبد المملوك ابو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن على بن مزهر بن بركات بن نظيف الكاتب الحموى المالكى المجاهدى (٢٧) . وثمة اساس للافتراض انه حموى المنشأ ، كما يتضح من نسبه ، وانه ينحدر من عائلة بنى نظيف المرموقة ، التى سمى باسمها احد اجمل مساجد مدينة حماه ، والذى كان يطل على نهر العاصى وهدمه عام ١٢٣٢/٦٣٠ - ١٢٣٣ الملك المظفر تقى الدين محمود (٢٨) .

ويورد الكتاب خبرين ، يعودان الى الفترة التى سبقت تأليف "التاريخ المنصورى" . فمن الخبر الاول (٢٩) نعرف ان محمد الحموى كان وزيرا وكاتبا للملك الحافظ نور الدين الايوبى (٣٠) . ففى اواخر عام ٦٢٥/ اواخر ١٢٢٧ - مطلع عام ١٢٢٨ ، وبناء على قرار عمال ونواب السلطان الملك الكامل فى منطقة ما بين النهرين كلف بمهمة جليلة ، هى قبول حلف يمين الولاء للملك الاشرف من قبل صاحب ماردين ناصر الدين ارسلان ، وقد وافق الاشرف نفسه على هذا القرار ، اذ كان ، على ما يبدو ، تام الثقة بالحموى ، حتى وساعده فى الخروج من وضع صعب . ومن هنا يمكن القول انه على مشارف عام ١٢٢٧/٦٢٥ كان صاحب الكتاب فى سن متقدم ، وان نفوذه

السياسى وشهرته وان لم يكن رجل دولة كبيرا ، والا لاتى على ذكره اخباريو عصره ـ كانا يتجاوزان املاك الحافظ.

وتكاد لا نعرف شيئا عن الوسط الذى عاش فيه الحموى . فبين ـ رجال بلاط الحافظ يذكر المؤرخون طبيبه الشاعر الخطاط زين الدين سليمان بن المؤيد على بن خطيب الحافظى، الذى ذاع هيبته فى الطب فى عصره، والذى كان ابن ابى اصيبعة على معرفة جيدة به (٣١).

وعن افول نجمه فى بلاط الحافظ نعرف من الخبر الثانى (٣٢)، الذى يعبر الى حد كبير عن اخلاق الحياة فى بلاط الاقطاعيين المسلمين فى القرن الثالث عشر (٣٣).

ففى شعبان ـ رمضان من عام ٦٢٧ هـ (حزيران ـ تمّوز) ١٢٣٠ م) كان الحموى يرافق الحافظ فى الحملة الايوبية التى قادها الملك الاشرف ضد جلال الدين المنكبرتى، الذى استولى على مدينة خلاط واعمل فيها الخراب ، وانتهت الحملة بهزيمة جلال الدين. وكانت الجيوش الايوبية ، التى مضت فى ملاحقته ، قد وصلت مدينة ارجيش. وهنا بدأت الاحتفالات والولائم بمناسبة النصر، ومن ثم بمناسبة العيد الكبير فى ٨ ـ ١٢ من ذى الحجة . واثناء الاحتفالات خلع الحافظ على الحموى واخيه خلعة ثمينة . ولكن بعد عدة ايام، فى العشرين من ذى الحجة عام ٦٢٧ هـ (٣٠ تشرين الاول ١٢٣٠ م) وفى حالة من السكر امر الحافظ ، بناء على وشاية احدهم (٣٤) بالقبض على الحموى وباخذ جميع ما يملكه من مماليك ودواب وذهب وقماش ، وبحبسه فى قلعة جعبر فى الليلة ذاتها .

ولكن بفضل شفاعة صاحب الجزيرة مظفر الدين الكوكبورى والملك الاشرف اطلق سراح الحموى ، وذلك فى اوائل عام ٦٢٨/

١٢٣١ · وبعدها رحل سرا الى الرحبة ، وهى قلعة صغيرة على الضفة اليمينية من نهر الفرات ، وكانت من اعمال حمص، التى كان عاملها انذاك الملك المجاهد، حفيد اسد الدين شيراكوه · وفى الرحبه استضيف الحموى ضيافة حسنة من قبل ابراهيم، ابن الملك المجاهد، الذى سيتولى فيما بعد حكم حمص وسيعرف بالملك المنصور· وقد استنأذن ابراهيم اباه فى تقريب الحموى منه ، وخصص له عطاء · ولما استدعى الملك المجاهد ابنه الى حمص سار الحموى معه ، وانتقل وعائلته لسكن حمص ، بيد اننا لا نعرف شيئا عن بقية حياته هنا · وسوف يتبين لنا ادناه انه اثناء الاقامة بحمص فى بلاط الملك المجاهد انجز الحموى مؤلفا تاريخيا مطولا، بدأه فى قلعة جعبر، ثم وضع تلخيصا له ، سماه ، اغلب الظن، باسم ابن راعيه الجديد "التاريخ المنصورى" ·

٣ - معلومات عن الكتاب

لم يكن محمد الحموى مؤرخا محترفا ، مثل اغلبية المؤرخين من موظفى الدولة فى ذلك العصر الذين يكسرون للتاريخ بعضا من وقت فراغهم، ونحن نعرف بانه وضع ثلاثة مؤلفات ، تاريخية كلها · وقد وصلنا منها اثنان، كل منهما فريد فى مخطوطه · فالاول محفوظ فى المكتبة الوطنية بباريس ، ويسمى "مختصر سير الاوائل والملوك ووسيلة العبد المملوك" ، وهو عبارة عن مجلدين فى التاريخ العام· وضعه للقراءة "اثناء الترحال" بناء على طلب الامير سيف الدين على بن عز الدين حسن بن ابى على· ولست اعرف تاريخ وضع هذا المؤلف، اما مخطوطه فناقص فى اخره، نسخ قبل عام ٦٨٣/١٢٨٤ · وهو يعرض سريعا للتاريخ ما قبل الاسلامى ولسيرة النبى محمد، ثم يبسط تاريخ الخلفاء (ويتوقف عند

وفاة الخليفة الراضي بالله عام ٩٤٠ م (٣٥).

اما المؤلف الثاني، الذي هو اوسع مؤلفات الحموي، ولعله اكثرها قيمة، فلم يصلنا، ومما يدعو للاسف خاصة انه كان من شأن هذا المؤلف، بوفرة مادته واهميتها، ان يشكل، بدون شك، احد المصادر الاساسية حول تاريخ الشرق الاوسط في اواخر القرن الثاني عشر والنصف الاول من القرن الثالث عشر.

وبفضل "التاريخ المنصوري" يمكننا تكوين فكرة واضحة عن خطة ذلك المؤلف ومضمونه فغالبا ما يستشهد الحموي به ويحيل اليه، ويسميه "تاريخنا المطول" و"تاريخنا الكبير" ويسميه احيانا بتسمية اطول "الكشف والبيان في حوادث الزمان" (٣٦). ولعل هذه التسمية، التي تحضر في عنوان كتابنا هذا "التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان"، هي التسمية الاصلية للتاريخ المطول.

وقد أخطأ خفولسون في تاريخ "الكشف والبيان..." بعام ١٢٢١/٥٩٨ (٣٧). ذهب اماري الى ان "الكشف والبيان ..." قد انجز حوالي عام ١٢٣٠ م، عندما غادر صاحبه قلعة جعبر وانتقل لخدمة الملك المنصور في اوائل عام ١٢٣١/٦٢٨ (٣٨). ولكن الباحثين لم يلتفتا الى واقعة ان الاحالة الى "التاريخ المطول" تصادف في "التاريخ المنصوري" حتى اخر عام ١٢٣٣/٦٣٠. اما روزين، الذي اشار الى خطأ خفولسون، فاعتبر تاريخ وضع "التاريخ المطول" غير معروف (٣٩).

ولكننا نجد في مخطوط "التاريخ المنصوري" اشارات، تتيح بتحديد تاريخ ذلك الكتاب الى هذه الدرجة او تلك من الدقة، فعلى الاوراق ١٩ أ (س ١١) — ١٩ ب (س ٢). يشير المؤلف الى الفترة، التي انقضت بعد ميلاد النبي محمد وحتى عام كتابة تلك السطور، فيحددها بـ ٦٢٤ سنة هجرية. وبما ان البدء "بالتاريخ المنصوري"، كما سنرى ادناه، كان

فى مطلع عام ٦٣١ هـ، فان الحديث عن انقضاء ٦٢٤ سنة لا يمكن تفسيره الا بان المؤلف ابقى سهوا على هذا التاريخ الذى كان فى بداية مؤلفه الاول (٤٠). ثم ان اخر احالة الى "التاريخ الكبير" تصادفنا فى اخر المخطوط (الورقة ٢٢٣ أ، س ١ - ٣) عند التاريخ لعام ٦٣٠ هـ، وذلك عند الحديث عن ظروف وفاة اتابك مظفر الدين الكوكبورى، الذى توفى فى ١٨ رمضان ٦٣٠ هـ (٢٨ حزيران ١٢٣٣ م) (٤١). بعد ورقتين (الورقة ٢٢٥ ب، س ٩ - ١١) يتحدث المؤلف عن انجاز "التاريخ المنصورى" فى صفر من عام ٦٣١ هـ.

وعليه، وفى ضوء هذه المعطيات، يمكن القول ان الحموى بدأ العمل "بتاريخ الكبير" عام ١٢٢٦/٦٢٤ - ١٢٢٧، ولما يزال فى خدمة الملك الحافظ فى قلعة جعبر، وانتهى منه فى حمص، وذلك فى اخر عام ٦٣٠ (تموز - ايلول ١٢٣٣ م).

وفى ضوء "التاريخ المنصورى" يمكن الاستنتاج بان "التاريخ الكبير" بمضمونه وبنيته، يندرج فى نمط الادبيات التاريخية، التى صارت تدعى، بعد ظهور "تجارب الامم" لابن مسكويه، باخبار العصر، حيث يكون الهدف الرئيسى للمؤلف هو عرض احداث زمانه (٤٢).

جاءت اول احالة الى "التاريخ المطول" فى "التاريخ المنصورى" عند ذكر حوادث عام ١٢٠١/٥٩٨ - ١٢٠٢ (الورقة ١١٢ أ، فى الهامش) فهو يذكر ان الحوادث، التى يحكيها هنا، قد فصلت فى المطول، وعلى الارجح فانه منذ ذلك الحين، اى على تخوم القرنين الثانى عشر والثالث عشر يبدأ فعلا التاريخ المفصل فى "الكشف والبيان"، وتبين الاحالات اللاحقة ان الحديث يدور اساسا عن وقائع التاريخ السياسى الداخلى الايوبى الذى يهم المؤلف، والذى يشكل المضمون الرئيسى لكتابه. ثم ان تصفح "التاريخ المنصورى" يؤيد كل التاكيد

صحة افتراضنا هذا .

فمن احالات كهذه نعرف ان "التاريخ الكبير" يتضمن اخبار مفصلة عن ظروف استيلاء الملك المظفر ابن الملك العادل على مدينة منجب عام ١٢٠١/٥٩٨ - ١٢٠٢ (الورقة ١١٢ أ، فى الهامش)؛ وعن احداث اليمن فى اواخر القرن الثانى عشر واوائل القرن الثالث عشر بمناسبة - الايوبيين لسلطانهم عليها (الورقة ١٢٠ ب ، ص ٨ - ١٠)؛ وعن وقائع القبض عام ١٢١٨/٦١٥ - ١٢١٩ على احمد بن المشطوب وابن خوشير بن حسام الدين وموتهما فى السجن (الورقة ١٣٦ أ،س ٧ - ٩) وعن الاحداث التى وقعت عام ١٢٢٠/٦١٧ - ١٢٢١ بمدينة حماه عقب وفاة الملك المنصور محمد (الورقة ١٤١ ب ، الورقة ٧ - ٨)؛ وعن بعثة فريدريك الثانى الى الملك الكامل عام ١٢٢٦/٦٢٤ - ١٢٢٧ (الورقة ١٦٥ ب ، س ٩ - ١١)؛ وعن ظروف سقوط ارزنجان على يدى علاء الدين كيقباذ عام ٦٢٥/ ١٢٢٧ - ١٢٢٨ (الورقة ١٧٠ أ، س ١٠ - ١١)؛ وعن ظروف الاتفاق بين الكامل والاشرف عام ١٢٢٨/٦٢٦ - ١٢٢٩ حول مقايضة دمشق بالجزيرة (الورقة ١٨١ ب ، س ١٠ - ١٨٢ أ ، ص ١)؛ وعن الاسباب الحقيقية لموت الحاجب على بن حماد (الورقة ١٨٣ أ " س ٨ - ٩)؛ وعن بعثة الخليفة المستنصر الى الملك الكامل عام ٦٢٨/ ١٢٣١ (الورقة ٢١١ ب ، ص ٤ - ٥)؛وعن ظروف موت مظفر الدين الكوكبورى عام ١٢٣٣/٦٣٠ (الورقة ٢٢٣ أ، ص ١ - ٣).

اما مسألة مصادر "التاريخ الكبير"، وبالتالى مصادر "التاريخ المنصورى"، فيصعب اعطاء جواب مرض عنها، وذلك، على الاقل، لانه ليس بيدينا الا مختصره. صحيح ان "التاريخ المنصورى" ياتى على ذكر بعض المؤلفات التاريخية، التى قد يكون الحموى قد اعتمد عليها. ولكن يصعب البرهان على

ذلك برهانا قاطعا، لانه هذا الجزء من "التاريخ المنصورى" لا يشكل، فى حقيقة الامر، حكاية متواصلة، ففيه يحكى المؤلف، بصورة رئيسية، اهم وقائع التاريخ الاسلامى، التى يمكن العثور عليها فى اى من المؤلفات التاريخية العامة.

هنا يذكر المؤلف "تاريخ" الواقدى (٤٣)، و"كتاب المعارف" لابن قتيبة (٤٤)، و"تاريخ" الطبرى (٤٥)،و"تاريخ" ابن سنان (٤٦)، و"تاريخ" الصابى (٤٧)، و"كتاب الوزراء" للجهشيارى (٤٨)، و"تجارب الامم" لابن مسكوية (٤٩)،و"تاريخ حلب" لابى عبد الله محمد بن على العظيمى (ولد عام ٤٨٣/ ١٠٩٠ - ١٠٩١) (٥٠).

ثم ان التفاصيل غير الكثيرة، الواردة فى هذا الجزء من الكتاب، تدل على ان المؤلف افاد من اعمال اخرى، خاصة بتاريخ الموصل فى القرنين الثامن والتاسع (٥١) وبتاريخ مدينة حران (٥٢).

وتجدر الاشارة ايضا الى استخدام المؤلف للاعمال التاريخية العربية المسيحية. فيذكر "التاريخ المنصورى" كتاب "نظم الجواهر" لسعيد بن البطريق (٥٣)، بطريق الاسكندرية، و"تاريخ" الانطاكى (٥٤)، الذى يذهب روزين انه "تاريخ" يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكى، الذى اكمل تاريخ سعيد بن البطريق (٥٥).

وفضلا عن المؤلفات التاريخية يذكر "التاريخ المنصورى" اعمال لاهوتية وفلسفية وفلكية ولغوية وادبية بحتة. وهذه كلها، وان لم تكن بين المصادر التى اعتمدها المؤلف، انما تدل على سعة اطلاعه واهتمامه بميادين متخصصة، مثل التصوف والتنجيم.

ومن ذلك ثلاثة مؤلفات الغزالى: "الوسيط المحيط" (٥٦) و"البسيط فى الفروع" (٥٧) و"تهافت الفلاسفة" (٥٨) و"قوت

القلوب" لابى طالب المكى، الذى كان احد المصادر الاساسية لكتاب الغزالى "احياء علوم الدين" (٥٩) و"رسالة" القشيرى (٦٠) و"تفسير القرآن" لابى يوسف القزوينى (٦١) و"رسائل اخوان الصفاء"، الذى يحكى الحموى خبر احراقها فى بغداد عام ١١٠٠/٤٩٤ – ١١٠١ (٦٢)، ثم "زيج" ابى العباس الفضل بن حاتم النبريزى (٦٣)، و"الزيج الشريف" لعلى بن الحسين بن الاعلم، فلكى بلاط عضد الدولة فنا خسرو (المتوفى عام ٩٨٥/٣٧٥ – ٩٨٦) (٦٤)، و"رسائل" ابى القاسم المغربى (٩٨١ – ١٠٢٧)، وزير احمد بن مروان صاحب ديار بكر (١٠١١ – ١٠٦١) (٦٥)، و"كتاب الزهر" لمحمد بن ادريس الاصفهانى (ولد عام ٨٦٠/٢٤٦ – ٨٦١) (٦٦) و"كتاب غريب الحديث" لابى عبيدة القاسم بن سلام الهروى (٧٧٣ – ٨٣٧)، تلميذ الاصمعى (٦٧)، و"كتاب اللحن الخفى" للخطيب الحلبى (المتوفى عام ١١٨١/٥٧٧ – ١١٨٢) (٦٨)، واخيرا ياتى "كتاب العقد الفريد" لابن عبد ربه (٦٩)، و"اعتلال القلوب" لابى بكر محمد بن جعفر الخرابيطى (المتوفى عام ٣٢٧ / ٩٣٨) (٧٠) و"مقامات" الحريرى (٧١).

ولا يذكر المؤلف اسماء المصادر فى تاريخ القرن الثانى عشر ومطلع القرن الثالث عشر، ولكن يمكن تتبع استخدامه لها حتى بداية العقد الثالث من القرن الثالث عشر.

ثم ان مكانة الحموى كوزير وكاتب لاحد الحكام الايوبيين المؤثرين، وكرجل يحظى بثقة الملك الاشرف، لم تتح له فقط امكانية التعرف على تفاصيل امور الايوبيين وحياتهم، السرية منها والعلنية، بل واتاحت له فرصة الاطلاع على جزء من الوثائق. وقد حفظ لنا "التاريخ المنصورى" بعضا منها.

فيورد الحموى الكتب، التى بعثها الى الملك الحافظ كل من جلال الدين الخوارزمى ووزيره خواجا جهان، والتى يعود

تاريخها الى النصف الاول من شوال عام ٦٢٥/ خريف عام ١٢٢٨ (٧٢)، وكتاب ايوانى، ملك الكرج وحمو الاشرف، الى الملك الاشرف، والذى يرفقه بكتاب جلال الدين (٧٤)، وغيرها.

وعلى الاوراق ١٨٧ ب — ١٩٠ ب يورد "التاريخ المنصورى" نص كتابين بالعربية (٧٥) من الامبراطور فريدريك الثانى، ارسلهما، بعد رجوعه من "الاماكن المقدسة"، الى الامير الملك الكامل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين على (٧٦)، ويخبره فيهما عن وصوله الى ايطاليا وانتصاراته على جيوش البابا غريغورى التاسع. وهذان الكتابان، اللذان ارسلا من برلت، اولهما فى ٢٣ آب ١٢٢٩ م (الاول من شوال سنة ٦٢٦ هـ)، وثانيهما فى النصف الاول من ايلول من نفس ذلك العام (النصف الثانى من شوال سنة ٦٥٦ هـ)، لم يوصلهما الى فخر الدين مبعوث الامبراطور الى الملك الاشرف الا فى مطلع ام ٦٢٧/ اواخر عام ١٢٢٩ — اوائل عام ١٢٣٠، وذلك اثناء اقامة فخر الدين والملك الاشرف بمدينة حران.وعليه، فقد كان بوسع الحموى ان يطلع على الكتابين، وان يدرجهما فى مؤلفه، اثناء تواجده فى الجزيرة السورية برفقة الملك الحافظ، الذى كان يشارك فى الحملة الايوبية المشتركة ضد جلال الدين، اى فى حزيران — تشرين الاول ١٢٣٠، ولكن ليس بعد النصف الثانى من تشرين الاول ١٢٣٠، بعد القبض عليه وسجنه.

وهذا المثال يبين، مرة اخرى (٧٧)، ان تدوين الاحداث بعد عام ٦٢٤/١٢٢٦ — ١٢٢٧ كان يتم فى "التاريخ الكبير" تبعا لوصول اخبارها الى المؤلف، وذلك، بالطبع، اذا لم يكن شاهدا عليها او شاركا فيها، كما هو الحال مثلا بالنسبة للحملة المذكورة ضد جلال الدين.

ويصح هذا، الى حد كبير، على "التاريخ المنصورى"، الذى

اراده صاحبه ان يكون مختصرا "للكشف والبيان في حوادث الزمان" (٧٨)٠ وقد نوه الحموى بذلك فى مستهل كتابه، فى القسم، المفقود من مخطوطنا (٧٩)٠ وهنا يعتزم الحموى تقديم عرض تاريخى مختصر، ويحيل القارئ، لمزيد من التفاصيل، الى "التاريخ الكبير"، مبررا الخروج احيانا عن هذه القاعدة بمتطلبات "سياقة الحديث" (٨٠)٠

وقد وضع "التاريخ المنصورى" فى فترة قصيرة للغاية ـ فى حوالى شهر ونصف، ويتبين ذلك من تاريخين فيه، ففى مستهله، وتحديدا على الورقة ٢ ب (س ١ ـ ٢)، يذكر المؤلف، عند حسابه للزمن المنصرم منذ خلق العالم وحتى لحظة الاشتغال "بالتاريخ المنصورى"، انه فى سنة ٦٣١ هـ، ويؤرخ، هو نفسه، الانتهاء من الكتاب فى ٢٢ صفر سنة ٦٣١/٢٧ تشرين الثانى ١٢٣٣ (٨١)٠ واذا تذكرنا ان "التاريخ الكبير" انجز اواخر عام ٦٣٠ هـ، امكن تحديد الاشتغال "بالتاريخ المنصورى" بصورة دقيقة كفاية: محرم ـ ٢٢ صفر ٦٣١ (النصف الاول من تشرين الاول ـ ٢٧ تشرين الثانى ١٢٣٣)٠ ولكن على الاوراق ٢٢٦ أ ـ ٢٢٧ أ يورد المؤلف نبذا عن احداث، وقعت بعد ٢٢ صفر من عام ٦٣١٠ كما ويصادفنا هنا تاريخان اخران ـ ربيع الاول ٦٣١ (٨٢) (كانون الاول ١٢٣٣) وجمادى الثانية ٦٣١ (٨٣) (٤ آذار ـ اول نيسان ١٢٣٤)، مما يضطرنا لتأخير تاريخ الانتهاء من العمل بالكتاب لمدة اربعة اشهر على الاقل ـ حتى اوائل نيسان عام ١٢٣٤٠

يبدأ الكتاب بمقدمة، لم يصلنا الا بدايتها، يستهلها المؤلف، كما جرت عليه العادة، بالبسملة وبحمد الله ورسوله، الخ٠ ولم يصلنا ايضا مطلع الفصل الخاص بخلق العالم، فلا يتضمن المخطوط الا خاتمته (الورقة ٢ أ، س ١ ـ ٦)٠ وبعدها ياتى (الورقة ٢ أ، ص ٦ ـ ٣ ب ١٠) بند صغير، مكرس

"للتناسل" منذ خلق العالم وحتى سنة ٦٣١ هـ ، يختتمه المؤلف بذكر القاب ملوك بعض الامم (الترك والديلم والاقباط والروم والعجم والاقباط). ثم ياتى (الاوراق ٣ ب ، س ١٠ — ١٩ أ) س ٥) عرض سريع ومقتطب للتاريخ التوراتى، وفى الاوراق ١٩ أ ، س ٦ — ٢١ ب ، س ٨ يورد الكتاب سيرة قصيرة للرسول محمد. وبعدها (٢١ ب ، س ٩ — ٢٩ ب ، س ٢) تأتى قائمة باسماء الخلفاء حسب تسلسلهم الزمنى، مع ذكر لمدة خلافة كل منهم : الخلفاء الراشدون، ثم الامويون، ثم العباسيون (واخرهم هنا الخليفة المستنصر) ثم الفاطميون، ثالايوبيون، الذين يكتفى هنا بذكر قيام دولتهم، واخيرا ، وفى الورقة ٢٩ ب ، س ٣ يبدأ ذكر التواريخ الاسلامية المشهورة ، منذ اول سنى الهجرة النبوية وحتى سنة ٦٣١ هـ .

وتتوزع المواد على النحو التالى: نيف واربعون ورقة اولى (الورقة ٢٩ ب — ٧٧ أ) تغطى احداث القرون الهجرية ١ — ٥ (القرون الميلادية ٧ — ١١): والاوراق ٧٧ أ — ١٢٢ ب تتضمن عرضا لتاريخ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) : اما النصف الثانى من الكتاب (الاوراق ١٢٢ ب — ٢٢٧ أ) فمكرس لوصف احداث سنوات ١٢٠٠ — ١٢٣٤ م.

والسرد فى الكتاب متصل، بدون تقسيم الى فصول. ويبدأ كل خبر بالعبارة الدارجة "وفى هذه السنة"، او "وفيها". ويشار الى بدء السنة الجديدة بعبارة "سنة ..." او "ودخلت سنة ...". اما السنوات ، التى يرى المؤلف انها لم تشهد احداث مشهورة ، فيذكرها بصفتها "خالية".

وبالنسبة للقرون الهجرية الخمسة الاولى يورد الحموى قائمة سنوية ، جافة ومقتضبة ، باهم الاحداث التاريخية .وهنا يذكر ايضا تواريخ تملك الخلفاء والاسر الحاكمة ، وتواريخ ميلاد او وفاة اعضاء اسرة النبى وسلالته (من العباسيين

والعلويين) . وفى تواريخ القرنين الرابع والخامس (العاشر والحادى عشر) تصادف احيانا اخبار مترابطة واستطرادات قصيرة .

وعموما تخلو هذه القائمة من ذكر الاحداث ، التى جرت فى اقصى مغرب العالم الاسلامى او مشرقه – فى اسبانيا وآسيا الوسطى والهند الاسلامية .

وفى اخر الاخبار عن وقائع الحياة السياسية ترد وفيات السنة المعنية بين الحكام والقادة ورجال الدين والشعراء والادباء والمؤرخين وغيرهم .

وتشغل مكانة خاصة فى "التاريخ المنصورى" الاشارات ، التى عنى بها المؤلف فى كل سنة وحتى فى كل شهر احيانا ، والتى تتعلق باوضاع النجوم ووقائع الخسوف والكسوف وظهور المذنبات واخبار الاعاصير والزلازل، وما يرافقها احيانا من علامات النحس الغريبة .

ومثال على ذلك ياتى قوله : "سنة تسع وثمانين واربعمائة خرجت الفرنج وزحل فى السنبلة والمشترى فى الميزان ومات منصور بن نصر بن مروان صاحب ديار بكر وانقرض به البيت" (٨٤) .

واخيرا فان من السمات المميزة لهذا الجزء من الكتاب هو ما سبق ان نوه به الباحثون (٨٥) من درج المؤلف على الاشارة الى سنة انتهاء التاريخ فى هذا او ذاك من الاعمال التاريخية المعروفة له (٨٦) .

وتنبغى الاشارة الى ان اختصار هذه الفصول من "التاريخ الكبير" جاء سريعا للغاية، بحيث يفتقر احيانا الى التعليل المقنع لاختياره للاحداث المروية . ومن ذلك ان اخباره عن وقائع ليست بذى شأن، كبنأ قلعة فى كرمان (٨٧) او اصلاح مسجد فى الموصل (٨٨)، تشغل مكانا ، يعادل المكان الذى يكرس،

مثلا، لتاريخ السمانيين او الغزنويين.

هذا ناهيك عن كثرة الاخطاء والهفوات، التي تنبع ايضا من التسرع، وذلك حين يورد اخبار وفاة الشخص الواحد فى سنة، ثم يعيدها فى سنة اخرى (٨٩)، او يؤرخ فى السنة الواحدة لاحداث وقعت فى سنوات سابقه او لاحقة (٩٠).

واذا كانت طريقة عرض الاخبار الخاصة بالقرون الهجرية الاولى تتسم بطابع التاريخ العام، فتغطى وقائع جرت فى مناطق عديدة من العالم الاسلامى، فان اطار الرواية يتقلص كلما اقتربنا من عصر المؤلف. فبدأ من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) تكاد تخص الاخبار بامور مصر وسورية. وبعد عرض مقتضب وسريع للقرون الستة الاولى من التاريخ الاسلامى راح الحموى يولى عنايته الاساسية لاحداث السنوات التى اعقبت وفاة صلاح الدين الايوبى، منذ عام ٥٨٩ / ١١٩٣ وحتى عام ١٢٣٤/٦٣١.

ولكن حتى هنا ينعكس تسرع المؤلف، فقد وزعت المواد على نحو غير متكافىء، واسقطت عدة سنوات (٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٠٢، ٦٠٩، ٦١٠)، وتغيب اخبار احداث ضخمة، مثل الحملة الصليبية الرابعة، ولا يعرض للحملة الصليبية الخامسة الا لماما، الخ. وفى الوقت ذاته نجد عددا من الاستطرادات التاريخية، التى لا تتفق مع طابع الايجاز المميز لطريقة العرض.

تشكل اخبار الحوادث بدءا من العشرينات وحتى عام ٦٣١، والتى تشغل حوالى ١٧٠ صفحة (١٤٤ أ - ٢٢٧ أ)، الجزء الاهم فى الكتاب. ويتوقف الحموى مفصلا عند اخبار السنوات ٦٢٤ - ١٢٢٧/٦٢٧ - ١٢٢٩ الورقة ١٥٢ ب - ٢٠٧ أ)، ففيها عمل فى خدمة الملك الحافظ، وكانت بحوزته مادة تاريخية وفيرة وغنية.

وينبغى التنويه، بالطبع، بان مواد "التاريخ المنصورى" هى مواد "التاريخ الكبير" فالاضافات اليها ليست بذات شأن، فهى تتعلق باحداث اواخر سنة ٦٣٠ والنصف الاول من سنة ٦٣١ (النصف الاول من عام ١٢٣٣ ـ اوائل نيسان عام ١٢٣٤)، ولا تشغل بحجمها، الا خمس صفحات او ست اخيرة.

اما اسلوب العرض فمقتضب وجاف، شأن الكثير من مؤلفات ذلك العصر (٩٢) وهناك العديد من التلويحات الى الوقائع المعروفة جيدا لقارئ تلك الايام وكثرة فى استخدام الضمائر، مما يصعب من فهم النص. هذا ناهيك عن ان النص لا يخلو من انحراف عن قواعد اللغة الكلاسيكية، وميل الى اللهجات العامية والدارجة، الامر الذى نكاد نجده لدى كافة المؤرخين السوريين فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر، وفى القرن الثالث عشر والرابع عشر خاصة (٩٣). ولكن مما لا شك فيه ان تبعة جزء من الاخطاء تقع على الناسخين.

ان "التاريخ المنصورى"، الذى اراد له صاحبه ان يكون مختصرا "للكشف والبيان فى حوادث الزمان"، يقصر بالطبع ـ سواء بحجمه او بغناه لا يمكن مقارنته مع مؤلفات معاصرى الحموى مثل ابن الاثير وابن شداد وابن العديم وابن واصل، التى تظل بالنسبة لنا، كما لمعظم المؤرخين من بعدهم، المصادر الرئيسية لمعلوماتنا عن تاريخ المنطقة فى اواخر القرن الثانى عشر والنصف الاول من القرن الثالث عشر. ولكن ما نجده فى الكتاب، وخاصة عن احداث العشرينات والثلاثينات من القرن الثالث عشر، يشكل مادة تاريخية بالغة الاهمية، تستحق الاهتمام الجدى بوصفها شهادات رجل، عاصر تلك الاحداث.

ويعرض الحموى عرض الرجل العارف دقائق حياة الايوبيين السياسية، واخبار البلاط وخفاياه، والصراع مع السلطان علاء

الدين والسلطان جلال الدين. وهو يبسط باسلوب حى، غنى بالتفاصيل الطريفة، وقائع غزو المغول العراق وسورية، وما رافق ذلك من سيطرة الخوف والذعر.

ومن الناحية العلمية تسترعى الانتباه، فى المقام الاول، ما اكتشفه امارى فى الكتاب، وضمنا فى رسالة الامبراطور فريدريك الثانى، من اخبار اتصالاته بالاسماعيليين، وكذلك التفاصيل الهامة، وغير المعروفة من قبل، عن انتفاضة المسلمين بصقلية عام ٦٢٠/١٢٢٣ - ١٢٢٤.

وبين مواد الكتاب الاخرى بودى لفت الانظار الى الاستطرادات الثلاث التالية. فاول هذه الاستطرادات يتعلق باحداث اليمن فى اواخر القرن الثانى عشر واوائل القرن الثالث عشر. فهنا يؤرخ الحموى لاوائل حكام اليمن من الايوبيين، وخاصة لتقلد زمام الحكم من قبل اسماعيل بن سيف الاسلام طغتكين، فيورد العديد من الوقائع الغنية، غيرٌ المعروفة لنا من المصادر الاخرى (٩٤). وياتى هذا المقتطف بمثابة تكميل لمؤلف عمارة بن على اليمانى (١١٢١ - ١١٧٤) "تاريخ اليمن" (٩٥)، ويمثل، على ما يبدو، اغنى واقدم الاخبار عن هذه الحقبة شبه المجهولة من تاريخ اليمن.

والاستطراد الثانى مكرس لحروب محمد خوارزم شاه مع الغوريين فى سنوات ٥٩٩ - ٦٠١ (١٢٠٢ - ١٢٠٥) (٩٦). وهو يشكل حكاية مترابطة، من شأنها ان تمثل، بتكاملها وغناها، اضافة هامة الى الفصول المعنية من مؤلف مؤرخ واسع الاطلاع، مثل رشيد الدين.

واخيرا تنبغى الاشارة الى حكاية "التاريخ المنصورى" البالغة الاهمية عن الفترة الاولى من الحملة المغولية، وهى الحكاية التى يوردها فى احداث سنتى ٦١٦ - ٦١٧ (١٢١٩ - ١٢٢١) (٩٧). فتبدأ الحكاية بعرض الاحداث التى سبقت الغزو

المغولى للمنطقة، وهنا يقص الحموى ايضا خبر مقتل الرسل والتجار فى اطرار، ويتطرق الى العلاقات بين كشلوخان ومحمد خوارزم شاه، وهى العلاقات التى يعوزها الوضوح فى النص. ثم يحكى المؤلف سريعا اخبار استيلاء المغول على بخارى وسمرقند، ليقص بعدها حكاية هرب محمد خوارزم شاه الى نيسابور، ثم الرى وهمذان، ومن هناك الى اوسخن، حيث مات ودفن. ثم تأتى اخبار ابنه جلال الدين انتهاء بقفزته الشهيرة فى "نهر السند". واخيرا يعرض الحموى عرضا مقتضبا لاستيلاء المغول على ايران، ولحملة فريق منهم على بلاد الكرج و"البلاد الشمالية". وهذه الحكاية، ومعها اخبار غزو المغول لاذربيجان وشمال العراق عامى ٦٢٨ – ٦٢٩ (١٢٣٠ – ١٢٣٢) (٩٨)، هى من الشهادات القليلة عن الغزو المغولى التى تركها لنا معاصرو الحموى.

ولكن كتاب الحموى، رغم كل اهميته بالنسبة لنا، لم يحظ باهتمام معاصريه، فضاع بين اشباهه من المؤلفات. كذلك كان مصير عمليه الاخرين. فيصعب العثور على ذكر لها، او لصاحبها، فى مؤلفات معاصريه او لدى مؤرخى القرنين الثالث عشر والرابع عشر. ولم يذكره هاجى خليفة فى مؤلفه المشهور "كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون" (٩٩). ولكن ليس لهذا ان يؤثر على موقفنا من "التاريخ المنصورى" وموقعه بين المصادر التاريخية الخاصة بالايوبيين، فهو سيشغل، بلا شك، مكانة مرموقة بين اهم ادبيات القرن الثالث عشر التاريخية.

٤ – وصف المخطوط

يضم مخطوط "التاريخ المنصورى" ٢٢٧ صفحة (ذات وجهين)، بحجم ١٥ × ٥ر٢١، بمعدل ١١ سطرا لكل صفحة. والتجليد شرقى،

حديث ، من الكرتون والجلد. حالة المخطوط جيدة عموما ، ولكن ثمة اثار للرطوبة على الصفحات الاخيرة ، مما يلحق بعض الضرر بالنص فى امكنة معينة . والترقيم ثلاثى: اوروبى (بخط روزين) وشرقى – وفقا للصفحات والكراسات (بمعدل ١٠ اوراق لكل كراس) وقد اختفى ترقيم الكراسات جزئيا عند التجليد.

وثمة نقص فى النص ، حيث نفتقد بعض الاوراق: ورقتان او ثلاث ما بين ١ و٢؛ ورقة بين ٣ و٤، واخرى بين ٥ و٦ ؛ وثلاث اوراق بين ١٣ و١٤؛ وورقة بين ٩٢ و٩٣؛ وورقتان بين ص ١٥٥ و١٥٦.

والمخطوط منسوخ بخط اثنين من الناسخين، لا بخط المؤلف نفسه، كما ظن خطأ كل من روزين (١٠٠) وامارى (١٠١). وقد نسخ الجزء الاساسى من المخطوط (ص ١٤ أ – ١٥٩ ب) بقلم ناسخ محترف ، تنقصه الدراية بمضمون النص الاصلى. ومن هنا جاءت مختلف الاخطاء فى كتابة اسماء الاعلام والمدن والاماكن الجغرافية ، وكذلك اسقاط بعض الكلمات والسطور، وتكرار بعضها الاخر، الخ.

وقد اصلح الورقات ١ – ١٣ ب و١٦٠ أ – ٢٢٧ أ الناسخ الثانى، الذى يبدو انه اكثر دراية بالموضوع، وربما كان عالما ، كانت بيده نسخة اخرى من الكتاب ، ولا يمكن ان يكون هذا الناسخ هو المؤلف ، ففى القسم الذى نسخة تصادف ايضا هفوات واخطاء، يتعذر ان يكون الحموى هو المسئول عنها . وفضلا عن ذلك نجد فى عنوان الكتاب ، الذى خط بيد الناسخ نفسه، عبارة "رحمه الله"، التى ترد بعد اسم صاحب الكتاب ، والتى لا تستخدم عادة الا بالنسبة للموتى.

والاوراق الاخيرة منسوخة على عجل، بحيث تصعب قراءتها للغاية . وينتهى المخطوط بصورة مفاجئة، بدون العبارات الختامية الدارجة. واخر كلمات المخطوط كتبت بيد رجل اخر

(الورقة ٢٢٧ أ): ... ثم سار الى امد (انتهى التاريخ المبارك بحمد الله وله الحمد والمنة تم). ولعل امامنا عمل غير كامل، او نسخة ناقصة.

وقد كتب قسما المخطوط كلاهما بالخط "النسخى. ولا يتضمن المخطوط اسماء الناسخين ولا تاريخ النسخ. وعلى الغلاف ثمة تاريخ تملك احدهم للمخطوط ، يعود الى سنة ١٤٢٧/٨٣١ - ١٤٢٨. وتسمح المؤشرات البليوغرافية بارجاع قسمى المخطوط الى حوالى اواسط القرن الثالث عشر.

وعلى الصفحة الاخيرة من المخطوط (٢٢٧ ب) ثمة تاريخ لوفاة، نصه ممحى جزئيا . مما يصعب قراءته . وقد جاء فيه: الله المو(فق) وبه نستعين توفى الامير الاجل الـ(حاضرا) لى - رحمة الله تعالى العبد الفقير زين الدين يعقوب ابن يـ.. (١٠٢) المعروف بابن الداده المجاهدى المنصورى رحمه الله تعالى فى الربيع الاول من الليلة التى (مرت) (١٠٣) عن صباح يوم الثلثاء فى العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة (أربع) (١٠٤)واربعين وستماية عن الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلات والسلام رحمه الله ورحم من يرحم عليه وعلى والده ورحم الله جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنات والحمد لله وحده.

ولم نتمكن، للاسف ، من معرفة من هو هذا الامير. وفى ضوء نسبته يمكن القول انه كان فى خدمة الملك المجاهد (توفى فى ١٩ رجب ١٤/٦٣٧ شباط - فبراير ١٢٤٠) وابنه الملك المنصور (توفى فى ١٠ صفر ٢٧/٦٤٤ حزيران - يونيو ١٢٤٦). واذا سلمنا ان هذا النص قد كتب عقب وفاة الامير زين الدين يعقوب مباشرة (١٠٥) - وهو الاحتمال الذى يرجحه طابع النص التفصيلى واسلوبه وطبيعة الخط - امكننا الوقوف على تاريخ هام. فمن شأنه ان يتيح لنا، اولا تحديد تاريخ المخطوط على نحو اكثر دقة، وذلك برده الى اربعينات القرن

السابع الهجرى ، ويمكننا ، ثانيا ، من التعيين التقريبي التاريخ وفاة المؤلف ـ النصف الثانى من العقد الرابع من القرن السابع الهجرى (١٠٦)، لان المخطوط ـ كما ذكرنا ـ نسخ بعد وفاته .

الهوامش

(١) Notices sommaires des Manuscrits arabes du Musee Asiatique par le Baron V. Rosen, Premiere livraison, St. Petersbourg. 1881, pp. 96-97 Notices sommaires).

(٢) Bibliotheca arabo-sicula raccolta da M. Amari Versione Italiana, Appendice, Torino, 1889, pp. XVI-XVII (Amari, Appendice).

(٣) ف.ف. بارتولد . مخطوطات تاريخية وجغرافية ، ضمن: "مضبطة المتحف الاسيوى لاكاديمية العلوم الروسية ١٨١٨ — ١٩١٩" ، بطرسبورغ، ١٩٢٠، ص ٢٤.

(٤) ف.ا . بيلياييف، المخطوطات العربية فى مجموعة معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية ، ضمن : "مذكرات علمية لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية" ، المجلد ٦، موسكو ـ لينينغراد، ١٩٥٣، ص ٧٢.

(٥) رقم ف ٦١٤ (الرقم القديم ٥٢١، وفى كاتالوج روزين ـ رقم ١٥٩) . انظر: بيليابيف ، المخطوطات العربية ، ص ٧٢.

(٦) B. Dorn, Das Asiatische Museum der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften zu St. Petersburg, St. Petersburg, 1846, S. 203 (Das Asiatische Museum).

(٧) مثلا "زبدة الحلب من تاريخ حلب" لابن العديم و"التاريخ الصالحى" لابن واصل، ووصف عز الدين بن شداد لجغرافية حلب وتاريخها . انظر:

Notices sommaires, pp. 94-95, 98-104.

(٨) "Catalogue d'une collection de cinq cents manuscrits orientaux", Paris, 1817, p. 4.

(٩) Das Asiatische Museum, S. 203.

(١٠) فى مواد الاكاديمى فرين غير المنشورة فيما يخص وصف المخطوطات الاسلامية هناك وصف موجز لهذه القائمة ـ انظر : Codicum Manuscriptorum arabpersicorum et turcicorum qui in Academiae Imperialis Scientiarum Museo Asiatico asservantur, p. 39.

(١١) الورقة ٧١ ب ، ص ٥ ـ ٧٠

(١٢) D. Chwolsohn, Die Ssabier und der Ssabismus, St. Petersburg, 1856, Bd I, Ss. 242, 406, 666-669; Bd II, Ss. 541 (Text N XXI), 758-759 Chwolsohn, Die Ssabier).

(١٣) ومن ذلك انه لم يؤت على ذكر محمد الحموى فى قائمة ويستنفلد "المؤرخون العرب واعمالهم" ، التى طبعت فى وقت واحد تقريبا مع كوتالوج روزين انظر : (F. Wustenfeld, Die Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke, Gottingen, 1882; Wustenfeld, Die Geschichtsschreiber).

(١٤) Notices sommaires, pp. 95-98.

(١٥) Ibid., p. 97.

(١٦) الامبراطور فاسيلى بولغاروبويتسا . مقتطفات من تاريخ يحى الانطاكى، نشرها وترجمها وعلق عليها البارون ف.ر. روزين، بطرسبورغ، ١٨٨٣، ص ٥٤. (من الان فصاعدا سنشير اليه : روزين، يحيى) . وقد كان روزين يعتزم نشر اجزاء من "التاريخ المنصورى" فى سلسلة "Recueil des Historiens des Croisades". ولكن هذا العزم لم يتحقق، وذلك ، على الارجح بسبب ان م.امارى قد نشر فى عامى ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤ بضعة مقتطفات من الكتاب (انظر عنها ادناه) .

(١٧) M. de Slane, Catalogue des Manuscrits Arabes Paris, 1883-1895, N 1507, p. 287 (De Slane, Catalogue).

(١٨) انظر مخطوطنا، الورقة ١٤٤ ب، س ١ — ١٤٥ ب، س ١٠؛ ١٤٥ ب، س ١٠ ١٤٦ ب، س ٢.

(١٩) M. Amari, Estratti del Tarih Mansuri, Versione italiana. Lettera al bar. Raffaele Starrabba. Arch Storico Siciliano, NS, anno VIII, Palermo, 1883, pp. 111-115 (Appendice, pp. 37-47).

(٢٠) M. Amari, Estratti del Tarih Mansuri (Estratto dall' Ar Archivio Storico Siciliano, NS, anno IX, 1884), Palermo, 1884, pp. 1-29

(٢١) وقد نشر المجموع منها ١٠ اوراق تقريبا.

(٢٢) Amari, Appendice, pp. 42-65; M. Amari, Seconda Appendice alla Bibliotheca arabo-sicula, Lipsia, 1887, pp. 25-38.

(٢٣) Amari, Appendice, p. XVII.

(٢٤) C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Bd I, Weimar, 1898, S. 350 (N 18); Supplementband I, Leiden, 1937, S. 591; 2. Aufl. Bd I, Leiden, 1943, S. 428 (GAL; SB).

(٢٥) R. Rohricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem (1100-1291), Innsbruck, 1898, S. 768, Anm. 2; S. 778, Anm. 2; S. 780, Anm. 1; S. 781, Anm. 1; S. 793, Anm. 1; S. 796, Anm. 1.

(٢٦) M. Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, Seconda edizione modificata e accresciuta dall'autore, Pubblicata con note a cura di C.A. Nallino, vol. I, Catania, 1933, p. 104; vol. III, pt II, Catania 1939, p. 649, n. 1; p. 651, n. 2, 3; p. 652, n. 3, 5; p. 653, n. 1, 5; p. 654, n. 6; p. 660, n. 4.

(٢٧) يرد هذا الاسم على غلاف مخطوط "التاريخ المنصورى" وفى المؤلف نفسه (الورقة ١٠٨ أ، س ٦؛ ٢٠٦ ب، س ٨؛ ٢٠٨ أ، ص ٧). وفضلا عن ذلك فانه يرد فى مخطوط مؤلف اخر لـــه، موجود فى باريس، انظر: De Slane, Catalogue, N 1507.

(٢٨) الورقة ٢٢٦ ب، س ١ — ٤.

(٢٩) الورقة ١٨٠ أ، س ٢ — ١٠.

(٣٠) الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه بن الملك العادل صلاح الدين، حكم ما بين ٦١٥ – ٦٣٨ (١٢١٨ – ١٢٤١) فى منطقة صغيرة بالجزيرة السورية اعلى مدينة الرقة، وضمنها قلعة جعبر وبالس.

(٣١) Ibn Abi Useibia, hrsg. von A. Muller, Konigsberg, 1884, II, S. 189-190
ولاحقا ابن ابى اصيبعة).

(٣٢) انظر: ص ٢٠٦ ب، س ٧ – ٢٠٧ أ، س ٣؛ ٢٠٨ أ، س ٦ – ٢٠٩ أ، س ٩.

(٣٣) قارن: ف.ف. بارتولد. وزير وفيلسوف مسلم من عصر الحملات الصليبية ضمن: "الشرق"، الكتاب الرابع، موسكو – لينينغراد، ١٩٢٤، ص ١٣٣.

(٣٤) نقل الى الملك الحافظ ان محمد الحموى امتنع عن التخلى عن مملوك، كان الحافظ قد طلبه.

(٣٥) De Slane, Catalogue, p. 287, N 1507; G. Vajda, Index General des Manuscrits Arabes musulmans de la Bibliotheque Nationale de Paris, Paris, 1953, pp. 144, 498.

(٣٦) انظر: الاوراق ١١٢ أ (فى الهامش)؛ ١٢٠ ب، ص ٢؛ ١٣٦ أ، س ٨ – ٩؛ ١٤١ ب، ص ٧ – ٨؛ ١٦٥ ب، س ٩ – ١١؛ ١٧٠ أ، س ١٠ – ١١؛ ١٨١ ب، س ١٠ – ١٨٢ أ، س ١؛ ١٨٣ أ، س ٨ – ٩؛ ٢١١ ب، س ٤؛ ٢٢٣ أ، ص ١ – ٣.

(٣٧) Chwolsohn, Die Ssabier, II, S. 758.

(٣٨) Amari, Appendice, p. XVI.

(٣٩) Notices sommaires, p. 95, n. 2.

(٤٠) وقبل ذلك، على الصفحة ٢ ب، س ١ – ٢، وعند حساب المدة المنصرمة منذ خلق العالم وحتى لحظة العمل "بالتاريخ المنصورى" يورد المؤلف رقما اخر – ٦٣١ هـ، مما يؤيد صحة افتراضنا.

(٤١) ابن خلكان، رقم ٥٥٨، ص ٦٧.

(٤٢) H.A.R. Gibb, Ta'rikh, - El, Erganzungsband, Lief. 5, Leiden-Leipzig, 1938, S. 254.

(٤٣) الورقة ٥٢ ب ، س ١٠

(٤٤) الورقة ٥٣ أ، س ٥٠

(٤٥) الورقة ٥٨ ب ، س ١١٠

(٤٦) الورقة ٦٨ ب ، س ٢٠

(٤٧) الورقة ٢٦ ب ، س ١٠ — ١١، ٦٩ ب ، س ٠٤ وبما ان المؤلف يشير الى كون هذا "التاريخ" يمتد حتى عام ٣٧٠/ ٩٨٠ — ٩٨١، فانه يحتمل ان يكون "كتاب التاجي" لابى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى (٩٢٥ — ٩٩٤)، الذى وضع حوالى سنة ٩٨١/٣٧١ — ٩٨٢. انظر: Chwolsohn, Die Ssabier, I, Ss. 588-604; Wustenfeld. Die Geschichtsschreiber, Ss. 50-51, N 149; GAL, I, S. 95; SB, I, Ss. 153-154.

(٤٨) الورقة ٦١ أ، ص ٠٧

(٤٩) الورقة ٦٨ ب ، س ٧ — ٠٨

(٥٠) الورقة ٧٥ ب ، س ٢، ٧٢ ب ، س١٣ ٠٨ قارن: Sami Dahan, Histoire d'Alep par Kamal ad-Din Ibn al'Adim (588-600/1192-1262), vol. I, Damas, 1951, p. 262_{8-10}.

(٥١) انظر: الاوراق ٣٦ أ، ٤٠ ب ، ٤١ أ، ٤٢ أ، ٤٤ ب، ٤٨ أ، وغيرها .

(٥٢) Chwolsohn, Die Ssabier, I, Ss. 666, Anm. 4-669

(٥٣) الورقة ٥٨ أ، ص ١١٠ ويبدو لنا ان المؤلف اعتمد على نسخة اقدم من نسخ هذا العمل. انظر: روزين، "يحيى"، ص ٥٤٠

(٥٤) الورقة ٧٤ أ، ص ٢٠

(٥٥) روزين، "يحيى"، ص ٥٤٠ — ٥٥٠

(٥٦) الورقة ٧٨ ب ، س ٠٦

(٥٧) الورقة ٧٨ ب ، س ٠٦

(٥٨) الورقة ٧٨ ب ، س ٠٧

(٥٩) الورقة ٦٩ ب ، س ٨ .

(٦٠) الورقة ٧٤ أ، س ٨ : حجى خليفة ، ج٣، ص ٤٢٨ :
GAL, I. S. 432; II, S. 117; SB. I, S. 771.

(٦١) الورقة ٧٥ ب ، س ٨ — ٩ : حجى خليفة ،ج ٢، ص ٣٧٦ :
ج ٣، ص ٢٠ — ٢١ .

(٦٢) الورقة ٧٦ أ، س ١٠ .

(٦٣) الورقة ٥٩ ب ، س ٤ : وله زيجان، "الصغير"و"الكبير"

انظر:
Ibn al-Qifti's Ta'rih al-Hukama, hrsg. von
J. Lippert, Leipzig, 1903, S. 254
Kitab al-Fihrist, mit Anmerkungen hrsg. von G. Flugel,
Leipzig, 1871-1872, Bd I, S. 279.

(٦٤) الورقة ٦٩ أ، س ٤؛ انظر عنه : ابن القفطى،ص ٢٢٦، ص ١٨ : تاريخ مختصر الدول للعلامة غريغوريوس ابى الفرج بن اهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى ، وقف على طبعه الاب انطون صالحانى، بيروت ، ١٨٩٠، ص ٣٠٤ .

(٦٥) الورقة ٧١ أ ، س ٩؛ حجى خليفة، ج ١، ص ٢١٩،٣٢٩، ٣٦٧، ٥١٩؛ ج ٥، ص ١٢٠، ٣٥١ .

(٦٦) الورقة ٥٢ أ، س ٦ .

(٦٧) الورقة ٤٩ ب، س ٥ : GAL. I, Ss. 106-107; SB, I,
Ss. 166-167.

(٦٨) الورقة ٩٠ أ ،س ١؛حجى خليفة ،ج ٥،ص ٣٠٨؛ج ٦،ص ٤٣٩ .

(٦٩) الورقة ٦١ أ، س ١ — ٢ .

(٧٠) الورقة ٦٠ ب ، س ١٠؛ ٦٢ أ، س ٥؛
GAL, I, S. 154; SB, I, S. 250.

(٧١) الورقة ٧٨ أ، س ٢ .

(٧٢) الاوراق ١٧٤ ب ، س ٦ — ١٧٦ ب ، س ٤؛ ١٧٤ ب ، س ٧ — ١٧٩ ب ، س ٤ .

(٧٣) الاوراق ٢٠٤ أ، س ٤ — ٨ .

(٧٤) الورقة ٢٠٤ أ، س ٤ — ٨.

(٧٥) ان كلا الكتابين محرران باسلوب ادبى عربى رفيع، مما يدل، كما يشير امارى، الى انهما وضعا اصلا بالعربية، ولم يترجما من لغة اخرى.

(٧٦) انظر عنه:
"Recueil des Historiens des Croisades publie par les soins de l'Academie des Inscriptions et belles-lettres. Historiens orientaux. III". Paris, 1884, pp. 183, 186, 189, 200, 201, 207-208 Recueil).

(٧٧) انظر ايضا:

Amari, Appendice, p. XVI; Amari, Estratti, pp. 4-5.

(٧٨) انظر ص ١٠.

(٧٩) انظر، مثلا، الورقة ١٠٧ أ، س ٣ — ٥: ... بعد اشياء جرت وامور تجددت ليس هذا المختصر موضع شرحها لما شرطنا من اختصاره، ص ١٦٥ ب، س ٩ — ١١: وقد ذكرنا هذا وغيره من الوقايع فى كتابنا التاريخ الموسوم بالكشف والبيان فى حوادث الزمان لان هذا التاريخ فى غاية الاختصار كما شرطنا. وانظر ايضا: الورقة ٢١ ب، س ١١ — ٢١ أ، س ١؛ ١٧٠ أ، س ١٠ — ١١؛ ١٨٤ ب، س ٣ — ٤.

(٨٠) انظر: الورقة ١٢٠ ب، س ٩ — ١١؛ ١٣٦ أ، س ٨ — ٩؛ ١٤١ ب، س ٧ — ٨؛ ١٨١ ب، س ١٠؛ ١٨٢ أ، س ١؛ ٢٢٣ أ، س ١ — ٣.

(٨١) انظر: ص ٢٢٥ ب، س ٩ — ١١. وفى النص يرد "ثانى عشرى عغر": وربما يمكن قراءته هكذا: "ثانى عشر من صفر".

(٨٢) الورقة ٢٢٦ أ، س ١٠ — ١١.

(٨٣) الورقة ٢٢٦ ب، س ٤.

(٨٤) الورقة ٧٥ ب، س ٩ — ٧٦ أ، س ١.

(٨٥) انظر: Notices sommaires, p. 96; روزين، "يحيى"،

ص ٥٤٠ ـ ٥٥٠؛ ا٠ى٠ كراتشكوفسكى، مساهمة في وصف المخطوطات العربية بالمكتبة العامة، ضمن: "المجموعة الشرقية"، ج ١، ١٩٢٦، ص ٣٠

(٨٦) الاوراق ٥٢ ب، س ١؛ ٥٣ أ، س ٥؛ ٥٨ أ، س ١١؛ ٦٨ ب، س ٧ ـ ٨؛ ٦٨ ب، س ١٠ ـ ١١؛ ٧٤ أ، س ٢٠

(٨٧) الورقة ٤١ ب، س ١٠٠

(٨٨) الورقة ٤٣ ب، س ٧٠

(٨٩) انظر مثلا: الاوراق ٣٩ أ، س ٨ ـ ٣٩ ب، س ١؛ ٤١ ب، س ١١ ـ ٤٣ ب، س ١؛ ٤٣ أ، س ١٠ ١١، وغيرها٠

(٩٠) انظر مثلا: الاوراق ٣١ أ، س ١ ـ ٢؛ ٤٦ أ، س ٨ وما بعدها؛ ٥٦ ب، وغيرها٠

(٩١) انظر ادناه، ص ١١٩ ـ ١٢٠٠

(٩٢) انظر: Kamal ad-Din, Histoire d'Alep, traduite avec des notes historiques et geographiques par E. Blochet Paris, 1900, pp. 2-3.

(٩٣) انظر:

'Imad ed-din el-katib el-isfahani, Conquete de la Syrie et de la Palestine par Salah ed-din, publie par C. de Landberg, vol. I, Texte arabe, Leyde, 1888, pp. VIII, XII-XIII; Recueil, III, p. 396; Beitrage zur Geschichte der Mamlukensultane in den Jahren 690-741 der Higra, nach arabischen Handschriften hrsg. von K.V. Zettersteen, Leiden, 1919, Ss. IX-X.

(٩٤) الاوراق ١١٣ ب ـ ١٢٠ ب٠

(٩٥) انظر:

Yaman, Its Early Mediaeval History by Najm ad-din 'Omarah al-Hakami, The original text, with translation and notes by H.C. Kay, London, 1892; I. Kratschkovsky, 'Omara b abi'l-Hasan 'Ali b. Zaidan al-Hakami al Yamani,-El, III, SS. 1068-1069.

(٩٦) الاوراق ١٢٣ ب ـ ١٢٦ أ٠

(٩٧) الاوراق ١٣٦ أ، س ٢ ـ ١٤١ أ، س ١٠٠

(٩٨) انظر: الاوراق ٢٠٩ أ – ٢١٣ ب.

(٩٩) يذكر حجى خليفة مؤلفا قريبا بتسميته من التاريخ "الكبير" هو "الكشف والبيان فى معرفة حوادث الزمان" (جـ ٥، ص ٢١٧، ص ٩ – ١٠). ولكن هذا المؤلف، كما يتضح مما يقول حجى خليفة فى موضع آخر (انظر Chwolsohn, Die Ssabier, II, S. 759)، هو فى التنجيم، ولا يعرفه حجى خليفة الا نقلا عن البونى (ربما كان الصوفى محى الدين احمد بن على البونى، المتوفى عام ٦٢٢/١٢٢٥ انظر عنه:
J. Ruska, Die Alchemie ar-Razi's,-"Der Islam", Bd XXII, 1935, Ss. 307-310; GAL, I, S. 497, SB, I, Ss. 910-911).

(١٠٠) انظر: Notices sommaires, p. 98.

(١٠١) انظر:

Amari, Estratti, p. 4; Amari, Appendice, p. XV.

(١٠٢) ربما تقرأ: "يوسف بن جعفر".

(١٠٣) غير موجودة فى النص الاصلى.

(١٠٤) تلك هى قراءتى، التى ارجحها.

(١٠٥) اى الثالث من ربيع الاول سنة ٦٤٤ هـ (١٩ تموز – يوليو ١٢٤٦ م)، اذا قرأنا الالف (او الواحد) على انه اول كلمة "اربع". والا يكون احد اعوام العقد الرابع من القرن الثانى عشر.

(١٠٦) وهنا يجب الاخذ بعين الاعتبار ايضا انه فى نسبة المؤلف يرد فقط "المجاهدى". الا يعنى هذا ان المؤلف مات فى ايام راعيه. فلو عاش فى عهد المنصور لتضمنت نسبته، كما درجت العادة، وكما نرى فى نسبة الامير زين الدين، لقب المنصور – "المنصورى".

خصائص الثقافة العربية

الاسلامية فى القرون الوسطى

ميخائيل بيوتروفسكى
دكتور فى العلوم التأريخية

نشأ العالم العربى الاسلامى كنتيجة سياسية واجتماعية وثقافية لانتشار الاسلام الذى ظهر فى بداية القرن السابع الميلادى ، والفتوحات الاسلامية وقيام دولة الخلافة العربية التى انحلت فى القرنين التاسع والعاشر الى عدد من الدول والدويلات الموحدة بالوشائج التجارية المتينة وبالايديولوجيا واللغة والثقافة . وكان هذا العالم يشكل استمرارا وتطويرا لمجتمعات فجر القرون الوسطى وما قبل الاسلام فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، والتى اكتسبت بفضل اعتناقها الاسلام سمات خصوصية جديدة .

وقام المجتمع العربى ـ الاسلامى على أساس الجمع ما بين ملكية الدولة والملكية الخاصة والملكية الاقطاعية ـ الشرطية للارض، واقترنت المراتب المتدرجة لمكانة الافراد النموذجية بالنسبة للمجتمع الاقطاعى بالتحركية (mobility) الاجتماعية . وكان بوسع الخدمة ان ترقى الى ذرى ملموسة العبد، وكذلك المؤمن بالعقيدة الاخرى ، كما كانت تتمتع بالنفوذ الفئات المتوسطة فى المدن، ولم يشكل الاشراف سوى قسم من الفئة الحاكمة ، متقاسمين السلطة مع القادة العسكريين والموظفين الاداريين .

لقد كان المجتمع والثقافة "مدنيين" ـ اذ عاش في المدن الاعيان والحكام والتجار والحرفيون، وتركزت فيها قيادة الحياة الاقتصادية والاجتماعية. اما المناطق الريفية فقد كانت في وضع التابع، ولم توجد مراكز للاقتصاد والسياسة كالقلاع والاديرة. وكان وضع اهل المدينة، وبالاخص التجار، مستقرا، واعتبرت التجارة عملا مرموقا جدا ورمز الغنى والازدهار في الشرق خلال فترة القرون الوسطى. ولم يكن ثمة وجود في العالم الاسلامي للمعبد بصفته مؤسسة خاصة ـ كوسيط بين البشر والالهة. ويشار الى الهيئة الدينية هناك بصورة اصطلاحية، لانها كانت جزءا من جهاز الدولة العسكري ـ الاداري، وعنصرا من عناصر البنية السياسية الموحدة.

وكانت الزراعة تجمع ما بين اساليب الزراعة المروية في وديان الانهار الكبرى والحقول المدرجة الجبلية وتربية الماشية في السهوب والمناطق شبه الصحراوية. وتتمثل الحضارة المادية التي تولدها مثل هذه الاستثمارة بادوات العمل في الزراعة وتربية الماشية، ومنشآت الري وتوزيع المياه ـ من القنوات والسدود الى عجلات ضخ المياه من مستوى الى آخر. وتنبغي الاشارة الى عدم حدوث تغيرات ملموسة على ادوات العمل في الشرق العربي في فترة القرون الوسطى.

وتتمثل الحضارة المادية للمدينة في المنشآتها ـ من الاسوار الدفاعية الى القصور وشبكات توزيع المياه ـ ومنتجات الصناعات الحرفية: الاواني ـ البسيطة والفاخرة، والسلاح ـ من السيوف والدروع الى ادوات دكّ الاسوار، والاقمشة ـ الناعمة والمطرزة والسجاد والمصنوعات الجلدية. ويمكن اعتبار قسم كبير من الحضارة المادية للفئات العليا من المجتمع بمثابة حد يفصل ما بين الحضارة المادية البحتة والحضارة الفنية. كما وتندمج بالحضارة الفنية عناصر كثيرة

من الحضارة الروحية ـ فقد استغل الدين على نطاق واسع ومتنوع الامكانيات الفنية للكلمة، وغالبا ما كانت تتطابق كلمة "العلم" بكلمة "الفن" (وعلى سبيل المثال التأريخ والجغرافيا).

ان خصائص الحضارة الروحية العربية ـ الاسلامية ترتبط بالايديولوجيا الاسلامية التى تحدد بقدر كبير شكلها ومحتواها. لكن وجدت الى جانب الفلسفة الدينية الخالصة الفلسفة المشائية الشرق اوسطية التى كانت تطور تقاليد الحضارة اليونانية القديمة. وكان ينظر اليها بمثابة لاهوت اعلى، وكدين غريب يتواجد خارجها وخارج الحضارة المتجهة نحوها. ويرتبط بالفلسفة التطور الكبير الذى حققته العلوم ـ الرياضيات (الميكانيكا، الجبر، المثلثات)، والفيزياء (البصريات)، والفلك والكيمياء والطب. وكان العالم العربى ـ الاسلامى يضطلع فى العلوم والفلسفة بدور "معلم" اوربا القرون الوسطى. بيد انها بعد ان استوعبت تراثها نفسها وتراث الحضارة اليونانية القديمة، التى عدلتها ونقحتها، سبقت الشرق وقامت على الكثافه لولوج عهد النهضة.

* * *

ان الحضارة الفنية العربية ـ الاسلامية فى القرون الوسطى التى ازدهرت فى فترة القرون السابع ـ الثانى عشر تقارب من حيث النمط حضارة اوربا فى القرون الوسطى. ويمكن اعتبار السمات المميزة لها ان دور الفرد والمؤلف فى الابداع فيها اكبر، وان الاهتمام بالانسان اكبر، وكونها قريبة من الامور الدنيوية بصورة اكبر، وان حرية الاستفادة من التراث اليونانى القديم اكثر، وبفضل ذلك تمت المحافظة على الحضارة الاسلامية بدون تغيرات ملموسة حتى العصر الحديث. وهذا يدفع

بعض الباحثين الى الاسترسال فى الحديث عن "ظواهر النهضة" او حتى عن وجود "نهضة" فى الشرق الاوسط خلال فترة القرون الوسطى.

تلاحظ فى الحضارة الفنية الاسلامية مجموعتان من السمات المتميزة المعلومات المعتمدة كمقياس اعلامى.وتشمل احداهما العناصر المرتبطة بتراث الحضارات القديمة وحضارات فجر القرون الوسطى. وقد ادى تطورها الى تولد الكثير من السمات النمطية العامة للقرون الوسطى فى الثقافة العربية - الاسلامية - ومثالها مبدأ اتباع التقاليد والشرائع وسيطرة اسلوب "تقليد" الاسلاف ، وحب ادب الوعظ ، وسعة انتشار وشعبية المؤلفات ذات الطابع الموسوعى، واخيرا ، الدور الخاص الذى تضطلع به امور الحياة اليومية كتجسيد للحس الفنى. وجاءت من القدم افكار ومناهج جمالية وفلسفية كثيرة. واقام المجموعة الاخرى الاسلام الذى كان يتحكم بكل جوانب حياة المسلم فى القرون الوسطى، وبضمن ذلك جزء ملموس من الثقافة الفنية، راسما طراز العالم الشاخص خلفها . ويتميز الاسلام بانه يجمع ما بين الدنيوى والدينى. وتجسد هذا المبدأ ضمنا فى ان "السماوى" و"الارضى" مندمجان عمليا فى الثقافة الفنية . وحتى عناصر وظواهر الثقافة التى تبدو للوهلة الاولى مناقضة للاسلام - ومثالها شعر "الخمرة" والرقص والغناء وتصوير الاحياء - كانت لها جوانبها واسسها الدينية (وهى غالبا ما تكون غيبية).

كما انعكست خصائص الحضارة الاجتماعية للمجتمع العربى الاسلامى وايديولوجيتها فى وجود اختلاف ضعيف نسبيا بين ثقافة النخبة وثقافة العامة. وتوجد بينهما شريحة كبيرة من الكلام المنقول والمدّون والفنون التطبيقية وعمارة مبانى العبادة والمبانى العامة الميسرة - بدرجات متفاوتة

طبعا ـ لكثير من فئات المجتمع .

وكان الكتاب المقدس ـ القرآن الكريم ـ يعتبر المعجزة الكبرى التى خلقها الله ، والنموذج لجمال اللغة والاسلوب. وفى الطبيعى ان التقليد المباشر للقرآن كان يعتبر ضربا من الاثم، لكن اسلوبه ترك تأثيرا ملموسا على جميع جوانب الثقافة الفنية .

وفى اطر هذه الخصائص العامة تكونت سمات الثقافة العربية ـ الاسلامية التى تحدد العالم الذى تصوره (١) . ويعتبر التوجه نحو المثل الاعلى ـ احدى السمات البارزة على السطح فى الثقافة الفنية العربية ـ الاسلامية . وكان الشعر الغيبى يصبو الى ادراك ووصف اسمى درجات النشوة ، بينما يكتب الادب بلغة القرآن "المثلى" ، وكان الشعراء الوجدانيون يتغنون بالحب العذرى المثالى للمجنون وليلى . واعتمدت الجنة ، بصفتها المثل الاعلى للبشر الفانيين، كموضوع للتصوير . وتوصف الجنة فى القرآن بـ "الجنات" و"النعيم" ، وكانت البساتين الفاخرة للفترة الاسلامية تقلد بساتين النعيم (ان الاوهام بصدد جنات النعيم شفافة للغاية ، ومثال ذلك تسمية الحدائق الشهيرة "جنة الريف" فى غرناطة) . وتصور جنات النعيم فى فسيفساء المسجد الاموى بدمشق، وتستلهم منها الزخارف التى تصور النباتات (الارابسك) . ان الجنة تصور فى القرآن باعتبارها ملموسة ومحسوسة جدا ـ فهى روضة يلقى فيها الاخيار المتعة الروحية واللذائذ الحسية المحرمة فى الحياة الدنيوية . الخمر والمعيشة الرغيدة وغير ذلك. لذا فان صورة الجنة تبدو ايضا خلف النماذج "المذمومة" للثقافة مثل اشعار "الخمرة" لابى نؤاس واللوحات الجدارية فى حمامات وقاعات قصر الحمراء والنقوش فى احد قصور سامراء .

ان القرآن يجمع ما بين التأملات الرفيعة عن الله والصور المادية الملموسة والمقارنات والعبارات اليومية الشائعة والمصطلحات التجارية العملية . وتتميز بمثل هذا الصدق الحيوى ايضا اللغة الفنية للادب العربى وبالاخص الشعر (٢). ان النثر الفنى عبارة عن قصص واحاديث من الحياة الواقعية التى لم تفقد صفتها المحسوسة حتى لدى المغالاة فى تزويق وزخرفة اللغة والاسلوب.

لقد لوحظت فى الثقافة العربية الاسلامية للقرون الاوسط منذ وقت بعيد الاستقلالية الكبيرة لبعض عناصر النص الفنى والزخرفة والموسيقى وهكذا دواليك ، وانفصالها مبدئيا عن بعضها البعض ، واحيانا - حلول بعضها محل البعض الاخر . وقد عزى ذلك بالزعم ان التفكير الاسلامى عموما يتميز بـ "التذرية" (٣)، مما يبدو بالنسبة لنا مبالغا فيه ، واحيانا صحيحا ، ان الكثير من عناصر اللغة الفنية فى القرون الوسطى منغلقة على نفسها . وتتألف الاشعار العربية من وحدات قائمة بحد ذاتها ، والابيات - اى السطور ذات المغزى المتكامل والبنية الكاملة . وتكون ضمن اطار القصيدة مستقلة جدا بحيث يمكن ان تغير مواضعها ، وتحذف او تضاف ، دون ان يتغير تركيب القصيدة عموما . ويساعد على ذلك لزوم توفر القافية الموحدة للقصيدة كلها فى جلّ الشعر العربى. وغالبا ما تتألف الاعمال النثرية من اقاصيص وروايات واقوال مؤثرة منفصلة عن بعضها البعض. اما الابنية المعمارية فهى متجهة نحو الداخل فى عناصرها الزخرفية والوظيفية (القصور والصوامع الاواوين والاعمدة) وتفصلها عن العالم جدران صماء لا يزيد فيها سوى المدخل.

كانت مقاطع لغة الثقافة تقترن بضديدها اى السعى الى الامتداد، والانتقال من حالة الى اخرى (٤). والمثال على

ذلك الاعمال الادبية الكبيرة : فان نسق العناصر المتكاملة فيها يخلق الوهم بالسرمدية الواقعية او الكامنة . ولا يوجد للفعل الجارى تصويره ولا يجب ان توجد نهاية . وحتى الموسيقى تتشكل بصورة متغايرات للحن الواحد. والمظهر الاخر لهذا الاتجاه : تواصل الزخارف بصورة نباتات (الارابسك) وتلاحم اشكال النقوش الهندسية مع بعضها البعض (٥) .

وثمة سمة مميزة للثقافة العربية الاسلامية هو كون الكثير من اشكالها "لا تشكيلية"، وبالدرجة الاولى عدم الميل الى تصوير الكائنات الحية ، الذى تحول شيئا فشيئا الى تحريم هذا التصوير . وقد اثرت فى هذه النزعة "اللاتشكيلية" فى الفن ايضا تقاليد حياة البداوة لدى العرب ، وخصائص المجازية الدينية فى الاسلام، وكذلك تأثيرات فن تصوير الايقونات البيزنطى، فاضحى الشكل التشبيهى فى التجسيد الفنى للافكار والنزعات الدينية هناك يتمثل فى الكلمة (القرآن)، وليس فى التصوير (٦) .

لكن يوجد الى جانب "اللاتشكيلية" (انها تجلت ايضا فى التقليد الادبى الباقى فى الشرق فى تفضيل الفعل على الوصف) فى الثقافة العربية الاسلامية ذاتها ، وكأستمرار لاتجاه "التحسس" الولع الشديد بالتفاصيل - بالكلمة والجملة والصوت والتزويق ، والولع باللون والتواء الاشكال فى النقوش والزخارف والصور على الاوانى والسجاد.

كما حدد اختيار الكلمة بصفتها الوسيلة الرئيسية للتعبير عن الالهى المكانة التى يحتلها الخط فى هذه الثقافة . فاضحت الاحرف - الكلمة المكتوبة - لا تحمل المعانى فقط، بل وتحمل قوة سحرية - الطلاسم، ووسيلة للتعبير الفنى . ان الكتابات الكثيرة فى الابنية والحاجيات كانت تذكيرا ،بصورة فنية ، بالكلام الرئيسى - القرأن الخالد . وقد خصصت من اجل

هذا الغرض ، وليس من اجل الاعلام ـ فلا يستطيع سوى المتضلع قراءة النقش المبتكر او الاسلوب المبسط للخطوط العربية . كما ان محتوى الكتابات يكون عادة اقوال شائعة وتمنيات معروفة من قبل.

كما يعتبر الاهتمام بتزيين الكتب (وكانت مخطوطة فقط) من الخصائص الهامة للثقافة العربية الاسلامية . وتركز الكثير من سماتها فى الكتاب. ويتمثل ذلك فى عبادة الكلمة ، وحسب الزخرفة ، والتمتع بالتفاصيل. كما يبرز فيها السعى الى التشكيلية . فى كتب النخبة ـ مثل الكشوف الفاخرة للنثر الجميل، وكتب العلم عن النباتات والاوتوماتونات الالية ، وفى كتب معجزات الكون تبدو المنمنمات التشكيلية ، التى تصور الاشياء بصورة ملموسة ودقيقة .

وترتبط الثقافة العربية الاسلامية اداريا ارتباطا وثيقا بالجهاز العسكرى ـ الادارى للاقطار الاسلامية ، الذى يبسط حمايته على النشاط الفنى. كما انها ترتبط بفئات اهل المدن واسواق المدن، حيث وجدت المبدعين والمستهلكين لها اشكال كثيرة من الشعر والنثر، لكن الاغلبية هناك لم تكن تحبّذ المغالاة فى الفخامة لدى تزيين الحياة اليومية . وتتمثل الثقافة الفنية باقل قدر فى المساجد والمدارس الدينية ـ بالرغم من ان مبانى هذه المؤسسات التى تبنيها السلطات او المحسنون من اهل المدن تشكل قسما كبيرا يكاد يغدو افضل قسم من العمارة العربية ـ الاسلامية .

كان الابداع الفنى دائما تقريبا حرفة ، بالرغم من ان الشاعر ربما كان فى آن واحد منجما واديبا ـ موظفا. وكان الشعراء يحتلون مكانة خاصة فى المجتمع. اذ ساعدت قوة الكلمة التى تحولت منذ عصور ما قبل الاسلام الى قوة سحرية قد ساعدت على تجاوز عدم ميل الاسلام الى الابداع الشعرى.

وبدا كما لو أن الشعراء كانوا بمديحهم، النوع الاساسي من النظم، يهبون الانسان الخير، وبهجوهم يجلبون اليه المصائب. وقد وجد الشعراء في عهد كل سلطة للمالكين، وفي كل قصر. وغالبا ما كانوا يرتزقون من موارد ابداعهم، ويتمتعون بنفوذ كبير في المجتمع.

ولربما كان الادب العمل الوحيد في مجال الثقافة الفنية الذي يعتبر راقيا. بينما كان منشدي مؤلفان فن الكلام في مرتبة ادنى من الناظمين. وكان الرواة ينشدون الاشعار ويتناقلونها، ويجمعون قصائد الشعراء المعروفين، والمغنون والموسيقيون يؤدون هذه الاشعار ذاتها. لكنهم، شأنهم شأن الراقصات، ما كانوا يتمتعون بمودة كرام الناس، بالرغم من الاقبال على سماعهم في القصور وفي الاسواق. واحتل الغناء والموسيقى والرقص مكانة خاصة لدى الفرق الصوفية باعتبارها من العناصر الفنية للشعائر الدينية.

واعتبر نسخ الكتب وتزيينها من المهن المحترمة. واندمج القسم الاكبر من مظاهر النشاط الفني مع الحرف - في الفنون التطبيقية والعمارة وتزيين المنشات العامة وغير ذلك - واعتبر عملا محترما مثل عمل الحرف الاخر. ولابد من الاشارة الى ان ابداع الرسامين والمعماريين المسلمين لم يكن صاحبه مجهولا. فغالبا نسبيا ما نجد على شتى المصنوعات - من الزخارف على الابنية الى النقوش المحفورة على الاواني - اسماء صايغها.

وقد ادخل تعليم فن الكلام في "برنامج" التعليم العام لدى الفئات العليا في المجتمع، وفي مجموعة المهارات الضرورية للانسان المتعلم. كما كان جزءا هاما من اعداد الموظفين - الكتبة. وكانت المعارف والمقدرات والتقاليد تتناقل في سياق الاختلاط المباشر - في الحرف وفي العلوم

الدينية والسياسية والفنون. وكانت المخطوطة اهم وسيلة لحفظ وتناقل نماذج الثقافة الفنية، وكذلك المعارف الخاصة بها، لكنها اعتبرت لمدة طويلة وفى كل مكان تقريبا مجرد اداة تساعد على الاختلاط المباشر وغير المدون.

كان "استهلاك" الثقافة الفنية يجرى اساسا فى ثلاثة ميادين. والحياة الرسمية، ومنها فى القصر، حيث تلقى فى الحفلات الاشعار، وتتلا نفائس الاعمال الادبية وغرر البيان ودرره، هى الميدان الرئيسى لنشاط الشعراء. كما ان الفن المعمارى والفن الجدارى اعتبرا من عناصر الحياة الرسمية لحكام البلاد.

واحتل الفن مكانة مرموقة فى محتوى "الاحاديث" ـ ذلك الجانب الهام من المعيشة الاجتماعية للحاكمين والموظفين والتجار واصحاب الاراضى الموسرين. وهناك بالذات، وفى الجو لا يسوده الاكراه، كان الشعراء والموسيقيون ينشدون ويعزفون. واستحدثت من اجل مجال الحياة هذا، وكذلك من اجل القصر، الملابس الفاخرة والحلى والاوانى البديعة، وهناك بالذات كانت تقيم فضائل الاشياء الصغيرة، لكن المصنوعة بمهارة، التى ذاع بها صيت الفن الاسلامى. ولهذا النوع من التعامل مع الفن جرى نقش جدران القاعات والحمامات بالزخارف وصنع السجاد.

ان السوق اليومية، وبصورة خاصة فى ايام الاعياد، فى المدن والارياف كانت المكان الذى تستمع فيه جموع الناس الى الاقاصيص المضحكة وذات العبر وتشاهد رقص الراقصات وتصغى الى الموسيقيين والشعراء، واغانيهم عن العاشقين البائسين وعن ابطال "الروايات" الشعبية كالفارس عنترة والملك سيف بن ذى يزن وغيرهما. وكانت تقام هناك المواكب والتشبيهات الدينية، وولد مسرح الظل وتطور الشعر بلغة العامة.

وقد وجد فن الاسواق المجال لدخول القصور وبيوت

الاثرياء. وغالبا ما كان يقدم الافراد انفسهم فنهم هناك او هناك، ويتلى "شعر الخمرة" فى مأدبة الحاكم. وفى احيان كثيرة تنشأ الاعمال الفنية للصفوة على الاساس الشعبى لعامة الناس. ومثال ذلك "مقامات الحريرى" (٧) - وهى قصص عن الشطارة والاحتيال صيغت باسلوب النثر الحاذق وبقافية، ولم يكن يقدر على تأليفها سوى كبار المتضلعين بالكلام. وكانت هذه المؤلفات الخاصة بالنخبة بالذات تزين برسوم المنمنمات فى المخطوطات الفاخرة التى لا يستطيع الانفاق على صنعها سوى القلائل. وكان رجال اللغة والادب يدونون ويتذوقون اشعار العامة. وظهرت مؤلفات من الطراز المتوسط - المعالجة الادبية لقصص اهل المدن وتدوينها. ومثالها مجموعة "الف ليلة وليلة".

ووجد طرازان من تنظيم الانتاج الفنى: "للمحسنين الى اهل الادب والفن" (كان وجهاء القوم والاثرياء يعيلون او يقدمون العطايا والهبات الى الشعراء والادباء والموسيقيين والمعماريين) و"للحرفيين" (يتم صنع مادة الفنون التطبيقية او الجدارية لغرض بيعها فى السوق او تنفيذا لطلب احد ما). وكان النجاح يتوقف على ذوق ومزاج صاحب الطلب، لكن فى بعض الاحيان يلقى صاحبها التهديد والوعيد من جانب الوعاظ الدينيين الغيورين الذين يصبون نقمتهم بين الفينة والفينة على الترف فى العيش والموسيقى والرقص. كما وجب على الثقافة الفنية ان تتكيف لمتطلبات الجمهور المتدين فى المجتمع وكذلك لاذواق وحاجات الفئات العليا فى الدولة.

وكان اهم عامل يتحكم بالابداع الادبى هو النقد الادبى، او بالاحرى المؤلفات فى فن النظم وعلم العروض التى تعكس التغييرات فى المغايير والاساليب الشعرية، والتى غالبا ما تفرض احكاما معينة تحافظ على التقاليد او تنكرها. وفى

فترة متأخرة من القرون الوسطى ظهرت اعمال فى الخط والعمارة والموسيقى. وواصلت الاخيرة التقليد الفلسفى اليونانى القديم وارتبطت بعلاقة اكبر كثيرا بالفلسفة منها باداء الموسيقى العربية فى القرون الوسطى.

ترد الاراء الجمالية للثقافة العربية الاسلامية فى اعمال الفلاسفة، ونجدها متناثرة فى مؤلفات بن سينا وبن رشد والفارابى والكندى والغزالى. ولم توجد عمليا اعمال خاصة فى علم الجمال. والاراء الجمالية لفترة القرون الوسطى فى العالم العربى تكرر وتطور الى حد كبير التقاليد الجمالية يونانية القديمة ولا يمكن ان تنسب دائما ابدا الى القدرات الملموسة للثقافة الفنية العربية الاسلامية (٨). ويقتصر محتوى الاراء الجمالية فى هذا العصر على ما يلى.

لقد اعتبر الاساس الموضوعى للجمال هو الانسجام ما بين العالمين الالهى والمادى. ووضعت المشاعر الى جانب الاستنتاجات المعقولة والتأمل بصفتها من الوسائل الهامة للادراك عموما وادراك الخالق بصورة خاصة. واعد الصوفيون المسلمون نظرية وتطبيق الاستفادة من الابداع الفنى - الشعر والموسيقى والرقص - فى اجل ادراك الرب مباشرة عبر النشوة.

كما ساد الاعتقاد بان جوهر الابداع الفنى هو تقليد العالم الواقعى، بيد انه تقليد قائم على التصور، وعلى الفعلى الابداعى المرتبط بالمشاعر وكذلك بالعقل. ويتلقى التصور مادة الادراك من القوة العاقلة ويقلدها كما لو كانت هى مادة الادراك الحسى.

وكان يجرى استيعاب الجمال بالارتباط مع مدى ملاءمته ونفعه. ففى الابداع الفنى، وبالاخص فى الادب، كان يتراءى دوما الهدف العملى الطيب - اى تأثيره التربوى والاخلاقى، والاقتران الوثيق بين الجمال وبين الاخلاق والحقيقة.

ان التركيب المورفولوجي للثقافة الفنية فى فترة القرون الوسطى العربية ثابت المقاييس جدا . فيحتل مكانة خاصة فى الادب (٩) الشعر المتمثل بالاعمال الطويلة - القصائد وشعر الهجاء والرثاء والاشعار العاطفية وشعر الزهد والغيبيات وكتب الفقه وقواعد اللغة والتأريخ المكتوبة باسلوب شعرى وبقافية . وكان الشعر يتوجه نحو الاداء الشفهي - الالقاء او الانشاء . ويتضمن احد اشهر كتب الشعر واسمه "كتاب الاغانى" الاحاديث عن الشعراء وشعرهم ومعلومات عن اساليب تلاوة وانشاء هذه الاشعار . كما ان القرآن يقرأ باسلوب التجويد الا ان الاعتقاد الشائع هو ان ذلك لاعلاقة له بالغناء .

اما النثر فلم يعتبر من صنف الكلام غير المدون الا بدرجة اقل . ويحتل "الادب" مكانة كبيرة فى النثر - ويشمل مجموعات المواعظ والمعلومات التأريخية والجغرافية النافعة والقصص الشيقة وذات العبر، التى يستعان بها فى تربية ابناء النخبة وفى تسلية الناس المتعلمين . ومنها قسم كبير من المؤلفات التأريخية والجغرافية . ويرتبط بالادب ارتباطا وثيقا فن الكتاب الذى يتضمن صنع وتزيين جلد الكتاب والخط والمنمنمات بشكل زخارف ورسوم .

وشكلت الحرف الفنية حيزا ملموسا - من حيث الحجم ومن حيث دورها الاجتماعى والجمالى - فى الثقافة الفنية . وتعتبر الاسلحة والاوانى واللوازم البيتية والملابس والسجاجيد والمنشات العامة - الرصيد الرئيسى للثقافة العربية الاسلامية فى تراث البشرية العام . وفى الواقع ان فن العمارة - كان من الحرف التى اختلطت فيها اعمال البناء بصنع النقوش المسطحة والبارزة على الحجر او الترابيع . ولابد من ابراز فن العمارة الخاص بتصميم الحدائق، والذى اشتهرت خصائصه وانتشرت على نطاق واسع فى العالم الاسلامى فى القرون الوسطى .

لم يتطور الفن المسرحي كثيرا في المجتمع الاسلامي. ويمكن اعتبار بوارده الاولى متمثلة في مشاهد التشابيه لدى الشيعة التي تصور مقتل الامام الحسين. وفي وقت لاحق من القرون الوسطى ظهر واشتهر مسرح الظل مع الاغاني التي تردد بلغة العامة. لكن المسرح العربي لم ينشأ الا في العصر الحديث وكان في البداية تقليدا للنموذج الاوربي. وفي اواسط القرن العشرين فقط صار المسرح العربي يتعامل مع تقاليد الفن الدرامي العربية لفترة القرون الوسطى، رغم قلتها.

* * *

ولدى اختتام هذا الاستعراض لابد لنا من التنويه بان الثقافة العربية الاسلامية الوارد ذكرها اعلاه كانت جزءا من عالمين ثقافيين. احدهما - حضارة الشرق الاوسط في القرون الوسطى عموما. وتضم ايضا الحضارة البيزنطية والحضارة العربية - المسيحية وغير ذلك. ويجمعها مع الحضارة العربية الاسلامية اساس مشترك، ولد الكثير من السمات والصفات المشتركة ايضا. والعالم الاخر - هو الاسلامي الذي يشمل كافة الامصار التي انتشر فيها الاسلام. وقد نشأت حضارته في شتى الانحاء من اسس مختلفة، لكنها ارتبطت بالحضارة العربية الاسلامية بوحدة الايديولوجيا والمصائر التأريخية.

الهوامش

(١) انظر بصدد المعايير العامة والصورة الملموسة للثقافة الفنية العربية الاسلامية. كتاب ى.فيلشتينسكي وب.شيدفار. دراسات في تأريخ الثقافة العربية الاسلامية. موسكو، ١٩٧١، وكتاب ب.فايمارن. فنون الاقطار العربية وايران في القرون السابع - السابع عشر. موسكو، ١٩٧٤، ودراسات في تأريخ

الثقافة العربية فى القرون الخامس ـ الخامس عشر ،موسكو، ١٩٨٢.

Unity and variety in Muslim culture. Chicago, 1957; Grunebaum G. Islam. Essays in the Nature and Growth of a Cultural Tradition. Chicago, 1961; Otto-Dorn K. Kunst des Islam. Baden-Baden, 1964; Sourdel D. et J. La Civilisation de l'Islam Classique. Paris, 1968.

(٢) للمزيد من الاطلاع راجع ايضا : ا .كراتشكوفسكى. الشعر العربى. فى كتاب: ا .كراتشكوفسكى. المختارات. المجلد الثانى. موسكو ـ لينينغراد، ١٩٥٦.

(٣) Massignon L. Les Methodes de realisation artistique de people del'Islam.-In: Massignon L. Opera minora, Vol. 3, Beiruth, 1963.

(٤) Grunebaum G. The Spirit of Islam as Shown in Its Literature. Studia Islami, Paris, 1953, No. 2.

(٥) Kuhnel E. Die Arabeska: Sinn und Wandlung eines Ornaments. Wiesbaden, 1949.

(٦) و .بولشاكوف. الاسلام فى الفن التشكيلى ـ اعمال متحف الارميتاج. لينينغراد، ١٩٦٩، المجلد العاشر.

Paret R. Die Entstenungszen des islamischen Bildverbots.-Kunst des Orients, 1977, Vol. XI, No.1/2.

(٧) الحريرى. المقامات. قصص الشكارة والاحتيال فى القرون الوسطى / كتب المقدمة واعدت الترجمة ا .دولينينا وف. بوريسوف. موسكو، ١٩٧٨.

(٨) ا .ا وفسيانيكوف، ى.سميرنوف.دراسات فى تأريخ الافكار الجمالية ،موسكو، ١٩٦٣ . ا .ساغدييف. فكرة الشخصية المنسجمة فى القرون الوسطى الاسلامية .فى كتاب: الشخصية المنسجمة . موسكو، ١٩٦٥.

(٩) انظر حول ذلك : ب. شيدفار . منهج الاستعارة فى

الادب العربى الكلاسيكى. موسكو، ١٩٧٤. و١. فيلشتينسكى،
١) فن الكلام عند العرب فى القدم وفى فجر القرون
الوسطى. موسكو، ١٩٧٧. ٢)الادب العربى فى القرنين الثامن
والتاسع. موسكو، ١٩٧٨. ١.كوديلين. الشعر العربى. موسكو،
١٩٨٣.

حديث ابن عبد الحكم عن تأريخ مصر القديم

(حول بعض خواص الادبيات التأريخية فى مصر)

سيرغى بيفزنر
دكتور فلسفة فى التأريخ

يعد اول بحث من حيث الزمن للمؤرخين العرب ـ المصريين حفظ حتى زماننا "فتح مصر وبلاد الغرب والاندلس" من تاليف عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (المتوفى عام ٨٧١) (١).

وهو نجل وشقيق فقيهين كبيرين وعالمين فى الحديث بمصر (٢). وكان هو نفسه يعد عالما له شأنه فى علمى الفقه والحديث. بيد ان بحثه التاريخى هذا يبين انه قد كان له باع طويل ايضا فى مجال التاريخ والمام بالمعارف الواسعة التى حصل عليها بفضل درسه لما دون فى الكتب او تناقلته الالسنة من احاديث سابقيه من اكابر العلماء ـ مؤرخى الخلافة الاسلامية وبالاخص بين المصريين.

وكتاب ابن عبد الحكم مقسوم الى سبعة اقسام. يتناول القسم الاول منها "فضائل مصر" وهو يبين تاريخ استيطان مصر ابتداءً من عهد حفيد نوح وتعدد فيه اسماء حكام البلاد من ذريته وتذكر فيه القصص التوراتية عن ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف وموسى. ثم يلى ذلك تعداد ملوك مصر اللاحقين حتى وقت فتحها على نبوكدنصّر وبيان الصراع

على السلطة بين الفرس والروم وتأسيس مدينة الاسكندرية . ويتضمن هذا القسم كذلك عددا من القصص والاحاديث عن معالم مصر الجغرافية وعن نهر النيل وتلال جبل المقطم التى تربط كذلك بالتاريخ "المقدس" . ويتحدث القسم الثانى من الكتاب عن فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب. والقسم الثالث منه مكرس لوصف الخطط اى الاحياء السكنية فى الفسطاط والجيزة وكذلك اراضى العرب وديارهم بمنطقة الاسكندرية وقطائعهم فى مصر . ويعرض القسم الرابع تاريخ مصر وحكمها من قبل ولاةوعمال عمرو بن العاص وعبد الله بن سعيد ابي سرح. ويتناول القسم الخامس فتح الشمال الافريقى وبلاد الاندلس حتى عام ١٢٧/٧٤٤ – ٧٤٥. ويستعرض القسم السادس تاريخ قضاة مصر حتى عام ٢٤٦/٨٦٠ – ٨٦١. واخيرا يورد القسم الاخير الاحاديث المروية عن الصحابة الذين حلوا فى مصر ويسرد قائمة كاملة باسماء الصحابة الذين زاروها (بمن فيهم الذين لم تنسب اليهم بالاسانيد رواية اية احاديث) .

ظهرت قبل اكثر من مائة عام الطبعات الجزئية الاولى لهذا البحث، ثم طبع مرارا وترجم كاملا او فى مقتطفات(٣) . ولكن اذا كان علماء عديدون قد توجهوا الى مواد ابن عبد الحكم المتعلقة بتأريخ مصر فى القرون الوسطى وبخاصةما يتصل بالشمال الافريقى والاندلس فان الجزء الابتدائى من كتابه لم يكد يمس ويدرس.

وتتناول المقالة الموضوعة بين يدى القارئ الكريم حصرا المعلومات الواردة ضمن القسم الاول من الكتاب. المرحلة الابتدائية هى استيطان مصر وحكمها بالملوك من سلالة بيصار وعرض ابن عبد الحكم قصص الشخصيات التوراتية وفق التقليد اليهودى المعروف عند المسلمين باسم علم الاسرائيليات وقصص التوراة معدلا بالسياق الذى عهد فى اليمن. ويبدو ان

الذى يجتذب اكبر الاهتمام هو الجزء الاوسط (حتى فتح مصر بايدى الغرباء وهو المعروض فى ادناه. وهو يضم قضنين لا يستدعى الشك اصلهما الفولكلورى. وجدير بالتنويه لدى ذلك ان هاتين، القصتين قائمتان على اساس الروايات الماثورة التى كانت منتشرة ومشهورة فى مصر بالذات (٤). لذلك فان ايراد هذا المقتطف له اهمية ليس بالنسبة لمؤرخى الحضارة المصرية فحسب بل للعلماء المخقصين بالادبيات القبطية (٥).

ذكر الملكة دلوكة

قال ثم رجع الى حديث عثمن وغيره قال فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاعظم اشراف من بمصر من النساء ان يولين منهم احدا واجمع رأيهن ان يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ابنت زباء وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فملكوها فخافت ان يتناولها ملوك إلارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت ان ابنى حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء واقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت فى كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتاهم احد يخافونه

ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اى وجه
كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فمنعت بذلك مصر
ممن ارادها قال غير عثمن وفرغت من بنائه فى ستة
اشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد
بقيت بالصعيد منه اقايا كثيرة .

ذكر عمل البرابى

قال عثمن بن صالح فى حديثه وكان ثم عجوز ساحرة
يقال لها تدورة وكانت السحرة تعظمها وتقدمها فى
علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد
احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نأمن ان يطمع فينا الملوك
فاعملى لنا شيئا نغلب به من حولنا فقد كان فرعون
يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا وبقى اقلنا . فعملت
بربا من حجارة فى وسط مدينة منف (٦) وجعلت له اربعة
ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق
وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت
لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من ارادكم من كل
جهة توتون منها برا او بحرا وهذا ما يغنيكم عن الحصن
ويقطع عنكم مونته فمن اتاكم من اى جهة فانهم ان
كانوا فى البر على خيل او بغال او ابل او فى سفن او
رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى ياتون منها فما
فعلتم بالصور من شئ اصابهم ذلك فى انفسهم على
ما تفعلون بهم. فلما بلغ الملوك حولهم ان امرهم قد
صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم
فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا
فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشئ ولا يفعلون بها شيئا
الا اصاب ذلك الجيش الذى اقبل اليهم مثله ان كانت خيلا

فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رؤسها او سوقها او فقء اعينها او بقر بطونها اثر مثل ذلك بالخيل التى ارادتهم وان كانت سفنا او رجالة فكمثل ذلك وكانوا اعلم الناس بالسحر واقوام عليه وانتشر ذلك فتنا ذرهم الناس.

ذكر ملوك مصر بعد العجوز دلوكة

وكان نساء اهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون من اشرافهم ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال ان لا يفعلوا شيئا باذنهن فاجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال قال عثمن فحدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب ان القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولايشترى الا قال استأمر امرأتى فملكتهم دلوكة ابنت زبا عشرين سنة تدبر امرهم بمصر حتى بلغ صبى من ابناء اكابرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمائة سنه قال ثم مات دركون بن بلوطس فاستخلف ابنه بودس بن دركون ثم توفى بودس بن دركون فاستخلف اخاه لقاس بن تدارس فلم يمكث الا ثلث سنين حتى مات ولم يترك ولدا فاستخلف اخاه مرينا بن مرينوس قال ثم توفى مرينا بن مرينوس فاستخلف استمارس بن مرينا فطغى وتكبر وسفك الدم واظهر الفاحشة فاعظموا ذلك واجمعوا على خلعه فخلعوه وتقلوه وبايعوا رجلا من اشرافهم يقال له بلوطس بن مناكيل فملكهم اربعين سنة ثم توفى بلوطس بن مناكيل فاستخلف ابنه مالوس بن بلوطس ثم توفى

مالوس بن بلوطس فاستخلف اخاه مناكيل بن بلوطس بن مناكيل فملكهم زمانا ثم توفى فاستخلف ابنه بولة بن مناكيل فملكهم مائة سنة وعشرين وهو الاعرج الذى سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر (٧) وكان بولة قد تمكن فى البلاد وبلغ مبلغا لم يبلغه احد ممن كان قبله بعد فرعون وطغى فقتله الله تعالى صرعته دابته فدقت عنقه فمات حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله حدثنا الكلاعى عن تبيع عن كعب قال لما مات سليمن بن داود صلعم ملك بعده مرحب (٨) عم سليمان فسار اليه ملك مصر فقاتله واطلب الاترسة الذهب التى عملها سليمن صلعم فذهب بها .

واخبرنى شيخ من اهل مصر من اهل العلم ان المخلوع الذى خلعه اهل مصر انما هو بولة وذلك انه دعا الوزراء ومن كانت الملوك قبله تجرى عليهم الارزاق والجوائز فكانه استكثر ذلك فقال لهم انى اريد ان اسألكم عن اشياء فان اخبرتمونى بها زدت فى ارزاقكم ورفعت من اقداركم وان انتم لم تخبرونى بها ضربت اعناقكم فقالوا له سلنا عم شئت فقال لهم اخبرونى ما يفعل الله تبارك وتعالى فى كل يوم، وكم عدد نجوم السماء، وكم مقدار ما تستحق الشمس فى كل يوم على ابن آدم، فاستأجلوه فأجلهم فى ذلك شهرا فكانوا يخرجون فى كل يوم الى خارج مدينة منف فيقفون فى ظل قرموس (٩) يتباحثون ما هم فيه ثم يرجعون وصاحب القرموس ينظر اليهم فاتاهم ذات يوم فسألهم عن امرهم فاخبروه فقال لهم عندى علم ما تريدون الا ان لى قرموسا لا استطيع ان اعطله فليقعد رجل منكم مكانى يعمل فيه واعطونى دابة كدوابكم والبسونى ثيابا كثيابكم ففعلوا وكان فى المدينة ابن لبعض ملوكهم قد ساءت حالته فاتاه القرموسى فسأله القيام بملك ابيه وطلبه فقال ليس يخرج

هذا يريد الملك من مدينة منف فقال انا اخرجه لك وجمع
له مالا ثم اقبل القرموسى حتى دخل على بولة فاخبره ان
عنده علم ما سأل عنه فقال له اخبرنى كم عدد نجوم السماء
فاخرج القرموسى جرابا من رمل كان معه فنثره بين يديه
وقال له مثل عدد هذا قال ومايدريك قال مر من يعده،قال
فكم مقدار ما تستحق الشمس كل يوم على ابن ادم قال
قيراطا لان العامل يعمل يومه الى الليل فيأخذ ذلك فى اجرته،
قال فما يفعل الله عزّ وجل كل يوم قال له اريك ذلك
غدا، فخرج معه حتى اوقفه على احد وزرائه الذى اقعده
القرموسى مكانه فقال له يفعل الله عز وجل كل يوم ان
يذل قوما ويعز قوما ويميت قوما ومن ذلك ان هذا وزير
من وزرائك قاعد يعمل على قرموس وانا صاحب قرموس على
دابة من دواب الملوك وعلى لباس من لباسهم او كما قال
له وان فلان بن فلان قد اغلق عليك مدينة منف فرجع مبادرا
فاذا مدينة منف قد اغلقت ووثبوا مع الغلام على بولة
فخلعوه فوسوس فكان يقعد على باب مدينة منف يوسوس
ويهذى فذلك قول القبط اذا كلم احدهم بما لا يريد
قال شجناك من بولة (١٠) يريد بذلك الملك لوسوسته.
والله اعلم قال ثم رجع الى حديث عثمان وغيره قال
ثم استخلف مرينوس بن بولة فملكهم زمانا ثم توفى
واستخلف ابنه قرقورة بن مرينوس فملكهم ستين سنة ثم
توفى واستخلف اخاه لقاس بن مرينوس، وكان كلما انهدم
من ذلك البربا الذى فيه الصور شئ لم يقدر احد على اصلاحه
الا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف
ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت وانهدم من البربا
موضع فى زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر احد على اصلاحه
ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع

ما كانوا يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا ان الجمع كثير والمال عندهم.

تتيح مقارنة المعلومات والمعطيات التى اوردها ابن عبد الحكم فى هذا الحديث ومعلوماته الاخرى حول ماضى مصر القديم بتلك المواد عن تاريخ مصر الاسطورى الواردة ضمن بحوث المؤرخين العرب فى الاقاليم الوسطى والشرقية من ارض الخلافة الاسلامية فرصة وامكانية تثبيت بعض الخواص الملازمة لعلم التدوين التاريخى - الجغرافى المصرى.

يحتوى على المعلومات والمعطيات عن تاريخ مصر القديم تاريخ اليعقوبى (١١) المعروف وكل ما تتميز به اخبار اليعقوبى عما ورد فى كتاب ابن عبد الحكم هو الاقتضاب الاكبر وبعض الاختلافات فى ضبط اسماء الملوك والقياصرة وهذا امر له تفسيره الواضح انطلاقا من خواص الكتابة العربية. ولهذا يبدو من الطبيعى تماما الذهاب اعتقادا الى القول بان اخبار كلا المؤلفين تنتهى الى نفس المصادر. ولدى الاخذ بعين الاعتبار كون اليعقوبى عاش العديد من الاعوام فى مصر على عهد الطولونيين وتحت كنفهم يبدو طبيعيا كذلك الظن بانه قد اطلع على هذه الاحاديث هناك بالذات (١٢)..

ويتطابق الحديث عن اخبار مصر القديمة فى تاريخ المسعودى (١٣) " مروج الذهب ومعادن الجوهر" بنصه تقريبا مع نص اليعقوبى عدا التوسع كثيرا فى القسم المتعلق بالمعابد وبضمن ذلك حول الاهرامات وكتابات قدامى المصريين. وكان كتاب المسعودى المذكور معدا للقرأة "المسلية". وهو يحتوى عموما العديد من الاحاديث والاقاصيص والاخبار والروايات بصدد عجائب وغرائب شتى الاقطار اكثر بكثير مما فى المؤلفات التاريخية المعروفة فى عصر المسعودى. ولهذا اعار

مسعودى مثل هذه العناية البالغة الى وصف العجائب المدهشة المتمثلة فى المعابد والاهرام والكتابات الهيروغلوفية . اما بخصوص القسم التاريخى فانه مجرد تعداد لاسماء الملوك والقياصرة القدامى وهو ما يرجح جدا انه مقتبس من بحث اليعقوبى التاريخى (١٤).

وتخلو تماما من امثال هذه المعلومات عن تاريخ مصر مؤلفات المؤرخين الاخرين فى اقاليم الخلافة الوسطى والشرقية خلال القرن العاشر كالطبرى والدينورى والمطهر بن طاهر المقدسى.

وعليه كما يبدو يمكن التأكيد على ان الاهتمام الاساسى بتاريخ مصر القديم كان ماثلا فى مصر نفسها بالذات وان المؤرخين العرب الكلاسيكيين كان بوسعهم العثور على المعلومات والاخبار فى هذا الباب هناك بالذات.

فمن اين استمد هذه المعلومات ابن عبد الحكم؟ فى حالة النظر الى سلسلة رواة الاحاديث والاخبار التى يقصها يتضح ان القسم الاساسى من الاخبار يقوم على معلومات اكبر العلماء فى اواخر القرن الثانى الهجرة مثل عبد الله بن لهيعة (٧١٥ - ٧٩١) (١٥) والليث بن سعد (٧١٣ - ٧٩٢) (١٦).

وتروى المحتويات المرتبطة باعمال الشخوص التوراتية - ابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى - عن طريق يزيد بن ابى حبيب (٦٧٣ - ٧٤٦) وهو جامع المأثورات الشهير والقاضى الفقيه وابى قبيلة (المتوفى عام ٧٤٦) احد اوائل جامعى القصص والاخبار التاريخية فى مصر ومنسوبة الى عبد الله بن عمرو (المتوفى عام ٦٨٦) نجل فاتح مصر والمعروف بطول باعه فى باب العلم بالتاريخ عمرو بن العاص والى تبيع بن عامر (المتوفى عام ٧٢٠) وراوى الحكايات وراوية الاخبار وبالاخص من الاسرائيليات الشهير بلقبى كعب الاخبار وكعب الاحبار (المتوفى عام ٦٥٢ او ٦٥٤) ومن خلالهما (كما هو الشأن عبر

بعض الرواة الاخرين) الى كعب عبد الله بن عباس بن العباس ـ عباس (٦١٨ ـ ٦٨٧) وهما على التوالى من أشهر رواة وحملة الاخبار اليهودية ـ المسيحية اليمانية وتقاليد القصص القرانى والتفاسير.

غير ان القسم الاساسى من القصص الاسطورية ـ التاريخية استدلالا بالاحالات فى الاسانيد يقوم حصرا على معلومات المؤرخين المصريين. وجدير بالتنويه ان الاحاديث الكبيرة من حيث الحجم فى عدد من الحالات لا يروى اسنادها اصلا او هو مقتضب مختصر للغاية يقتصر فيه على ذكر اقرب حلقة الى ابن عبد الحكم من اشخاص الرواة. احيانا تتسم الاسانيد بطابع اغفال الاسماء من قبيل "حدث احد العلماء المصريين" و"يقال" (١٧).

ومن اين استمد المعلومات عن هذه المضامين والمحتويات المؤرخون العرب المصريون؟ اذ ان احاديث كعب الاحبار وعبد الله بن العباس (عباس) تقتصر على بيان جزء غير كبير منها ينتمى الى قسم الاسرائيليات من التقليد اليهودي ـ المسيحى والتقليد القرانى.

ان الدراسة التى اجراها بلوشه (١٨) قادته الى استنباط الاستنتاج بصدر الاهمية البالغة العائدة الى ادبيات علوم المعرفة فى تكوين التصورات عن الزمان القديم فى اذهان العرب. بيد ان هذه المصادر ايضا لم يكن بوسعها تهيئة المعلومات اللازمة للاحاديث التى اوردها ابن عبد الحكم. ويبدو انه لامندوحة عن الموافقة على راى كارا دى فو الذى كتب بهذا الصدد يقول: "ان تاريخ مصر الاسطورى الذى يشغل اكثر من نصف الكتاب لا يمكن رده لا الى اخبار ابى التاريخ هيرودوتس ولا الى مدونات مانيفون ولا الى معطيات علم دراسة مصر القديم. وهو يختلف بشدة ايضا عما تعطيه القصص المصرية

القديمة من نوع "حكايات عن الاخوين" و"رواية عن سيتنا" .
انه نبأ طويل لاريب فى اصله القبطى. والمؤلف الذى اورد هذه
الاحاديث لم يجمعها قطعا متناثرة من كتب شتى وهو لم
يقرأها وانما سمعها كما تروى امثالها شفاها (١٩).

وعليه فان دراسة الاجزاء الابتدائية من كتاب ابن عبد
الحكم تبين ان جمع المعلومات عن تاريخ مصر القديم البادئ
بزمن فتحها جرى عن طريق جمع الاخبار وفق التقليد القرانى
واليهودى - المسيحى اليمانى واستمر بعدئذ من قبل المؤرخين
المصريين خلال الفترة اللاحقة عن طريق ادخال مواد التقليد
القبطى الشفهى والمعلومات من ابداع اهل المعرفة.

وظل تاريخ مصر القديم مسترعيا اهتمام المؤرخين
المصريين فى غضون بضعة قرون عقب ابن عبد الحكم. وكرست
له مصنفات خاصة من عمر بن محمد الكندى(٢٠) (القرن العاشر)
والمؤلف المجهول من ابناء القرن العاشر على الارجح (٢١) وابن
زلاقة (٢٢) (المتوفى عام ٩٩٧) الى ابن وصيف شاه (٢٣) (القرن
الثالث عشر) وحسن بن عبد الله الصفدى (٢٤) (القرن الرابع
عشر).

وهو داخل فى عدد من المؤلفات التاريخية كواحد من
الفصول والابواب ويدخل ضمن قوام الكتب ذوات الطابع التاريخى
- الجغرافى (الخطط) مثل كتب ابن زلاقة والقضاعى (٢٥) (القرن
الحادى عشر) وحتى ابن المتوج (٢٦) (القرن الرابع عشر)
والمقريزى (٢٧) (القرن الخامس عشر).

وينبغى ذكر انه سواء لدى ابن عبد الحكم او المؤرخيين
والجغرافيين المصريين المتأخرين عنه من حيث الزمن كان
التاريخ القديم يشكل جزءا من "فضائل" مصر. وفضلا عنها
كانت هذه الفصول تتناول ايضا مزايا نهر النيل ومعالم البلاد
الجغرافية الاخرى (وهى على فكرة كثيرا ما تكون مرتبطة

كذلك بالتاريخ "المقدس") .

ولدى المصنفين الذين هم اكثر تأخرا من حيث الزمان (ابتداءا بعمر بن محمد الكندى) تدخل فى عداد الفضائل عدا انبياء التوراة وملوك قياصرة الزمان القديم كذلك رجال الصحابة واولئك اخلافهم واتباعهم وقد افرد ابن ابى الحكم فصلا برأسه لذكر الصحابة الذين عاشوا فى مصر او زاروها .

وينبغى ايضا ذكر امر اخر هو ان ابن عبد الحكم يورد اربع دوايات عن اصل الاسكندر المقدونى (ذى القرنين) .وتقول احدى هذه الروايات ان الاسكندر كان اغريقيا وتقول الاخرى انه حميرى وتزعم الروايتان الاخريان انه مصرى الاصل (٣٨) .

ويفاد فى "الاخبار والقصص العالمية" المدونة فى مركز الخلافة واطرافها الشرقية بمعلومات مغايرة على طول الخط. ويقص الطبرى حديثين منها يقض احدهما بان الاسكندر كان نجل كسرى فارسى وكريمة فيليب المقدونى (٣٩) ويقضى الاخر (استنادا الى الروم) بانه كان نجل فيليب. ويكتفى الدينورى بايراد خبر مفصل يفيد بان والد الاسكندر كان كسرى فارسيا (٣٠) . واذا كان حديث الدينورى هذا يربط بالامزجة والميول الشعوبية فان نسب ابن عبد الحكم الاسكندر الى ابناء بلده ينبغى تأويله برده الى نزعة ما مماثلة اخرى.

وهذه النزعة عينها كان لها اثر ايضا فى الاهتمام الثابت المستقر بالفضائل المحلية منذ بدء فجر التدوين التاريخى الجغرافى المصرى وحتى فترة متأخرة من القرون الوسطى وكذلك فى انه كما يمكن يرى ويلاحظ فان المؤرخين المصريين تتطور لديهم منذ ابكر فترة زمنية بالذات تلك الفروع من المعرفة التاريخية المترابطة مباشرة بتاريخ بلادهم تاريخ فتح مصر (وبلدان المغرب نظرا لكون فتوحاتها

حققت انطلاقا من مصر) وتراجم العلماء المحليين والقضاة وامثالهم و من لف لفهم من الاشخاص الموقرين والخطط وهذا هو النوع من المصنفات التاريخية - الجغرافية الذى حظى بالشيوع والانتشار فى مصر وحدها حصرا .

ولم يحظ فى مصر بتطور كبير نوع التاريخ العالمى الشامل المنتشر على اوسع نطاق فى الاقاليم الوسطى للخلافة . ويمكن الحكم بذلك استدلالا بالاحالات فى كتاب تاريخ الطبرى حيث تكاد تذكر الاشارة الى المؤرخين المصريين حصرا بالارتباط مع حوادث التاريخ القديم ذوات الصلة بمصر نفسها ولا يصادف فيه سوى اسمى ابن ابى مريم وعبد الله بن المبارك باعتبارهما راويتين يخبران عن احداث غير مرتبطة بمصر. ويجدر بهذا الصدد ذكر ان المؤرخين المصريين كانوا قليلى التعرض نسبيا الى تأثير الانتقال الى مصر لغرض السكنى من قبل ابن هشام الراوية الاساسى ومحرر كتاب ابن اسحق. ويبدو ان سبب ذلك ينبغى البحث عنه فى تلك النزعة السياسية التى اضفت صبغتها على خاصية علم الابحاث التاريخية برمته وهى عينها غزارة العصبية المحلية الفريدة كطراز نمطى من التعصب القومى للوطن اذا جاز استعمال مثل هذا المصطلح العصرى الحديث تطبيقا له فى وصف ظاهرة من زمان بعيد ينتمى الى فترة مبكرة من زمن العصور الوسطى.

وبغية استيضاح اصل هذه النزعة ينبغى القاء نظرة فاحصة على تاريخ مصر خلال القرون الاولى عقب فتحها . وقد كان فتح مصر قد بدأ بقوات ضئيلة جدا لا يتعدى تعدادها ثلاثة الاف وخمسمائة او اربعة الاف فرد (٣١). بيد انه كما تشير المصادر لدى تطويق حصن بابل بالحصار كانت القوات العربية تضم فى صفوفها خمسة عشر الف فرد (٣٢) وواصل تعداد العرب فى مصر نموه عقب فتحها ويظهر ان ذلك جرى

بسرعة كافية . وينطق على ذلك على اقل تقدير واقع انه ابان ولاية الامام على بن ابى طالب كان تعداد حزب خصومه المسمى "بالعثمانيين" - يبلغ عشرة الاف شخص (٣٣). واثناء حكم معاوية بن ابى سفيان ضم سجل الديوان اربعين الف رجل من العرب (٣٤).

وعدا المستوطنين المنتقلين للسكنى بامر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك اوائل القرن الثامن وهم ثلاثة الاف وطبق تخمينات مصادر اخرى خمسة الاف ونيف (٣٥) من الاسر القيسية انتقل الى البلاد لغرض السكنى ايضا عدد من البدو الرحل الذين كانوا يطوفون حول حدود الاراضى الزراعية . ومن المتعذر ضبط عدد العرب القادمين لسكنى مصر ولكن الواضح الجلى هو انهم كانوا بالقياس الى سكان مصر الاصليين ذوى عدد قليل جدا .

كان الفاتحون فى الاساس من قبائل الجنوب وكان اكثرها نفوذا قبائل توجب ومعافر وغطيف وخولان (٣٦) وكان بينهم على قلة فى العدد ممثلو القبائل الشمالية فهم وعدوان وسواهما .

وكان بالغ الطرافة توزيع القبائل على الاحياء السكنية فى الفسطاط. وفى حالة اجراء التحليل للمعلومات بهذا الصدد يتجلى ان القبائل الشمالية قطنت محوطة بالقبائل الجنوبية علما بان احياء القبائل الشمالية المختلفة كانت موزعة على احياء مختلفة من هذه المدينة . وفضلا عن ذلك فان القبائل الجنوبية ايضا كانت موزعة بشكل متفرق واحيانا كما يبدو كان لقبيلة واحدة حيان سكنيان فى ناحيتين او طرفين من المدينة بمجاورة قبائل مختلفة (٣٧).

وله مزيد من الدلالة توزيع المراعى التى كانت مقسمة بين القبائل. فان القبيلة الواحدة كانت تحصل على مراع فى مناطق شتى من البلاد (مثلا قبيلة توجب حصلت على المراعى

فى خمسة مواضع) فى حين قسمت المراعى فى منطقة واحدة بين بضع قبائل (مثلا فى منطقة كربيتة واتريبا وسواهما) علما بانها مقسومة بين قبائل جنوبية وشمالية (٣٨).

ودون التساؤل عما اذا كان مثل هذا التوزيع "المشتت" حصيلة عمل مقصود ام انه عفوى من الممكن الاقتصار على الاشارة الى العواقب المحددة والهامة جدا التى افضى اليها. ان الصراع القبلى الذى لعب دورا كبيرا للغاية فى تاريخ المحافظات الشرقية من دولة الخلافة والذى استغله بالاخص العباسيون فى اسقاط الامويين لم يكن له فى مصر من اثر اصلا. ولم يؤد اليه كذلك الانتقال الى البلاد لغرض الاقامة اوائل القرن الثانى الهجرى من قبل عدة الاف من القيسيين بطلب الحكام المنتمين الى القبائل العربية الشمالية ويبدو انهم كانوا يأملون فى الحصول من القيسيين على الدعم والمؤازرة ضد العرب الجنوبيين فى مصر الذين لم يكونوا على الحد الكافى من الطاعة والانصياع.

وكانت الحصيلة الاهم لتوزيع كهذا كما يعتقد هى ان ممثلى القبائل العربية المختلفة اذ يجدون انفسهم فى جمع قليل العدد وسط كثرة كاثرة من السكان المحليين (٣٩) لا يجدون مندوحة عن التجمع لا اراديا والتماسك. وهؤلاء المنعزلون عن الاقسام الاخرى من قبائلهم الباقية فى الجزيرة العربية او الذاهبة بعيدا الى الشرق ضمن قوات الفتح لم يكن بوسعهم فى الحالة الصعبة سوي الاعتماد على الدعم من جانب العرب ابناء القبائل الاخرى الموجودين بالقرب فحسب. وهكذا كان ينبغى ان ينشأ بين الفاتحين فى مصر بحكم الضرورة وعى الجميع بانهم عرب يمثلون شعبا واحدا وامة واحدة وليسوا مجرد ممثلين لقبائلهم وهو ما استمر طويلا بعد هذا فى المحافظات والاطراف الشرقية للخلافة حيث كثيرا

ما وضعت المصالح القبلية لعشيرة واحدة فوق المصالح القومية للشعب والامة عموما .

وجرى على نحو سريع نسبيا تعريب السكان الاقباط. ولعب دورا هاما فى ذلك تغلغل وتوغل العرب الى الامكنة الريفية (٤٠) ومعهم ايضا اللغة العربية .

ويبدو ان عملية اسكان العرب فى الارض ينبغى البدء بها من وقت مبكر جدا . ويكفى التنويه بان الخليفة عمر بن الخطاب لم يكن بحاجة الى التفكير فى منع المحاربين فى الجند العربى من امتلاك الاراضى (٤١) لو لم يبرهن هؤلاء المحاربون بالفعل على توقهم الى هذا .

ويمكن ذكر ان قبائل مدلج وجذام ولخم وغيرها قد استوطنوا الارض فى منطقة تلك المراعى التى كانت قد خصصت لهم قبلا من قبل عمرو بن العاص. والقيسيون الذين اسكنوا فى محافظة الشرقية قد استوطنوا هناك ايضا عقب مرور بعض الوقت.

واستوطن العرب فى وقت مبكر جدا ارض الجيزة . ويورد ابن عبد الحكم فى فصل صغير خاص معلومات عن القطائع . وبعد انتصار العباسيين حصل اتباعهم ومريدهم على قطع من الاراضى فى بولاق ومواضع اخرى (٤٢). وكما يظهر فان البدو ايضا الذين قدموا الى مصر وعاشوا كجوالين رحل عند حدود الاراضى الزراعية اخذوا ينتقلون شيئا فشيئا الى حياة الحضر . وعلى اية حال يمكن التأكيد وفق اوراق البردى المحفوظة على ان الكثيرين من العرب صاروا خلال النصف الثانى من القرن الثامن من سكان الريف الحضر مستوطنى الارض ومستثمريها علما بانه حكما من مبالغ ضريبة الارض (الخراج) فان هؤلاء لم يكونوا قطاعيين مالكى قطع كبيرة من الاراضى (مع ان امثال هؤلاء كانوا ايضا) وانما هم فلاحون اصحاب ملكيات صغيرة من

الاراضى (٤٣).

ومن حيث ضريبة الارض (الخراج) لم يتميزوا ولم يختلفوا بشيئ عن السكان الاقباط اذ كان يعتبر منذ عهد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ان ضريبة الخراج تستوفى عن الارض لا مالكيها وهكذا فان انتقال ملكية الارض الى يدى عربى او اعتناق مالكها دين الاسلام لا يعفى الارض من استيفاء الضريبة عنها ولاينقلها من حكم الخراج الى حكم العشر. ويبدو ان هذا هو تفسير اسهام العرب فى الانتفاضات العديدة التى اندلعت دوما فى مصر بسبب الدواعى الاقتصادية البحتة الى حد الانتفاضة الكبرى اواخر العشرينات - اوائل الثلاثينات من القرن التاسع والتى قدم الخليفة المأمون بنفسه الى مصر بغية قمعها. وعقب هذه الانتفاضة الغيت قوائم الاسماء فى سجل الديوان وتوقفت تماما العطايا الى العرب وبهذا تساوى بشكل كامل وضع العرب والاقباط الاقتصادى (٤٤).

وعلاوة على هذا جرى تعريب السكان القبط من ناحية اللغة. ورغم انه قد بقيت حتى وقت متاخر جدا مناطق سادتها اللهجة الصعيدية من اللغة القبطية (٤٥) اخذت اللغة العربية تتغلغل فى الوجه البحرى واجزاء من الوجه القبلى الى جماهير السكان الاصليين منذ وقت مبكر. وتكفى الاشارة الى انه قد حفظت منذ النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى لا الوثائق الرسمية (٤٦) فحسب وانما ايضا رسائل الاعمال والرسائل الشخصية الخصوصية المكتوبة باللغة العربية.

ويجدر كذلك بالذكر ان العرب اظهروا حيال القسم الاكبر من السكان المسيحيين فى مصر كامل التساهل والتسامح الدينى خلافا عن البيزنطيين - الملكيتيين الذين قمعوا بمنتهى الشدة "هرطقة اليعاقبة". ولهذا فان العرب وكل ما يرتبط بهم لم يثر فى نفوس السكان شعور البغضاء والعداء بل على العكس

نظر اليهم كمحررين من الملاحقات الدينية .

واستتبع قمع الخليفتين المأمون والمعتصم الانتفاضات القاس خصوصا تجاه الاقباط اعتناقهم الاسلام بالجملة مما ادى بدوره الى التعريب من حيث اللغة . وعلى اية حال له دلالة كافية ان بطريرك الاسكندرية يفتيخى (اواخر القرن التاسع - اوائل العاشر) وعقب مرور بعض الوقت الاسقف اوشمونا ينا سويروس (القرن العاشر) كانا يكتبان بحوثهما التاريخية باللغة العربية .

ولاريب فى انه يرتبط بتقارب كهذا بين العرب والاقباط ايضا التصور المتولد لدى العرب فى مصر عن انفسهم باعتبارهم مصريين لاسيما وانه كانت على هذا النحو بالذات وجهة نظر العلية الحاكمة فى مصر.

وعلى هذا فان السعى نحو الاستقلال السياسى عن الخلافة يشكل المحتوى الاساسى لتاريخ مصر السياسى خلال القرون الاولى من العهد الاسلامى.

ويبدو انها لاتنسجم ولاتأتلف مع الواقع الراهن مزاعم واقوال عدد من المؤرخين العرب بان عمرو بن العاص قد توجه لفتح مصر خلاف ارادة الخليفة عمر بن الخطاب. غير ان نفس ظهور حديث كهذا له دلالته . ومعروف من احاديث المؤرخين انه فى كلتا المرتين حين قدم عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب كان استقباله له على شىء من الجفاف والجفاء .
قسم الخليفة عمر مصر الى ولايتين وعين فى الوجه القبلى عبد الله بن سعيد بن ابى سرح اما الخليفة عثمان بن عفان فقد عزل عمرو بن العاص اصلا من منصبه كعامل على مصر. وله دلالته البالغة النبأ الذى اورده الكندى حول كلام عبد الله بن سعيد بن ابى سرح مع عبد الله بن عمرو بن العاص الذى عهد اليه ابوه بالنيابة عنه على الولاية وكالة حين توجه الى

الخليفة عثمان.

. لقد قال عبد الله بن سعيد بن ابى سرح الذى وصل الى الفسطاط بصفته حاكما لمصر حين حاول عبد الله بن عمرو بن العاص منعه من ان يؤم المصلين فى صلاة الجماعة بالمسجد الجامع وهو الامر الذى يؤهله له منصبه كحاكم: "كلاكما انت وابوك طامعان فى ادارة البلاد بانفسكما وحدكما" (٤٧).

ويعرف الجميع دور العرب المصريين فى الاحداث المرتبطة بمقتل الخليفة عثمان بن عفان. وبمبايعة على بن ابى طالب بالخلافة تكون فى مصر حزب قوى للغاية من خصومه هم "المطالبون بدم عثمان". وله دلالته ان قيس بن سعد الذى عينه على واليا على مصر يقيم صلة مع هؤلاء ويخوض ويقود النضال ضد على. وتؤيد مصر عبد الله بن الزبير الخارج على الخليفة وقد خلع وعزل عدد كبير من ولاة مصر بسبب السياسة المستقلة التى حاولوا انتهاجها. وعند نهاية حكم الامويين تطورت فى مصر على نطاق واسع للغاية الحركة المرتبطة بالدعوة الشيعية - العباسية. ولكن اندلعت منفجرة هناك ايضا فى عهد حكم الخليفة العباسى الثالث - المهدى انتفاضة كبرى بزعامة احد الامويين الذى اعلن نفسه خليفة. وكان الاستقلال السياسى الذى بلغه احمد بن طولون خلال النصف الثانى من القرن التاسع بمثابة الختام المنطقى لهذه المساعى والمقاصد.

ومن المفهوم تماما ان علم الابحاث التاريخية الذى عكس دوما النزعات السياسية المعاصرة فى زمانه كان ينبغى ان يتصادى فى مصر بشكل محدد مع هذا القرار للعلية الحاكمة بمصر. والمعتقد انه حين اعتبر روزين محللا كتاب ابن وصيف شاه عن تاريخ مصر القديم انه ثمرة نوع من العصبية القبطية (٤٨) لم يكن دقيقا ومصيبا كبد الحقيقة بالضبط فانها كما نخال العصبية المصرية الملازمة لا للاقباط وحدهم

وانما هى عامة وشاملة ايضا للعرب المصريين.

الهوامش

(١) انظر عن المؤلف:
C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Bd I, S. 148, N 1; Supplementband I S. 227; F. Sezgin, Geschichte der arabischen Schrifttums, Bd I, S. 355-356, N 4.

(٢) كان والده رأس طائفة المالكيين فى مصر. وقد ورث عنه هذا المنصب شقيق المؤلف عبد الرحمن بن عبد الحكم وهو محمد بن عبد الحكم الذى كان كذلك مؤلفا لبحث تاريخى ايضا.

(٣)
Ibn Abdolhakami libellus de historia Aegypti antiqua, ed. J. Karle, Gottingae, 1856; Ibn Abdalhakems History of the Conquest of Spain, ed. and transl. by John Harris Jones, Gottingen and London, 1858; Histoire de la conquete de l'Egypte, du Maghreb et de l'Espagne, ed. par. H. Masse Le Caire, 1914; The History of the Conquest of Egypt, North Africa and Spain Known as the Futuh Misr of Ibn 'Abd al-Hakam, ed. from the Mss in London, Paris and Leyden by Ch.C. Torrey, New Haven, 1922 (Yale Oriental Research Series, III); La Fuente y Alcantara, Ajbar Machmua, Madrid, 1867, App. II, 6, p. 208/19; Traditions anciennes relatives a l'etablissement des Musulmans en Afrique septentrionale; فى كتاب: Histoire des Berbers, par Ibn Khaldoun, trad. par le B. de Slane, Alger, t. I, App. 1852; La conquete de l'Afrique du Nord et de l'Espagne, trad. par A. Gateau, Tunis, 1931.

(٤) انظر:
Ch.C. Torrey, The Egyptian Prototype of "King John and the Abbot", - JAOS, Vol. XX, 1899, pp. 209-216.

(٥) جرت الترجمة وفق طبعة:
History of the Conquest of Egypt North Africa and Spain Known as the Futuh Misr of Ibn

'Abd al-Hakam ed. by CH.C. Torrey. New Haven, 1922, pp. 26-30 (Yale Oriental Research Series, Vol. III).
ولاحقا "ابن عبد الحكم" وضبطت
الاسماء وفق حركات الاشكال فى هذه الطبعة .

(٦) هذه هى التسمية التى تطلق فى اللغة العربية على مدينة ممفيس.

(٧) كما يشير تورى فان هذا يتيح لبعض المؤرخين مقارنة بوله مع فرعون نيها . انظر:
Torrey, The Egyptian Prototype, p. 210.

(٨) يذكر هذا الملك عند العرب عادة باسم رحبعام.

(٩) استعملت فى النص العربى الكلمة اليونانية κερε,πεεκ, منقولة لفظيا بالاحرف العربية .

(١٠) تورى فى كتابه "ابن عبد الحكم" . ص ٣٠، ملاحظة الهامش رقم ١١ يورد هذه العبارة باللغة القبطية اما فى العربية فتعطى منقولة لفظيا بالاحرف العربية من اللغة القبطية .

(١١) Ibn Wadhih qui dicitur al-Ja'qubi, Historiae Ed. M.Th. Houtsma, pars 1, Lugduni Batavorum, 1883, S. 210-214.

(١٢) نظرا لكون كتاب ابن عبد الحكم فرغ من تأليفه قبل فترة قدوم اليعقوبى الى مصر فان معلومات اليعقوبى قد تكون مقتبسة ومنقولة منه مباشرة .

(١٣) Al-Macoudi, Les prairies d'or, texte et traduction par C. Barbier de Meynard, t. II, Paris, 1863, pp. 299-411;
على الصفحات ٤٠٢ ـ ٤١٠ اوردت احاديث عن المعابد والاهرامات والكتابات وسحر المصريين فى الزمان القديم.

(١٤) قد يكون المسعودى الذى حل ايضا فى مصر افاد من نفس المصادر التى افاد منها اليعقوبى.

(١٥) هو فقيه معروف، وقد شغل منصب قاضى مصر . جمع

كذلك الروايات التاريخية المأثورة وكتبه كما تبين معاجم الكتب الفهرسية للقرون الوسطى اصابها حريق ذهب بها .

(١٦) هو الفقيه الشهير الذى يوضع فى مصاف واحد مع مالك بن انس ويذكر فى "فهرست" ابن النديم ضمن مصنفاته كتاب "تأريخ".

(١٧) يغفل ابن عبد الحكم احيانا ذكر الإسناد فى مواضع اخرى ايضا من كتابه. غير انه فى الحديث عن الامور القديمة المصرية لعله يكثر من هذا الاغفال.

(١٨)

E. Blochet, Etudes sur le gnosticisme musulman, - "Rivista degli studi orientali", t. II, 1908-1909; t. III, 1910; t. IV, 1911-1912; t. VI, 1914-1915.

(١٩)

L'abrege des merveilles, trad. de l'arabe d'apres les manuscrits de la Bibliotheque Nationale par B. Carra de Vaux, Paris, 1898 (Actes de la Societe Philologique, t. XXVI, Annee 1897), pp. XXXIII-XXXIV.

يعطى بعض التاكيد على ان اصل الاحاديث يعود الى اوساط السكان المصريين استعمال ابن عبد الحكم فى حديث مترجم عن خلع الملك بوله كلمات وعبارات اغريقية وقبطية منقولة لفظيا بالحروف العربية. ولهذا كما يظن لا يجوز الموافقة على قول جب (علم الابحاث التأريخية الاسلامية فى كتاب جب "الادب العربى"، موسكو، ١٩٦٠، ص ١٣١). بان القسم التمهيدى فى كتاب ابن عبد الحكم يقوم لا على مواد مصرية اصيلة وانما غالبا على مصادر عبرية ومأثورات عربية منقولة بروح مدرسة المدينة المنورة. ويقوم قسم كبير من هذا الفصل لبحث ابن عبد الحكم على اساس من اساطير السكان المصريين الاصليين وهى بالطبع ليست بالمادة الدقيقة بيد انها تنتمى الى مصادر اخرى تماما مغايرة عما اشار اليه جب.

(٢٠) Brockelmann, GAL, SBd I, S. 230, N 4a; Sezgin, I, S. 358, N 11. 'Umar b. Muhammad al-Kindi, Beskrievelse af Agypten, udviget og oversatt af J. Oestrup. Oversigt over det Konglege Danske Vindenskabern Selkabs Forhandlinger, Copenhagen, 1896, N 4.

(٢١) Carra de Vaux, L'abrege..., p. XXXIV; R. Gottheil, Al-Hasan ibn Ibrahim ibn Zulak,-JAOS, t. 28, 1907, S. 259.
ا.ى. كراتشكوفسكى. المؤلفات المختارة، المجلد ٤، ص ١٨٢.

(٢٢) Brockelmann, GAL, I, S. 149, N 6; SBd I, S. 230; Sezgin, I, S. 259-360.
يرى غوتهايل ان ابن زلاق كتب بادى ذى بدء عن هذا فصلا فى كتابه عن الخطط ثم لخصه فيما بعد وافرده فى مصنف مستقل برأسه انظر: R. Gottheil, - JOAS, t. 28, S. 258.

(٢٣) Brockelmann, GAL, I, S. 335-336, N 5; SBd I, S. 574-575.

(٢٤) Kramers, Djighrafiya, EI, EB, S. 71;
ا.ى. كراتشكوفسكى. المؤلفات المختارة، المجلد ٤، ص ٣٧٩.

(٢٥) Brockelmann, GAL I, S. 343, N 3, Sezgin, I, S. 358, N 11.

(٢٦) Kramers, Djughrafiya, EI, EB, S. 71;
ا. كراتشكوفسكى. مؤلفات مختارة، المجلد ٤، ص ٣٨٠.

(٢٧) Brockelmann, GAL, II, S. 39-41, N 7; SBd, II, S. 36-37.

(٢٨) ابن عبد الحكم، ص ٣٧ — ٣٨. جدير بالذكر ان جميع هذه الاحاديث الاربعة التى اوردها ابن عبد الحكم لا تأتلف لا مع معطيات "رواية عن الاسكندر" كالسفن — الدعى (انظر: C.Muller, Pseudo-Callisthenes) ولا نسختها القبطية (انظر: O. von Lemm, Der Alexanderroman bei den Koten. Ein Beitrag zur Geschichte der Alexandersage im Orient, SBd,

• بطرسبورغ، ١٩٠٢.

(٢٩) At-Tabari, Annales, ed. M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, ser. I, t. II, 1881-1882, S. 696 697, 700-701.

(٣٠) ابو حنيفة الدينورى، الاخبار الطوال، القاهـــرة، ١٩٦٠، ص ٢٩ – ٣٠.

(٣١) ابن عبد الحكم، ص ٥٦.

(٣٢) ابن عبد الحكم، ص ٦١.

(٣٣) محمد بن يوسف الكندى، ولاة مصر، بيـــــروت، ١٩٥٩، (فيما بعد: الكندى)، ص ٤٤.

(٣٤) ابن عبد الحكم. انظر: ص ١٠٢. زيد سجل الديـــوان فى عهد الوالى عبد العزيز بن مروان ثم مرة اخرى فى عهـــد قرة بن شريك وفى عهد بشر بن صفوان. انظر:

C.H. Becker, Beitrage zur Geschichte Agyptens, H. 2, Strassburg, 1903, S. 124-125.

(٣٥) حلل هذه المعلومات بيكر. انظر:

Becker, Beitrage, 2, S. 126-127.

(٣٦) كلف عمرو بن العاص ممثلى هذه القبائل الاربعـــــة بالذات بالتخطيط لتوزيع القبائل على الاحياء السكنية فـــــى مدينة الفسطاط. انظر: Becker, Beitrage, 2, S. 124

(٣٧) ابن عبد الحكم – الصفحات ٩١ – ١٢٨ تحمل علـــى الذهاب الى هذا الظن بالذات. انظر: R. Guest, The Foundation of Fustat and the Khittahs of the Town, JRAS, 1907, الصفحات ٤٩ – ٨٣ (قائم علـــى مواد المقريزى المنسوبة الى القضاعى).

(٣٨) ابن عبد الحكم. ص ١٤١، ١٤٢.

(٣٩) كثيرا ما يقدر تعداد سكان مصر عند فتح العــرب لها برقم ٥ او ٦ ملايين نسمة من الرجال البالغيـــــــن اى ما لا يقل عن عشرين مليون نسمة كمجموع للسكان ويعتـــبـــر

بيكر (Becker, Beitrage, 2, S. 116) هذا العدد مبالغا فيه وهو ما لا يجوز عدم الاتفاق معه عليه. وينطلق هذا الحسبان من كون الجزية التى كان ينبغى ان يجمعها عمرو بن العاص بلغت ١٢ مليون دينار على اساس حساب دينارين من كل رجل بالغ ومن هنا ياتى الرقم المذكور. ويعتقد بان الخطأ فى الحساب جاء من ان الاثنى عشر مليون دينار كانت المجموع العام للضريبة عن الافراد بالنقود والعينات (وقيمة هذا الجزء منها قدر كذلك بالنقود) والضريبة عن الارض. ولدى ذلك ينبغى ان يؤخذ بالاعتبار ان قسم المسيحيين من السكان والارثوذكس ـ الملكيتيين دفعوا عن النفس الواحدة لا دينارين وانما اربعة دنانير.

(٤٠) انظر: C.H. Becker, Beitrage, 2, S. 115-135; C.H. Becker, Islamstudien, Bd I, Leipzig, 1924, S. 151-153.

(٤١) انظر مثلا: ابن عبد الحكم، ص ١٦٢.

(٤٢) F. Wustenfeld, Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen, Gottingen, 1875, Abt. 2, S. 2.

(٤٣) على اية حال جرت خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى قلاقل قام بها العرب من القبائل الجنوبية والشمالية احتجاجا على ضريبة الارض المرتفعة. انظر: Becker, Beitrage, 2, S. 132.

(٤٤) يظهر ان الغاء قوائم الاسماء المدونة فى سجل الديوان جرى بسبب تدفق العرب فى ذلك الوقت من المدن على الامكنة الريفية الزراعية. انظر: A.N. Poliak, L'arabisation de l'Orient semitique, - REI, t. XII, 1938, p. 49.

(٤٥) انظر: A.N. Poliak, L'arabisation, p. 57.

(٤٦) رغم ان الاحصاء كان قد اجرى بامر الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان باللغة العربية منذ العام

٨٨ للهجرة فانه ظل فى غضون بضعة عقود من السنين يجرى الى جانب اللغة العربية باللغة الاغريقية .

(٤٧) الكندى ، ص ٣٥.

(٤٨) V. Rosen, Notices sommaires des manuscripts arabes du Musee Asiatique, I, St. Pbg., 1881, p. 167-173, N 220.

فرح انطون وروايته الاخلاقية

"الوحش ، الوحش ، الوحش"

آنا دولينينا

دكتورة فى علوم اللغة وآدابها

ترتبط الرواية والقصة القصيرة وهما من الفنون الادبية التى ظهرت فى الادب العربى فى تخوم القرنين التاسع العشر والعشرين ارتباطا وثيقا بتطور الفكر التنويرى العربى.ويمكن ان نلاحظ فيهما ، كما هى الحال فى الحركة التنويرية ، خطين هما : من جانب الانجذاب الى افكار "التحديث" الاسلامى وبعث التقاليد الادبية التراثية . (المويلحى وحافظ ابراهيم وغيرهما)، ومن جانبِ اخر ـ التوجه نحو افكار التنوير الاوربية واستيعاب الاساليب الادبية الاوربية (جرجى زيدان وفرح انطون ويعقوب صروف وغيرهم) .

ولربما تجلى تأثير "الفكر الاوربى" باسطع شكل فى ادب فرح انطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢)، الكاتب والروائى والاديب الذى يمثل حسب اقوال اغناتى كراتشكوفسكى "طراز الفيلسوف العربى الحديث ، او بالاحرى libre penseur, ، معالاهتمام الغالب بقضايا دينية ـ فلسفية اكثر منها اجتماعية ـ اقتصادية" (١) .

وقد اشار كراتشكوفسكى ايامذاك ، فى عام ١٩١١، الى ان افكار فرح انطون قد تشكلت تحت تأثير رينان

وبرناردين دى سان بيير وشاتوبريان وجول سيمون وتولستوى. كما اكد على ان فلسفة الكاتب "ذات طابع متشكك وسطحى جدا" (٢). وفيما بعد، وبعد مراجعة ادبه اضاف الباحثون الى كشف الاعلام الذين اثروا فيه اسم روسو (٣). كما ويذكر الناقد العربى بطرس البستانى فى مقدمته للمؤلفات المختارة لفرح انطون اسماء فولتير وكونط وداروين ونيتشه وماركس، وعلاوة على ذلك اسماء مشاهير فلاسفة الشرق: بن رشد وبن طفيل والغزالى وعمر الخيام (٤). ويؤكد كل من يكتب عن فرح انطون الطابع الاصطفائى لافكاره.

لقد تجسدت التأثيرات الفكرية المتنوعة والمتناقضة بهذا القدر او ذاك، بلاريب، ليس فى مؤلفات فرح انطون الاجتماعية والفلسفية فقط بل وفى اعماله الروائية ايضا. لكن ينبغى القول ان الاستعراب السوفيتى يعرف من رواياته بصورة اساسية الرواية التأريخية "اورشليم الجديدة" (١٩٠٤) (٥). ويشير ا. كراتشكوفسكى بصورة عابرة فحسب الى وجود "بعض محاولات كتابة الرواية الاخلاقية او النفسية (سعيد البستانى، يعقوب صروف، فرح انطون وغيرهم) على تخوم القرنين" (٦). ويكرس ف. بوريسوف نصف صفحة الى رواية "الدين والعلم والمال او: المدن الثلاث" (١٩٠٣) نقلا عن مجلة "الثقافة الوطنية" (١٩٥٥، العدد ١١) (٧).

بيد ان المؤلفات ذات الطابع الاخلاقى او كما يعرفها المؤلف نفسه بالروايات الاجتماعية الفلسفية التى تذكر فيها الى جانب "المدن الثلاث" السالفة الذكر "الوحش، الوحش، الوحش" (١٩٠٣)، تلعب فى ادب فرح انطون دورا لا يقل اهمية عن ذلك، ناهيك عن كون "اورشليم الجديدة" تتصف ايضا بالكثير من سمات الرواية الفلسفية.

وقد اولى فرح انطون نفسه الاهمية الاولية فى حياة

مجتمعه الى الرواية الاجتماعية الفلسفية .ففى مقالة "الروايات وأنفعها لنا" (٨) يهاجم بما يتميز به من ذلاقة لسان وحب المفارقة الروايات التأريخية التى "تعتبر كالسم الزعاف بالنسبة للتأريخ"، حيث انها تشوهه وتضفى عليه مسحة مثالية وتخلط الحقائق بالخيالات ولا تنفع سوى للتسلية . وعموما لا يوجد فى التأريخ عموما من شئ صادق سوى الاساطير، كما ان نفعه قليل. انه بلاريب يذكر العرب "بالعظمة المنهارة والمجد الغابر"، غير ان ذلك ليس الشئ الاساسى البتة بالنسبة الى شعب يحتاج الى النهضة . والسبيل الرئيسى المؤدى الى النهضة هو "صياغة الشخصيات الراقية"، التى يحدد عددها مستوى تقدم المجتمع. ان "الشخصية الراقية" وهى "نتيجة تربية الروح والعقل وثمرة ادراك المبادئ النبيلة الكامنة فى الانسان وتأثير البيئة" . وبهذه الطريقة فقط يمكن بلوغ تحسين المجتمع. وهكذا فان الشئ الاساسى فى الروايات هى "الافكار والمبادئ الاجتماعية"، اما "المنفعة الحقة منها فتكمن فى تلك "الجرأة والقوة الاخلاقية التى تدفع القارئ الى التحلى عن ضعفه وضلاله" .

من هنا يستخلص بان المهمة الاساسية تلقى على الرواية الاجتماعية الفلسفية بالذات : "ان مجتمعنا بحاجة الى اصلاح، وخير سبيل لذلك هو تعرية العيوب مثل الكذب والخداع والنفاق والعاب الميسر والسكر والتلاعب بالبورصة وما شاكل ذلك" .

اذن يتمسك فرح انطون شأنه شأن المتنورين العرب جميعا من معاصريه بوجهات النظر المثالية حول دور التنوير، معتبرا ان اصلاح المجتمع يتم عبر ترقية الشخصية الانسانية . ومن هنا ينبع اهتمامه الخاص بالدور التربوى للادب ، وبالاخص وظيفته الاساسية التى تتمثل، حسب رأى فرح انطون، بفضح

العيوب وتعليم الناس، بينما يضع القيمة الفنية فى المرتبة الثانية .

ذلكم هو الاساس النظرى لدى فرح انطون. فهو يقول فى مقدمته انه اختار شكل الرواية لانه "اجمع واوعى، فضلا عن كونه اشد تأثير واحسن وقعا .. وسيكون اهتمامنا فيها بالمبادئ والافكار مقدما على الاهتمام بالحوادث والاخبار". ويعتبر انه كتب فى واقع الامر بحثا فلسفيا اجتماعيا وقد يسمى بـ "رواية" على سبيل التساهل (٩) .

ويمكن ان يشمل هذا الوصف بحق الى روايته الثانية "الوحش ، الوحش ، الوحش او: سياحة فى ارز لبنان"، التى نشرت فى عام ١٩٠٣ ذاته .

ان اسلوب رواية الاسفار الذى اختاره فرح انطون غالباما كان يستخدم فى الادب التنويرى العربى فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويكفى التذكير برحلات الطهطاوى وعلى مبارك والشدياق. وقد كتبت بشكل اسفار رواية "المدن الثلاث" لفرح انطون نفسه ، والرواية الشهيرة "قصة عيس بن هشامى" للمويلحى (١٠) التى صدرت بعد ثلاث سنوات.

بيد ان فرح انطون على نقيض اسلافه كان يبدى اقل اهتمام بوصف مشاهداته والحقائق الواقعية وصور الحياة، اى الجانب الادراكى وفى الوقت ذاته الجانب الارشادى. كما انه لا يسعى الى الكشف الساخر عن عيوب المجتمع كما فعل هذا ابن عصره المويلحى. وكانت حاجته للاسفار فقط لكونها شكلا مريحا للاسترسال فى التأملات وما يدور بين بطليه من خصام، علما ان مواضيع احاديثهما تكون احيانا لا علاقة لها بمشاهداتهما فى الطريق.

وتبدأ الرواية من توجه الشابين كليم وسليم، اللذين

اكتريا عربة صغيرة وبغلين، منذ الفجر فى سياحة فى ارز لبنان. انهما يصغيان الى غناء المكار، ويتحدثان عن شتى الامور - عن حياة الروح والجسد، وعن العلاقات فى المجتمع البشرى وعالم الحيوان وعن منافع واضرار الرهبانية، وعن جمال لبنان الذى لا يقل عن جمال سويسرا، وعن فائدة الحياة فى احضان الطبيعة، وعن السل كشر اجتماعى واسبابه وهلمجرا. وتبرز مواضيع التأملات وتتعاقب بعضها تلو البعض بدون وجود رابطة منطقية بينها فى غالب الاحيان، غير ان كل واحد منها يعالج باسهاب وبالتتابع، كما يفعل فرح انطون هذا عادة فى مقالاته الصحفية.

ثمة شخصان يتحدثان - يبدو وكأنهما يحملان نظرتين متباينتين الى الحياة: الرومانسى - المثالى (سليم) والساخر - والمتبصر (كليم)، بيد ان تصوراتهما عن الخير والشر، والنفع للمجتمع، والعلاقات بين الناس، تتطابق، عاكسة افكار وتناقضات المؤلف نفسه. فعندما يتحدث سليم عن الرهبان والاديرة، يركز على التأثير الخير الذى يتركه، من وجهة نظره، على المجتمع البشرى (احتقار خيرات الدنيا، المساواة والاخوة، والنظام والطمأنينة والسعى الى الخير العميم، ودعم العلم والادب)، معترفا عندئذ، حقا، بانه يرسم صورة مثالية. اما كليم فيرى الجانب الواقعى: فالرهبان كسالى "يعلقون على جسم الهيئة الاجتماعية ليمصوا دماءها وهم قاعدون بلا عمل بحجة انهم يخلصون انفسهم ويصلون لغيرهم". ولا يحاول فرح انطون البتة تفسير هذه التناقضات بين المثالى والواقعى، كما لا يحاول التوفيق بينها، بل يوردها فحسب.

وبعد الاستعراض الطويل يبدأ بتكوين عقدة، شرطية جدا، يرتبط بها سليم وكليم ارتباطا غير مباشر: انهما يتابعان الاحداث ويعلقان عليهما ويعطيان تقييمهما لها، لكن دون

التدخل فى سيرها .

وتجرى الاحداث بالصورة التالية : يتعرف الصديقان فى الطريق على يعقوب درمان ويسمعان قصته . فمنذ عدة سنوات انقذ من الغرق فتاة رامت الانتحار لان والدها خسر جميع امواله وانحطت كرامته بين قومه . ومنذ ذلك الحين احبها يعقوب درمان حبا شديدا ، الا ان الفتاة لم ترغب فى الزواج منه خشية الاملاق، وسافرت سرا الى جهة مجهولة . وكان اختفاء الفتاة السبب فى جنون يعقوب. وعمد الصديقان الى تهدئة التعيس ومرة اخرى كلّ باسلوبه : فسليم يؤكد ليعقوب ان محبوبته اميليا ستعود حتما ، ان عاجلا او آخلا، اما كليم فيروى قصة الزوجات الشريرات ، مواسيا المجنون بانه على الاقل فى منجى من المصير البائس للزوج الخائب.

ثم عرج كليم وسليم فى طريقهما الى الارز على قرية صغيرة لزيارة صديقهما امين المصاب بعلة شديدة — انه ضحية اخرى للظلم والخداع، حيث شهر به رجل شرير ودساس اسمه لوقا ، وسلبه خطيبته وجلب النكبات النوازل. ويأتى الى هناك ايضا المستر كلدن المليونير الامريكى وعائلته . وفى البداية يستقبله الفلاحون بعداء : فالبعض منهم قرر انه مبشر بروتستنتى، والبعض الاخر ادعى ان احد افراد عائلته مصاب بالسلّ. ومن ثم تسوى المسألة على خير ما يرام، ويتبين من الحديث العابر ان زوجة كلدن لبنانية ، وقد اشتد بها الحنين الى الوطن واشتاقت الى الجبال.

وفى اليوم التالى توجه سليم وكليم للتوجه نحو الحرش للتنزه فالتقيا مجنونا آخر، مصاب بجنون غريب هو التعطش الى قتل الشر سواء كان يكمن فى حيوان ام انسان، اذ فى الانسان شيئان: الوحش والانسان ولابد ان يغلب احدهما الاخر.

ومن ثم يجتمع كافة ابطال الرواية عند ارز لبنان. ويأتى الى هناك حشد كبير من الناس لان الامريكى صنع "نهاره" - اى اعلن يوم الاحسان وتقديم الهبات الى الناس. وتظهر شخصية اخرى هى التاجر الثرى لوقا طمعون الذى يريد الاتفاق مع كلدن بصدد بعض الصفقات التجارية. فينقضّ عليه كلا المجنونين ويتخلص منهما بعد لأىّ (بمساعدة كليم وسليم). ثم يقع له صدام دراماتيكى مع زوجة كلدن، وفى النتيجة يتضح ان زوجة كلدن هى اميليا ذاتها، التى رفضت حب يعقوبه والرجل المخبول هو متى حاروم ابوها التعيس الذى اصابه الخراب، ولوقا طمعون هو الشرير الذى سلبه ماله وألحق الاذى بأمين.

وهنا يتعرف متى على ابنته، وتجعله الغبطة يشفى من جنونه. ويعفو عن لوقا، اذ يزول مع جنونه سعيد الى قتل الشر: "ان الوحش الذى فى الانسان لا تذلله المقاومة والعناد بل الحلم والصفح. ولذلك يكون الاقل حيوانية والاكبر عقلا اكثر صفحا وحلما" (١١). كما عفت اميليا عن لوقا، واتفق معه كلدن بصدد الاعمال، ووزع المال على الفقراء. وحاول يعقوب اعلان حقوقه تجاه اميليا، ولكن لم يفلح: ففى البداية طرده كلدن بفظاظة، ومن ثم، وحين علم من اميليا قصته شعر بالاسف الشديد عليه وصار يهدئ خاطره بصورة ما. وفيما بعد اودع يعقوب فى احد الاديرة.

حين توشك العقدة ان تحل يسأل كلدن سكرتيره ماذا علمته هذه الحادثة فيتلقى ردا ذا مغزى جدا: "تعلمت وجوب الرحمة للضعفاء الذين يسقطون فى جهاد الحياة. والا لم يكن هنالك فرق بين البشر وبين الحيوانات" (١٢).

وكما هو واضح يكمن فى ذلك المغزى الرئيسى للرواية، لان الاقوال عن الرحمة بالضعفاء ترد على لسان الفلاح الذى دعا

ابناء قريته الى عدم طرد الامريكان من القرية (١٣) وعلى لسان متى حروم المجنون الذى يعتبر الصفة الاساسية لدى الانسان (بعكس الوحش) هى الرحمة تجاه نفسه وتجاه البشر (١٤). والاستنتاج ذاته ينبع من خاتمة الموضوع. ويكمن فى هذا ضمنا مغزى التحول النفسى لمتى حروم، وبرأه من الجنون، كما يؤكد ذلك كليم وسليم فى حديثهما (١٥).

ان الفكرة الاساسية هذه فى الكتاب ترتبط بلاريب بتصورات روسو حول الرحمة بصفتها شعورا طبيعيا يتميز به الانسان (١٦)، ودعواته الى الانسانية، التى يفعم بها الكثير من مؤلفاته. اما الصفة الحاقدة الوحشية لدى الانسان، التى تعتبر حسب قول روسو نتيجة مباشرة للظلم والاجحاف (١٧)، فان فرح انطون لا يعطى اى تفسير لها. ان ابطاله يؤكدون فحسب على ان العالم تسوده القسوة والكذب والنفاق والعداوة (١٨).

ان طريق النضال ضد الشر الذى يقترحه فرح انطون اى العفو والوداعة (فلا ترد المقاومة بالقوى سوى فى رأس المجنون) يعكس بصورة جلية الفكرة المسيحية مأخوذة، ربما، بتفسير تولستوى، او ربما مستوحاة من "ديانة قس سافوى" (١٩).

ويتأتى عن هذه التعاليم منطقيا امر آخر هو ضرورة الصبر والصمود والثبات فى تحمل ارزاء الحياة، الذى يرد به سليم على امين الذى اشتكى من الظلم المستشرى فى العالم بقوله: "العدالة ياصاح موجودة ولكن المهم الجد والانتظار والثبات. وكلا ظلامة مهما كانت عظيمة تكشف عن صاحبها اذا تسلح بهذه الفضائل. فان الله اعدل من ان يخذل الحق. وهو لنصرته لا يطلب من البشر غير الصبر والجد والانتظار" (٢٠).

ودعمت هذه العظة بامثلة سلبية كمصير امين الشديد

المرض الذى لا يرغب فى تحمل الظلم صامتا، الا انه عاجز عن تغيير شئ، ومصير يعقوب الذى لا يتمتع ايضا بالخصال اللازمة، لان "عقله رحل عند اول صعوبة" (٢١) (حقا لو كان سليم العقل فمع هذا من المشكوك ان يتوقع السلوان: "فربما كنت نلت الان اسمى منزلة عند اميليا بعد منزلة زوجها" (٢٢) ـ وفقط).

يستنتج فرح انطون من هذا (مرة أخرى على لسان ابطاله ـ الوعاظ) ان السعادة فى كافة الاحوال لا يمكن ان يحصل عليها سوى الاقوياء والمستقيمين روحا لان "راحة الانسان وسعادته فى داخله اى فى نفسه" (٢٣)؛ اى تظهر مرة اخرى فكرة مرتبطة، كما يبدو، بمواعظ تولستوى.

ان هذه القواعد الاخلاقية واداب السلوك المستوحاة من اراء تولستوى وروسو تشكل المفهوم الفكرى الاساسى للرواية. بيد ان ابطال الرواية يوردون ايضا الكثير من الافكار الاخرى التى تدل ايضا على تأثير روسو.

فمثلا ان سليم فى حديثه مع كليم يقابل انسجام العامل بطبيعة الظلم السائدة فى المجتمع البشرى، ويدعو الى الدفاع عن الحرية والمساواة والاخوة بين الناس، رابطا هذه الافكار بالثورة الفرنسية. ان المكارى الذى هو أقرب الى "الوضع الطبيعى" قادر اكثر على كيل الثناء للطبيعة من الشابين القادمين من المدينة: فهو يمتع بصره بشروق الشمس وينشد الاغانى، بينما هما يتثاءبان لايقاظهما مبكرا.

لكن يتولد انطباع بان الكاتب يسخر احيانا من هذه المثل العليا او، بالاحرى، من امكانية تجسيدها فى الحياة. ويتم تحسس ذلك فى الجدال بين البطلين ايضا (ومن ذلك، وكما اسلفنا، فى الحديث عن الرهبان والاديرة)، وفى شخصية كلدن المتناقضة. فهو انسان نبيل، يوزع اموالا كبيرة على

الفقراء ويزمع بعد حادثة ارز لبنان زيادة هذه الهبات اكثر. بينما يعلن لوقا طمعون، لدى دفاعه عن نفسه من الاتهامات الصادقة، ان التجارة كلها عموما تقوم على الحاق احدهم الخراب والضرر بالاخر، كما ان كلدن نفسه بنى رفاهيته على تعاسة الاخرين (٢٤). ولا ينفى، بالمناسبة، هذا القول اى أحد.

وبالطبع ان هذه الفكرة ترد على لسان بطل سلبى، بيد ان بوسعها دفع القارئ الى التأمل. وقد ظهر ان فرح انطون كان اول كاتب عربى انتقد الاسلوب الرأسمالى لجنى الارباح بحد ذاتها (٢٥).

ويمكن اخذ الحادثة التالية كنموذج لسخرية فرح انطون. فان سليم يورد فى احاديث الطريق فكرة المساواة والاخوة. بينما يعارضه المكارى بقوله ان جميع الاخوة هذه تتمثل فى القول فقط. لكن سليم لم يستسلم، وعندما وصل الرفاق الثلاثة الى نبع ماء امر سليم المكارى فورا ان يناوله الماء، فاجابه المكارى بهدوء: ما دمنا متساوين، اذن ترجّل واشرب بنفسك. فضحك كليم على رفيقه، غير ان سليم المرتبك يؤكد مع هذا انه يفضل مثل هذه الحرية على العبودية. وردا على هذا طلب المكارى من السيدين حراسة البغلين اثناء نومه.

بهذا عمد فرح انطون الى السخرية قليلا من احلامه الجميلة نفسه.

اظن ان لا ضرورة لدراسة هذه الرواية وفق قوانين تحليل الاعمال الفنية. وسيكون من الاصوب الاتفاق مع المؤلف: اذ لا يمكن تسمية روايته بالرواية الا مع التساهل. فان موضوعها يعتمد كليا على الصدف، ويبدو مصطنعا وممطوطا، وبناء الرواية ضعيف، والابطال رسموا ببساطة مكشوفة.

وفرح انطون لا يسعى الى تصوير البشر الاحياء: وهو لا يحتاج الى الصراع فى الفكرة سوى لصورة مسلية وذات عبرة لافكاره نفسها، التى لدى تجاوب قسم منها مع افكار الكتاب المتنورين العرب تنحى منحى دينيا - اخلاقيا اكثر.

ان الجانب الوعظى او الوعظى - الادراكى يضطلع بدور هام جدا فى الرواية التأريخية لفترة النصف الثانى من القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين (سليم البستانى وجميل المدور وجرجى زيدان)، وفى الروايات - المقامات (المويلحى، وبالاخص - حافظ ابراهيم)، ربما لا تبرز بمثل هذه الحدة الى المقدمة، كما يلاحظ ذلك عند فرح انطون. وليس هذا يثير العجب: ان تقاليد الادب التهديبى غنية جدا لدى العرب، ويبدو ان العادات والحاجة اليها، والتى نشأت على مدى القرون، هى متينة جدا.

ومن وجهة النظر هذه يمكن وصف الرواية التنويرية العربية بـ "ادب القرن العشرين".

الهوامش

(١) كراتشكوفسكى. المختارات، م ٣، موسكو - لينينغراد، ١٩٥٦، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣)

C. Brockelmann. Geschichte der arabischen Litteratur. Dritter Supplementband. Leiden, 1941, S. 192; H.A.R. Gibb. Studies in Contemporary Arabic Literature. Bull. of School of Oriental Studies, V, 1929, p. 316.

(٤) فرح انطون. حياته وادبه مقطعات من اثاره. بيروت، ١٩٥١، ص ٧.

(٥) ا. كراتشكوفسكى. المختارات، ص ٤٢، ٥٦، ١١٦،

أ. كريمسكى. الادب العربى - المعجم الموسوعى للمعهد

البيبليوغرافى الروسى هرانات، المجلد الاول الاضافى، موسكو، ص ٥٢٥؛ وف. سولوفيوف وى. فيلشتينسكى ود. يوسوبوف، الادب العربى. موسكو، ١٩٦٤، ص ١٣٤ - كما ان ك. بروكلمان يعير الاهتمام الاولى الى هذا الكتاب ، ولا يكاد يشير الى الباقية (C. Brockelmann, op. cit., 193 f.)

(٦) أ. كراتشكوفسكى. المؤلف المذكور، ص ٧٤.

(٧) ف. بوريسوف. النثر المصرى الحديث . موسكو، ١٩٦١ . ص ١٣ - ١٤.

(٨) فرح انطون. المؤلف المذكور، ص ٤٤.

(٩) من كتاب "عبد المحسن طه بدر. تطور الرواية العربية الحديثة . القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨٥.

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٦٨.

(١١) فرح انطون، المؤلف المذكور، ص ١٤٥.

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦.

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٩.

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٣.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٠.

(١٦) انظر مثلا جان جاك روسو. تأملات حول نشأة الاخلاق - رسالة . موسكو، ١٩٦٩، ص ٦٦.

(١٧) جان جاك روسو. المؤلف المذكور، ص ٨٢.

(١٨) فرح انطون. المؤلف المذكور، ص ١٤٣. انظر ايضا : روسو. المؤلف المذكور، ص ٤٣، ٤٦.

(١٩) جان جاك روسو. ديانة قس سافوى. موسكو، ١٩٠٣، ص ٤٨ - ٤٩، ٦٠ - ٦١.

(٢٠) فرح انطون. المؤلف المذكور، ص ١٤٦. تكرر فى "اميل" روسو فكرة ضرورة تربية المقدرة لدى الطفل على تحمل ضربات القدر بصلابة مرات عديدة. انظر

ايضا "الرب يرى الحقيقة، ولكن لن يقل كلمته عاجلا" لليف تولستوى وغير ذلك.

(٢١) فرح انطون. المؤلف المذكور، ص ١٤٨.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٢٥) لربما افادت هذه الملاحظة الى جانب بعض الافكار التى اوردها فرح انطون فى "المدن الثلاث" كأساس اعتمده النقاد العرب فى القول ان ماركس أثر على افكاره.

القرآن فى روسيا

بيوتر غريزنيفيتش
دكتور فلسفة فى التاريخ

اولى المعلومات الخطية عن الاسلام فى روسيا تعزى الى القرن الحادى عشر. وكانت هذه المعلومات قد دخلت فى رحاب الادب الروسى القديم عن طريق تراجم المدونات التاريخية الاغريقية والمداخلات المسيحية التى كانت تقدم صورة شائهة عن جوهر الفكر الاسلامى وتاريخه. وكانت القصص الخيالية عن النبى محمد والاحكام الجزمية (الدوغماتية) فى الاسلام، التى جرى اقتباسها من المؤلفات المذكورة تملأ الكثير من المؤلفات التاريخية والادبية التاريخية الصادرة باللغة الروسية ردحا طويلا من الزمن.

وقد ساعد توسع نطاق العلاقات التجارية والدبلوماسية بين روسيا وبلدان العالم الاسلامى على فرز تصورات اكثر دقة وصوابا عن الاسلام فى نواح كثيرة. فالتجار والرحالة الذين زاروا هذه البلدان، وكذلك الحجاج الى فلسطين واعضاء البعثات المختلفة، كانوا يعودون حاملين معهم شهادات صادقة عن حياة ومعيشة الشعوب الاسلامية وفكرها الدينى وتاريخها وحاضرها. وكانت التقارير الخطية التى يقدمها هؤلاء الوافدون تتضمن وصفا لعمارة المساجد والطقوس والاعياد الاسلامية ومعلومات عن الاحكام الاساسية فى الاسلام.

وفى اواخر القرن الخامس عشر ترجم الى الروسية وصف لمدينتى مكة والمدينة المقدستين يتضمن مقتبسات من السيرة النبوية . وفى القرون ١٥ - ١٧ ازداد زيادة حادة عدد المؤلفات المكرسة للبحث فى الفكر الاسلامى. وباتت هذه المؤلفات تتسم بشروح منتظمة واكثر موضوعية لجوهر الاسلام، وكذا لتاريخ الدول الإسلامية الواقعة على حدود روسيا الشرقية والجنوبية . وبذلت بين اوساط التتر الذين استوطنوا ليتوانيا وفقدوا تدريجيا لغتهم الام محاولات عديدة فى مجرى القرون ١٥ - ١٧ لترجمة القرآن الى لغتهم الجديدة - البيلوروسية . ويحتوى ما تبقى من مخطوطات المصحف فى ليتوانيا ، والمحفوظة الان فى مكتبة الكلية الشرقية بجامعة لينينغراد، عدا عن النص العربى، على ترجمة مواكبة بين السطور الى اللغة البيلوروسية ، ولكنها مدونة بحروف عربية . وتعتبر هذه التراجم اولى ترجمات للقرآن فى روسيا الى اللغة السلافية . وفى اواخر القرن السابع عشر ظهر باللغة الروسية اول بحث مكرس خصيصا للقرآن. وقد وضع هذا البحث لاجل امبراطور روسيا المقبل - بطرس الاول - وشقيقه ايفان. وهذا البحث هو الذى اوحى لبطرس الاول بفكرة وضع ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة الروسية .

واعطى تطور العلاقات التجارية والدبلوماسية الواسع بين روسيا وبلدان الشرق فى عهد بطرس الاول، كذلك الحروب الطويلة التى خاضتها روسيا فى عهده مع الامبراطورية العثمانية والدولة الصفوية فى ايران زخما جديدا لدراسة الشرق الاسلامى بصورة منتظمة . ويعود فضل عظيم فى تنظيم مثل هذه الدراسة الى بطرس الاول شخصيا . فبمبادرة منه جرى اعداد وتجهيز بعثات علمية لجمع المخطوطات والكتابات والمسكوكات الشرقية . وبذلت فى عهده - لاول مرة فى روسيا -

محاولة لتنظيم مدرسة خاصة لتدريس اللغات الشرقية ومنها اللغة العربية. وبمبادرة منه ايضا استحدثت دائرة خاصة لحفظ ما يتم جمعه من آثار الحضارة المادية والمدونة لشعوب الشرق، وهى الاساس الذى ظهر عليه بعد مضى مئة عام المتحف الاسيوى ، وهو مركز علم الاستشراق فى روسيا. وفى العام ١٧٢٢، فى عهد بطرس الاول ايضا، جرى تنظيم اول مطبعة فى روسيا بحروف عربية منضدة. واخيرا، جرى بامر من بطرس الاول، ولاول مرة، وضع ترجمة لنص المصحف الكامل الى اللغة الروسية، وتم طبع هذه الترجمة فى بطرسبورغ فى العام ١٧١٦، بعنوان له دلالته هو "قرآن محمد او القانون التركى". وكان واضع هذه الترجمة هو العالم الروس المعروف فى ذلك الوقت بطرس بوسنيكوف الذى تلقى العلم فى ايطاليا. فقد وضع هذه الترجمة بالاستناد الى اول ترجمة للقرآن الى فرنسية وهى ترجمة المستشرق والدبلوماسى الفرنسى اندريه ديوريه (Andre Du Ryer) الصادرة فى باريس فى العام ١٦٤٧.وكانت ترجمة ديو ريه تتمتع آنذاك بشهرة واسعة، وقد اعيد طبعها وترجمتها الى لغات اخرى فى مجرى قرن ونصف القرن تقريبا، حتى ظهرت وطغت عليها ترجمة جديدة اكثر دقة وكمالا هى ترجمة ساوارى (العام ١٧٨٣).

ولترجمة ديو ريه الفرنسية اهمية خاصة ايضا لانها هى التى كانت الاساس لترجمتى القرآن الروسيتين التاليتين اللتين ظهرتا فى القرن الثامن عشر. فالترجمة الروسية الاولى للقرآن التى سبق ان اشرنا اليها كانت بعيدة جدا عن النص العربى الاصلى، ذلك ان المترجم بطرس بوسنيكوف لم يكتف بتكرار التشويهات الكثيرة التى تعتور ترجمة ديو ريه، بل واضاف اليها اخطاءه هو، الناجمة عن نقص المامه بالنص الفرنسى وسوء معرفته لاسس الاسلام. وجرى نقل النص الفرنسى الذى

وضعه ديو رييه ، ولكن بمزيد من الدقة ، في الترجمة الروسية الثانية للقرآن والتى انجزت بعد نشر ترجمة بطرس بوسنيكوف بوقت قصير. غير ان هذه الترجمة لم تجد طريقها الى المطبعة ، فظل اسم المترجم مجهولا ، كما ان مخطوطة الترجمة لم يتم العثور عليها الا فى اوائل القرن العشرين فى شمال روسيا .

واجتذبت ترجمة بوسنيكوف اهتمام العلماء الروس نحو دراسة القرآن . اذ كان بطرس الاول قد كلف احد المقربين اليه ، وهو دميترى كانتمير الذى خرج من فترة مكوثه فى تركيا بمعرفة جيدة بالاسلام واللغات الشرقية ، بوضع سرد تفصيلى بمضمون القرآن وسيرة حياة الرسول محمد . وفى مجرى القرن الثامن عشر ظهرت عدة مؤلفات مماثلة من حيث المضمون . وحظيت هذه المؤلفات بشهرة واسعة لدى القراء الروس ، بحيث اعيد طبعها مرات عديدة . وبتأثير من هذه المطبوعات اخذت المجلات والصحف الروسية تنشر مقالات تستعرض تاريخ العرب ، وترجمات وابحاث فى اثار الشعر والادب الروائى العربى .

وفى العام ١٧٨٧ صدر عن مطبعة اكاديمية العلوم فى بطرسبورغ بامر من الامبراطورة يكاتيرينا الثانية ، لاول مرة فى روسيا ، النص العربى الكامل للقرآن . وقد اعد النص وشرحه وعلق عليه الملا عثمان ابراهيم ، وجرى طبعه بحروف عربية مصبوبة خصيصا لهذا الغرض ، بحيث تحاكى خط احد اشهر الخطاطين المسلمين فى ذلك الوقت ، وبالتالى فقد كان من افضل الخطوط العربية المتوفرة آنذاك فى اوربا . وقد اعيد اصدار هذه الطبعة من المصحف فى الاعوام ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٦ و١٧٩٨ . وعندما وصلت نسخ منه الى اوربا ، أخذت تطغى احيانا حتى على طبعتى ل . ماراتشى وأ . هنكلمان القديمتين والنادرتين . وثمن الطبعة تثمينا رفيعا مستشرقان كبيران من امثال سلفيستر دى ساسى وشنورر . وباتت هذه

الطبعة فى روسيا اساسا لكل ما تلاها من طبعات النص القرآنى فى القرن التاسع عشر.

وعملا بالامر الصادر فى ١٥ كانون الاول (ديسمبر) العام ١٨٠٠ رفعت القيود التى كانت مفروضة فى روسيا على طبع الادبيات الدينية الاسلامية، وفى العام ١٨٠٢ افتتحت فى قازان أول مطبعة اسلامية نقلت اليها خلال العامين ١٨٠٠ و١٨٠١ حروف الطباعة العربية من مطبعة اكاديمية العلوم.وفى غضون السنوات الاولى من وجود هذه المطبعة (١٨٠٢ – ١٨٠٦)تم طبع ٤١٢٠٠ نسخة من الكتب الاسلامية، من ضمنها ٣٥٠٠ نسخة من النص القرآنى الكامل. واخذت مطبعة قازان تزيد من عدد نسخ طبعاتها باطراد. ففى العام ١٨٣٣ طبع فيها ٦ الاف نسخة من المصحف، بينما طبع منه ٢٣٦٠٠ نسخة خلال الاعوام ١٨٤٣ – ١٨٥٢. وفى غضون الاعوام ١٨٥٣ – ١٨٥٩ تم فى مطبعة قازان وعدد من المطابع الخاصة اصدار ٨٢٣٠٠ نسخة من المصحف. وكل هذه الطبعات اعتمدت نص طبعة بطرسبورغ الاولى للعام ١٧٨٧، وحظيت بانتشار واسع لا بين اوساط مسلمى روسيا فحسب، بل وفى الخارج ايضا. ففى اواخر القرن التاسع عشر اخذت هذه الطبعات تقلد فى العديد من بلدان الشرق الاسلامية: فى تركيا، بادئ ذى بدء، ثم حتى فى مصر والهند، كما قلدت عندنا فى القرم (بقشى سراى). ومع صدور الطبعة الاولى للنص العربى فى وقت واحد تقريبا، اى فى العام ١٧٩٠، نشرت ترجمة روسية جديدة هى الثالثة للقرآن، عن ترجمة ديو رييه الفرنسية القديمة، شأن سابقتيها. وقام بترجمتها الاديب الروسى المعروف فيريوفكين، الذى كان آنذاك مديرا لمدارس قازان، والذى يعود لجهوده فضل اعتماد تدريس اللغات الشرقية. وبعد مضى عامين، اى فى العام ١٧٩٢ ظهرت فى بطرسبورغ الترجمة الروسية الرابعة للقرآن (وهى الترجمة

المطبوعة الثالثة) التى انجزها المترجم المحترف اليكسى كولماكوف ، ولكنه نقلها هذه المرة عن ترجمة ج. سايل (J. Sale) الانجليزية الاكثر دقة وكمالا.

ومن هاتين الترجمتين كتب لترجمة غيريوفكين ان تؤدى دورا مهما فى تاريخ الادب الروسى، ذلك ان فيريوفكين تمكن، وهو الاديب الموهوب والمؤلف المسرحى والمترجم البارز من ان يضفى على ترجمته مزايا ادبية رفيعة جذبت اهتمام شاعر روسيا الاكبر الكسندر بوشكين الى القرآن، حيث تحسس بعمق الذخيرة الشعرية الباهرة للقرآن وما فيه من قوة فى التعبير عن الافكار. ويعترف الشاعر نفسه بان القرآن كان الكتاب الدينى الاول الذى اذهل مخيلته . والهمت تلاوة القرآن بترجمة فيريوفكين الكسندر بوشكين ابداع احدى اشهر روائعه الشعرية وهى مجموعة قصائد "محاكاة القرآن" التى عالج فيها شعريا نصوصا من ٣٣ سورة قرآنية . وافلح هذا الشاعر العظيم فى اعطاء صورة دقيقة المعالم لمضمون القرآن الفلسفى الدينى ولغته الشعرية الثرية . واعطت قصائد "محاكاة القرآن" لاول مرة فى الادب الروسى مفتاح الفهم الصحيح للقرآن وساعدت الى درجة كبيرة على استمرار نمو الاهتمام به بين اوسع اوساط القراء الروس.

ولم تعد التراجم القديمة التى كانت متوفرة آنذاك،والتى باتت حتى ذلك الوقت من التحف البيبليوغرافية النادرة، قادرة على تلبية هذا الاهتمام المتعاظم. ففى العام ١٨٦٤ صدرت فى موسكو ترجمة روسيا للقرآن انجزها ك. نيقولاييف بالاعتماد على ترجمة فرنسية واسعة الشهرة آنذاك للمستشرق والدبلوماسى المعروف أ. كازيميرسكى (A. Biberstein-Kazimirsky) كانت قد صدرت فى العام ١٨٥٤. وعلى مدى القرن التاسع عشر كله كانت ترجمة نيقولاييف تحظى

فى روسيا بشهرة تضاهى شهرة الترجمة الاصلية فى فرنسا ، بحيث اعيد طبعها حتى العام ١٩٠١ خمس مرات (فى الاعوام ١٨٦٤، ١٨٦٥، ١٨٧٦، ١٨٨٠، ١٩٠١). علاوة على ذلك ، كانت هذه الترجمة هى الاخيرة التى يقوم بها مترجم غير مستعرب.

لقد مارست التراجم المذكورة ، على الرغم من كل ما اعتورها من نواقص ، دورا ايجابيا باتاحتها الفرصة امام القارئ الروسى للتعرف عن كثب ـ الى هذا القدر او ذاك ـ على المصحف الاسلامى الشريف. وساعد ذلك على شطب ما خلفته المدونات التاريخية الاغريقية والمداخلات المسيحية القديمة من تصورات خرقاء عن الاسلام والقرآن، وعن شخصية محمد ونشاطه .

فى سبعينات القرن التاسع عشر، انجزت فى وقت واحد تقريبا ، ولكن بصورة منفصلة ، اول ترجمتين للقرآن عن النص العربى مباشرة . وواضع الترجمة الاولى التى انجزت فى العام ١٨٧١، لكنها لم تجد طريقها الى المطبعة، هو الجنرال بوغوسلافسكى (١٨٢٦ ـ ١٨٩٣) الذى نال تحصيلا جيدا فى علم الاستعراب فى الكلية الشرقية بجامعة بطرسبورغ، وقضى سنوات طويلة فى العمل كمترجم للسفارة الروسية فى الاستانة . وكان لبوغوسلافسكى اهتمامات واسعة ومتنوعة فى بحور علم الاستشراق ، كما كانت تربطه اواصر صداقة بمشاهير من امثال ملقولم خان والاديب العربى المعروف رزق الله حسون الذى اهدى لبوغوسلافسكى نسخة من تراجمه لحكايات كريلوف مزينة باهداء شعرى له . وكانت ترجمة بوغوسلافسكى التى اتمها خلال فترة مكوثه فى الشرق تمتاز بالدقة العالية وبالمزايا الادبية الفريدة، مما جعلها وقتذاك تحظى بتثمين نقاد مرهفى الحس والقلم من امثال ف. روزين وى. كراتشكوفسكى. وبعد عودته الى روسيا علم بوغوسلافسكى بان ثمة ترجمة للقرآن قد انجزت فى قازان عن النص العربى

ايضا، على يد المستشرق القازانى سابلوكوف (١٨٠٤ – ١٨٨٠)، مما جعله يتخلى عن فكرة طبع ترجمته.

على هذا النحو يعود شرف اصدار الترجمة الروسية للقرآن عن النص العربى لسوبلوكوف الذى كان يقطن ساراتوف بادىء الامر ثم انتقل الى قازان، فعكف بدافع من حبه للشرق واهتمامه به، على تعلم بضع لغات شرقية، حتى بات اسمه يشغل مكانة مرموقة فى تاريخ علم الاستشراق الروسى. وتشغل الابحاث المكرسة لدراسة القرآن مكانة محورية بين مؤلفاته الكثيرة فى اللغة والتاريخ وعلم الاثار. وقد كرس للعمل على ترجمة القرآن كل حياته حتى فرغ منها وهو فى سن الرابعة والسبعين. وقد اعيد طبع ترجمته التى استقبلها المستعربون بالترحاب بعد وفاته (فى العامين ١٨٩٤ و١٩٠٧).وزودت الطبعة الاخيرة لترجمة سابلوكوف بالنص العربى للقرآن. وكتب لترجمة سابلوكوف بالذات ان تقوم طوال مائة عام تقريبا بتلبية متطلبات العلم واحتياجات المجتمع الروسى المتنوعة.

وحظيت باهتمام كبير الطبعة المصورة (بطرسبورغ، ١٩٠٥) من مصحف سمرقند الشهير المدون بالخط الكوفى والمنسوخ فى مستهل الربع، الاول من القرن الثامن (وهو المشهور بمصحف عثمان).

ويعزى الجزء الاكبر من الابحاث المكرسة للاسلام والقرآن باللغة الروسية الى اواخر القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين. فبالاضافة الى الابحاث الخاصة التى انجزها مشاهير المستعربين الروس : ف. غيرغاس ، ف. روزين، ف. برتولد، ا. كراتشكوفسكى، ا. شميدت ، ا. كريمسكى، وتراجم ابحاث المتخصصين الاوربيين بشؤون الاسلام، ظهر فى تلك الفترة عدد كبير من الابحاث التحقيقية والمبسطة عن القرآن والنبى محمد والدين الاسلامى بعامة.واكتسبت المطبوعات

الاسلامية خلال الفترة المذكورة ابعادا كبيرة. ففى ثمان من مدن روسيا كانت هناك مطابع تستعمل الحروف العربية وهى: بطرسبورغ، قازان، اهرنبورغ، باكو، تفليس، تميرخان شورا، بقشى سراى، طشقند). وبذلت محاولات لترجمة القرآن الى اللغتين التترية والاذربيجانية (العام ١٩١٢) من اجل تلبية احتياجات مسلمى روسيا، ممن لا يلم الماما جيدا بالعربية. وقد انجز اول ترجمة الى اللغة التترية موسى بيغييف فى العام ١٩١١، ولكن لم يتم طبعها كليا بسبب احتجاج رجال الدين المسلمين. وقد صدرت الترجمة التترية الكاملة للقرآن مقرونة بالنص العربى فى قازان سنة ١٩١٤، على يد محمد كامل تحفة الله (تحفتولين). ويصعب احصاء عدد طبعات المصحف العربية الصادرة عن المطابع المذكورة، لكن جميع هذه الطبعات، وكذلك الطبعات التى تلتها (اوفا، ١٩٢٣ و١٩٥٦) كانت تعتمد كالماضى نص طبعات المصحف القديمة فى قازان ولم تجر الاستعاضة عنه بنص طبعة القاهرة القانونية للاعوام ١٩١٩ و١٩٢٣ و١٩٢٨ الا فى طبعة المصحف الصادرة فى طشقند فى العام ١٩٦٠.

ويجدر بنا ان نذكر من بين الابحاث الكثيرة فى القرآن التى ظهرت بعد ثورة اكتوبر ابحاث الاكاديمى برتولد، ومنها "الاسلام" و"مسيلمة" و"القرآن والبحر" و"اضواء على الرسالة المحمدية" و"عن محمد" وغيرها، كما تجدر الاشارة الى ابحاث المستعربة المسكوبية ك. كشتاليفا فى تفسير مصطلحات القرآن ولغته واسلوبه، وكذلك مقالات البروفيسور ا. فينيكوف حول رسالة الرسول محمد وتفسير بعض الايات القرآنية.

فى خريف العام ١٩٦٣ اصدرت دار نشر الادب الشرقى بموسكو ترجمة روسية للقرآن على يد الاكاديمى اغناطيوس

كراتشكوفسكى (١٨٨٣ ــ ١٩٥١) .وكان الاهتمام بالقرآن، ومعه فكرة الاستعاضة عن ترجمة سابلوكوف باخرى جديدة تتجاوب ومتطلبات العلم العصرية، قد ظهرت لديه منذ وقت طويل. فقد نشر فى العام ١٩١١ مقالا حول تعديل قراءة كلمة "برأ" فى طبعة غ.فلوغيل (Lipsiae, ١٨٥٨). وفى العامين ١٩١٥ و١٩١٦ القى كراتشكوفسكى اول محاضراته عن القرآن فى كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ.وفى العام ١٩١٧ قدم وصفا لمجموعة مخطوطات المصحف التى تلقاها المتحف الاسيوى. ونشر فى الاعوام ١٩٢٢ ــ ١٩٢٥ ثلاث ملاحظات تتعلق بتواريخ تراجم القرآن فى القرون ١٥ ــ ١٧ الى اللغة البيلوروسية ـ البولندية بين اوساط التتر اللتوانيين.وفى العام ١٩٣٠ صدر مقال كراتشكوفسكى عن مغزى كلمة "النجم" فى القرآن.ونشر فى العام ١٩٣٤ ثم فى العام ١٩٤٠ ابحاثا عن الترجمة الروسية المجهولة للقرآن فى مطلع القرن الثامن عشر وعن ترجمة بوغوسلافسكى.

منذ العام ١٩١٩ اعلن كراتشكوفسكى فى نشرة دار "الادب العالمى" للنشر عن اعداد ترجمة روسية جديدة للقرآن. وقد باشر بالعمل على وضع هذه الترجمة فى خريف العام ١٩٢١، كما بدأ فى الوقت ذاته بالقاء دورة محاضرات عن القرآن استمر بها حتى اواخر حياته. وانفق كراتشكوفسكى على ترجمة القرآن تسع سنوات فاكمل مسودة الترجمة فى خريف العام ١٩٣٠، لكنها كانت المرحلة الاولى فقط من العمل.وواصل فى السنوات التالية هذا العمل مراجعا قدرا جما من الادبيات العربية والاوربية عن القرآن. فهو يستشهد فيما جمعه من مواد للشرح بزهاء ٤٠٠ مصدر.

وعاد كراتشكوفسكى فى ترجمته، وقد تسلح بكل ذخيرة اساليب علم اللغة العصرى، الى اسلوب اللغويين العرب الاوائل

وقراء وشارحي القرآن في القرون ١ ـ ٣ الهجري (السابع ـ التاسع الميلادي) .ولاجل فهم تركيب الكلام وشوارد وتصاريف اللغة في القرآن، عاد كراتشكوفسكي الى نصوص الشعر العربي القديم، وبخاصة الى نتاجات الشعراء العرب في وسط الجزيرة وشرقها ممن عاصر النبي محمد، كما عاد الى مجموعات الحديث الاولى. بيد ان رحيله المبكر لم يسمح له باتمام هذا العمل الكبير. رغم ذلك تبقى ترجمته من حيث الدقة ومنهج البحث في النص القرآني تفوق ليس فقط كل ترجمات القرآن الروسية، بل والكثير من التراجم الاوربية.

وتوفر الابحاث النشيطة التي اجريت في الفكر الاسلامي خلال السنوات الاخيرة الممهدات الضرورية لانجاز فكرة كراتشكوفسكي فيما فيها يتعلق باعداد ترجمة اكاديمية دقيقة لغويا ومطابقة ادبيا للقرآن مشفوعة بالشروح والفهارس. وهذا يتجارب مع مستلزمات علم الاستشراق الوطني ومع الاهتمام الحي في بلدنا بتاريخ الاسلام والتراث الروحي الثر لشعوب العالم العربي الذي يخص القرآن باسمى مكانة وابرز مقام باعتباره الاثر الوحيد في نوعه للادب العربي والعالمي.

تعريف باصحاب الابحاث

دولينينا ، آنا ـ دكتورة فى علوم اللغة وآدابها ، استاذة فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لينينغراد. صاحبة العديد من المؤلفات فى تأريخ الادب العربى الحديث وغير ذلك من الاعمال العلمية.

بولوسين، فاليرى ـ دكتور فلسفة فى التأريخ، باحث علمى فى فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، اختصاص فى تأريخ الثقافة والاداب العربية فى القرون الوسطى.

خالدوف ، انس ـ دكتور فى علوم اللغة وادابها ، نائب رئيس قسم الشرق الاوسط فى فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى، اختصاص فى الادب العربى والمخطوطات لفترة القرون الوسطى. وصاحب اكثر من ٦٠ بحث علمى.

غريزنيفيتش ، بيوتر ـ دكتور فلسفة فى اللغة وآدابها ، باحث علمى اقدم فى فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى. اختصاص فى تأريخ الثقافة العربية للفترة الجاهلية والقرون الوسطى.

بيفزنر، سيرغى ـ دكتور فلسفة فى التأريخ، باحث علمى اقدم فى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى. اختصاص فى تأريخ الثقافة العربية فى القرون الوسطى.

فرولوفا ، اولغا ـ دكتورة فى علوم اللغة وادابها ،

استاذة، رئيس قسم اللغة العربية وادابها في جامعة لينينغراد، صاحبة اكثر من مائة بحث علمي حول اللغة العربية وآدابها.

كامينيف، يوري - كبير امناء المخطوطات في خزانة المخطوطات بمكتبة كلية الاستشراق في جامعة لينينغراد. صاحب العديد من الابحاث العلمية والتراجم.

بروزوروف، ستانيسلاف - دكتور فلسفة في التأريخ، رئيس مجموعة الابحاث في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي، صاحب العديد من البحوث في تأريخ الاسلام.

بيوتروفسكي، ميخائيل - دكتور في العلوم التأريخية باحث علمي اقدم في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي، اختصاص في تأريخ العرب لفترة الجاهلية وما بعد الاسلام. صاحب اكثر من ٦٠ بحثا علميا.

ليبيديف، فكتور - دكتور في علوم اللغة وآدابها، باحث علمي اقدم في المكتبة العامة الحكومية، اختصاصي في تأريخ الفولكلور العربي والمخطوطات واللغات السامية، صاحب اكثر من ٥٠ بحثا علميا.

الى القراء

تطلع اكاديمية العلوم السوفيتية القراء الاجانب بانتظام على احدث دراسات العلماء السوفيت فى مختلف حقول العلوم الاجتماعية . وتلعب دورا بارزا فى ذلك هيئة تحرير "العلوم الاجتماعية والعصر" التى احتفلت عام ١٩٨٤ بالذكرى الخامسة عشرة لنشاطها . وتشمل مطبوعات هيئة التحرير - المجلات ومجموعات المواضيع العلمية - كل طيف العلوم الاجتماعية . وتصدر باللغات العربية والانجليزية والاسبانية والالمانية والبرتغالية والفرنسية وكذلك باللغة الروسية وتصدر سنويا قرابة ٧٥ مجموعة مختلفة موحدة فى سلسلات من المواضيع . ويجرى اعدادها تحت اشراف مجلس التحرير ولجان لكل سلسلة تضم علماء معروفين على النطاق الدولى وبضمنهم مدراء المعاهد الاكاديمية ورؤساء التحرير فى المجلات الثقافية البارزة . ويرأس مجلس التحرير الاكاديمى فيدوسييف نائب رئيس اكاديمية العلوم السوفيتية .

وتوزع مجموعات "العلوم الاجتماعية والعصر" فيما يربو على ١٢٠ بلدا . وهى تطلع القراء الاجانب على الجوانب الاكثر أهمية من الحياة العلمية فى الاتحاد السوفيتى واراء العلماء السوفيت فى القضايا الملحة للتطور العالمى وعلى ميثودولوجيا العلم. ويعار اهتمام كبير الى القضايا التى ستناقش فى

المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى.

وتعكس المواد المنشورة سعى العلماء السوفيتى الى الاسهام بقسطهم فى النضال من اجل السلام وأمن الشعوب ،وفى سبيل الحل السلمى للمسائل الدولية المتنازع عليها، وفى مواصلة تعزيز الاواصر الاخوية مع بلدان الاسرة الاشتراكية، ومن اجل تطوير علاقات الصداقة مع العلماء والاوساط التقدمية فى كل البلدان.

ان خاصية هذه المطبوعات تكمن فى تناول كل منها، بالدرجة الاساسية، اما لحقل واحد من حقول العلوم الاجتماعية واما لموضوع اجتماعى ملح يعتبر سلسلة وصل بين علوم مختلفة. ويقتضى منطلقا علميا واسعا. وتلقى المقالات التى تحتويها المجموعات الاضواء على قضايا كبيرة شاملة وتتناول دراسات نظرية وميثودولوجية. وهذه المقالات تتميز، كقاعدة، بمنطلقها المنظم الشامل من تفسير القضايا المعقدة والمختلفة الحل. وتحتوى كل مجموعة على بيبليوغرافيا باعمال العلماء السوفيت.

وتظهر الممارسة ان صفة المطبوعات هذه تساعد على تطوير الحوار واقامة الصلات العلمية وعلى الاختلاط الذهنى بين الناس ذوى العقائد المختلفة.

وتبين التعقيبات التى تتلقاها هيئة التحرير من مختلف البلدان ان المطبوعات المذكورة هى موضع اطلاع فئات واسعة للغاية من الناس: من علماء وشخصيات اجتماعية وسياسية ومدرسين وطلبة دراسات عليا وطلبة ونشطاء الحركات الديمقراطية والوطنية التحررية والمنظمات النقابية والشبابية والنسائية — باختصار كل من يهتم بالقضايا الاجتماعية المعاصرة. وتسترعى مواد المجموعات حتما انتباه المشاركين فى المؤتمرات والندوات والمحافل العلمية. وتستخدم هذه المطبوعات، على نطاق واسع، بهدف تبادل الكتاب الدولى.

وتصدر هيئة التحرير الكتب العلمية باثنتى عشر سلسلة :

١ ـ سلسلة "قضايا العالم المعاصر"

٢ ـ سلسلة "العلم الاقتصادى السوفيتى"

٣ ـ سلسلة "التأريخ العالمى: دراسات سوفيتية"

٤ ـ سلسلة "تأريخ الاتحاد السوفيتى: دراسات جديدة"

٥ ـ سلسلة "البلدان النامية : قضايا وآفاق"

٦ ـ سلسلة "علم الاستشراق السوفيتى"

٧ ـ سلسلة "افريقيا : دراسات العلماء السوفيت"

٨ ـ سلسلة "امريكا اللاتينية : دراسات العلماء السوفيت"

٩ ـ سلسلة "قضايا العلم والتكنيك الفلسفية والاجتماعية"

١٠ ـ سلسلة "القانون: دراسات العلماء السوفيت"

١١ ـ سلسلة "دراسات اثنوغرافية سوفيتية"

١٢ ـ سلسلة "دراسات سوفيتية فى الاديان"

تقبل الطلبات:

في الدول الاجنبية ـ الشركات والمؤسسات والمخازن التى توزع المطبوعات السوفيتية ولها علاقات عمل مع المصدر الوحيد للمطبوعات السوفيتية ـ مؤسسة "ميجدونارودنايا كنيغا" السوفيتية؛

فى الاتحاد السوفيتى ـ الدائرة المركزية "اكاديمكنيغا" (١٠٣٠١٢، موسكو، شارع ب. تشيركاسكى، ٢/١٠). وينبغى ارسال نسخة من الطلب الى عنوان هيئة التحرير ـ ١٢١٨١٨، موسكو، اربات ، ١٢/٣٣.

ولغرض الحصول على اجابات عن كافة القضايا المتعلقة بتحرير الطلبات واستيضاح عناوين الشركات والمؤسسات والمخازن فى بلادكم، نرجو الاتصال مباشرة بهيئة تحرير "العلوم الاجتماعية والعصر" (الاتحاد السوفيتى، ١٢١٨١٨، موسكو، اربات ١٢/٣٣) او بمؤسسة "ميجدونارودنايا كنيغا" (الاتحاد

السوفيتى، ١١٣٠٩٥، موسكو).

ان هيئة التحرير لتكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها اراءكم ومقترحاتكم حول المجموعات وتأخذها بعين الاعتبار فى خططها.

اليكم بعض المعلومات عن مجموعات المواضيع العلمية التى ستصدر باللغة العربية فى عامى ١٩٨٦ و١٩٨٧.

على نهج الاستكمال الشامل للاشتراكية

(حول الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعى السوفيتى)

٢٠٠ ص ، الربع الثالث من عام ١٩٨٧

يعد المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى الذى انعقد فى فبراير - مارس عام ١٩٨٦ علامة مرحلية فى تطور بلاد السوفيتات، فقد أقر المؤتمر الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب - برنامج الاستكمال المنهجى والشامل للاشتراكية، والتقدم اللاحق للمجتمع السوفيتى نحو الشيوعية على اساس التعجيل بالتنمية الاقتصادية - الاجتماعية للبلاد، برنامج النضال من اجل السلام والتقدم الاجتماعى. ويقوم اصحاب الابحاث الواردة فى المجموعة وهم شخصيات سوفيتية فى الحزب والدولة، وفلاسفة واقتصاديون ومؤرخون وعلماء اجتماع بارزون بتحليل الاحكام الاساسية للصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعى السوفيتى.

نظرية الثقافة

٢٠٠ ص ، الربع الثانى من عام ١٩٨٧

تتضمن المجموعة الابحاث الجديدة للدكتور فى العلوم الفلسفية أ. ماركاريان. وهو مؤلف عدد من الكتب حول

مسائل نظرية الثقافة، وميثودولوجيا التحليل المنهاجي. ويجمع الدراسات المطروحة على القارئ الكريم منهج موحد، منهج التحليل التأريخي المادى للنظرية العامة للثقافة (علم الثقافة). ويرد فيها وصف الحوافز الاساسية لبلورة علم الثقافة ومنطلقاته النظرية ومنزلته في منظومة العلوم، كما تحدد الامكانيات الرئيسية لتطبيقه في مجال معالجة مهام البحث والدراسة والممارسة الاجتماعية.

الاتحاد السوفيتي:
التعجيل بالتنمية الاقتصادية - الاجتماعية

١٨٠ ص، الربع الثالث من عام ١٩٨٧

يتناول المؤلفون في المجموعة وهم علماء المؤسسات الاقتصادية الرئيسية لاكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي أهم بنود الاتجاهات الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد السوفيتي التي أقرها المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي، ويكشفون المهام المستجدة الكبيرة الشاخصة امام المجتمع السوفيتي. ويعار الاهتمام الرئيسي الى القاء الاضواء على سبل التعجيل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الذي يمثل نهج الحزب الاستراتيجي الهادف الى تحقيق تحول نوعي لكافة جوانب حياة المجتمع السوفيتي.

الاشتراكية كمنظومة اقتصادية

٢١٠ ص، الربع الثاني من عام ١٩٨٧

ويركز اهتمام خاص في المجموعة على شرح

الاستراتيجيا الاقتصادية للحزب الشيوعى السوفيتى والدولة السوفيتية، وجملة القضايا الميثودولوجية والنظرية للاقتصاد السوفيتى المعاصر، وتحليل الاتجاهات والاشكال والقوانين الاساسية لاستكمال العلاقات الانتاجية الاشتراكية، والابقاء على تناسبها الثابت مع القوى المنتجة المتطورة ديناميا وقيام الميكانيزم الاقتصادى بوظائفه بصورة فعالة يعول عليها.

"اكتوبر العظيم والعالم المعاصر"

٢٠٠ ص، الربع الثانى من عام ١٩٨٧

يستعد الشعب السوفيتى والبشرية التقدمية جمعاء للاحتفال بالذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى احتفالا مهيبا، هذه الثورة التى غدت حدثا غير مجرى التأريخ العالمى، ودشنت عملية لا تقهر، عملية استبدال الرأسمالية بتشكيلة جديدة هى التشكيلة الاقتصادية - الاجتماعية الشيوعية. والمجموعة مخصصة لهذا اليوبيل المجيد. وموضوعها الرئيسى هو الاهمية الدولية لانتصار اكتوبر الذى حدد الوجهة العامة والاتجاهات الاساسية للتطور العالمى.

الشرق فى القرون الوسطى: النظام الاقتصادى الاجتماعى

١٦٠ ص، الربع الاخير من عام ١٩٨٧

تعرف المجموعة التى اعدها علماء معهد الاستشراق لدى اكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى القارئ الكريم فى الخارج بالاتجاهات الاساسية للدراسات السوفيتية فى حقل

تأريخ بلدان آسيا وشمال افريقيا فى القرون الوسطى. ويتناول المؤلفون استنادا الى مواد عن الصين والهند ومصر وايران وآسيا الوسطى وبلدان جنوب شرقى آسيا قضايا تصنيف الاقطاعية فى الشرق الى مراحل، وتصنيف المجتمعات التقليدية، واشكال ملكية الارض والعلاقات التجارية - النقدية. ويعار اهتمام كبير الى مدينة القرون الوسطى والبنية الاجتماعية للبلدان، والى المنظمات الطائفية والحرفية.

ابحاث جديدة للمستعربين السوفيت

(دراسة المخطوطات القديمة، الكتاب الثانى)

١٦٠ ص، الربع الاخير من عام ١٩٨٧

تتضمن المجموعة مقالات العلماء - المستشرقين السوفيت الذين يدرسون التراث الخطى العربى الذى يحفظ العديد من نماذجه فى المؤسسات الاكاديمية بموسكو ولينينغراد وطشقند وباكو وغيرها من المراكز العلمية فى البلاد. وللمستشرقين السوفيت انجازات كبيرة فى هذا المجال من المعرفة حظيت بشهرة عالمية. ومن ضمن المواد الواردة فى المجموعة ابحاث المستعربين السوفيت المرتبطة بدراسة سواء المخطوطات المعروفة سابقا او المخطوطات التى عثر عليها فى الاتحاد السوفيتى مؤخرا. وهى مؤلفات ورسائل موسوعية لعلماء الشرق فى التأريخ والرياضيات وعلم الفلك وغيرها من فروع العلم.

عام ٢٠٠٠: المشاكل العالمية ومستقبل البشرية

٢٠٠ ص، الربع الاول من عام ١٩٨٧

فما هى النزعات الرئيسية لتطور البشرية عالميا ؟ وكيف يصمد هذا التطور "لاختبار الصلابة" فى التصادم مع المشاكل العالمية ؟ ولماذا تعتبر الفلسفة الماركسية ـ اللينينية المشاكل العالمية الاساسية قابلة للحل؟ هذه القضايا وغيرها يتناولها مؤلفو المجموعة. وهم يشيرون الى ان حل المعضلات العالمية الشاخصة امام البشرية يتطلب جهودا جريئة وتحولات عميقة فى المجال الاقتصادى ـ الاجتماعى وفى حقل العلم والتكنيك وفى العلاقات الاجتماعية.

شمال افريقيا : التطور المعاصر

١٦٠ ص ، الربع الاخير من عام ١٩٨٧

تعد هذه المجموعة التى اعدها العلماء السوفيت المختصون بالدراسات الافريقية من اوائل الابحاث التحليلية فى قضايا التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى للاقطار العربية فى شمال افريقيا. وتتناول المجموعة دور هذه الاقطار فى منظومة الصلات الاقتصادية الدولية، وفى اقتصاديات القارة الافريقية، وخصائص الانتاج، وكذلك البنية الطبقية ـ الاجتماعية لبلدان المنطقة، ونشاط الاحزاب السياسية والجوانب الهامة الاخرى للتنمية.

التوسع الايديولوجى للولايات المتحدة الامريكية

١٢ ملزمة، الربع الاخير من عام ١٩٨٦

ان التوسع الايديولوجى للولايات المتحدة الامريكية الذى انتشر على نطاق كبير جدا بعد الحرب العالمية

الثانية هو جزء راسخ من سياستها الخارجية، ويخدم مصالح اكثر الدوائر الامبريالية عدوانية. ويكشف المؤلفون النقاب عن المحتوى الطبقى لهذا التوسع واضراره لشعوب العالم، ويفضحون بحجج دامغة المواعظ البالية المعادية للشيوعية وللسوفيت والتى تبثها ابواق الدعاية الامريكية. ويسلطون الاضواء على الاهداف الاجتماعية والسياسية طويلة الامد للحملات الايديولوجية الدعائية فى الولايات المتحدة الامريكية، بما فيها برامج "الديمقراطية". ويبرزون اشكال الاستعمار الجديد الثقافى واستخدام الولايات المتحدة لاحدث الانجازات التكنيكية فى مجال وسائل الاتصال الجماهيرى لاغراض الدعاية.

عالم البدو الرحل

١٠ ملازم، الربع الاخير من عام ١٩٨٦

ان نمط حياة قبائل البدو الرحل وشبه الرحل لا يزال منتشرا لدى جزء من سكان العالم، وبخاصة لدى الشعوب العربية والتركية - المغولية ومختلف قبائل افريقيا. ويطرح هذا امام البلدان النامية الفتية، كما يبين مؤلفو المجموعة، مشاكل ايكولوجية واقتصادية واجتماعية ثقافية وسياسية معقدة وتسلط المجموعة الاضواء على التجربة السوفيتية لحلها، وعلى التدابير المتخذة لتحسين حياة البدو الرحل جذريا، ونقلهم الى حياة التحضر، وتحديث اقتصادهم، وتكامله مع اقتصاد البلاد. وتستقصى المجموعة الاتجاهات الاساسية لدراسات العلماء السوفيت فى هذا المجال (منشأ وتطور مجتمعات البدو الرحل، ايكولوجيا

حياة الترحل، وخصائصه الاقتصادية والاجتماعية، ميزات التشكيلات السلالية، وغير ذلك).

النشرات الدورية لهيئة تحرير مجلة

"العلوم الاجتماعية والعصر"

تصدر هيئة تحرير "العلوم الاجتماعية والعصر" التابعة لاكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو نشرات دورية تطلع الاوساط العلمية العالمية على أحدث دراسات العلماء السوفيت.

تصدر هيئة التحرير ما يلي:

١ - مجلة "العلوم الاجتماعية" (تصدر ست مرات فى العام باللغة الروسية).

المواضيع الاساسية لهذه المجلة هى المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى والصياغة الجديدة لبرنامج الحزب ونضال الشعوب من اجل صيانة السلام على الارض، واستكمال الاشتراكية المتطورة وتطور المنظومة الاشتراكية العالمية، وتعاون البلدان الشقيقة.

وتتناول المجلة التجربة الجماعية لبلدان الاسرة الاشتراكية فى معالجة المهمات الاقتصادية - الاجتماعية الآنية. ويعار فيها اهتمام خاص الى مواضيع متكاملة مثل استكمال أدارة الاقتصاد الوطنى، والتعجيل بالتقدم العلمى - التكنيكى، وتكوين الفرد المتطور تطورا متعدد الجوانب. ومن اهم القضايا فضح سياسة الامبريالية وايديولوجيتها.

٢ - مجلة فصلية باللغات الاجنبية: الانجليزية والبرتغالية والفرنسية والاسبانية والالمانية.

(وهى تختلف بمضمونها عن المجلة الصادرة باللغة الروسية).

تتحدث المجلة عن مساهمة اكاديمية العلوم السوفيتية وغيرها من مؤسسات البحث العلمى فى تنفيذ البرنامج السوفيتى للسلام: درء الحرب النووية، وايقاف سباق التسلح، وتعزيز أمن الشعوب وتعرف القراء على تعاون الاختصاصيين السوفيت فى علم الاجتماع مع زملائهم الاجانب فى هذا المجال.

ويتركز اهتمام المجلة على تحليل الجوانب المختلفة

لاستكمال الاشتراكية المتطورة ــ تطور البلاد الاجتماعي ــ السياسي، والاقتصادي ــ الاجتماعي والعلمي ــ التكنيكي والثقافي.
ونعرض السياسة الداخلية والخارجية للحزب الشيوعي السوفيتي والدولة السوفيتية على ضوء كلمات قادة الحزب والدولة، وعلى اساس مواد المؤتمرات الحزبية، ودورات السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي.

وتنشر المجلة مقالات في طائفة واسعة من العلوم. وتقدم دراسات علمية في الفلسفة وعلم السياسة والاقتصاد والتأريخ والقانون وعلم النفس وعلم الاجتماع والادب وغيرها من فروع المعرفة. وتدل على تنوع المواضيع الفصول الدائمة في المجلة مثل "البلدان النامية: دراسات جديدة"و"نقد وتعليقات" و"الانسان والطبيعة"و"مناظرات ومناقشات"و"الشبيبة والمجتمع".

ويبين بريد المجلة ان جمهور قرائها يتألف بالاضافة الى الباحثين العلميين والاساتذة والطلبة من رجال الدولة والشخصيات الاجتماعية وممثلي شتى اوساط المثقفين. وتؤخذ اهتماماتهم بعين الاعتبار، فتنشر في المجلة استعراضات وتعقيبات وشروح موجزة للنشرات العلمية الصادرة في الاتحاد السوفيتي.

Н $\frac{0503000000-036}{042/02/-86}$ 348-86 /III/

Новые исследования советских арабистов
/ выпуск первый /

Сборник статей на арабском языке
Серия "Советское востоковедение" №5

цена: 1р.20к.